أجاثا كريستي

محنة البريء

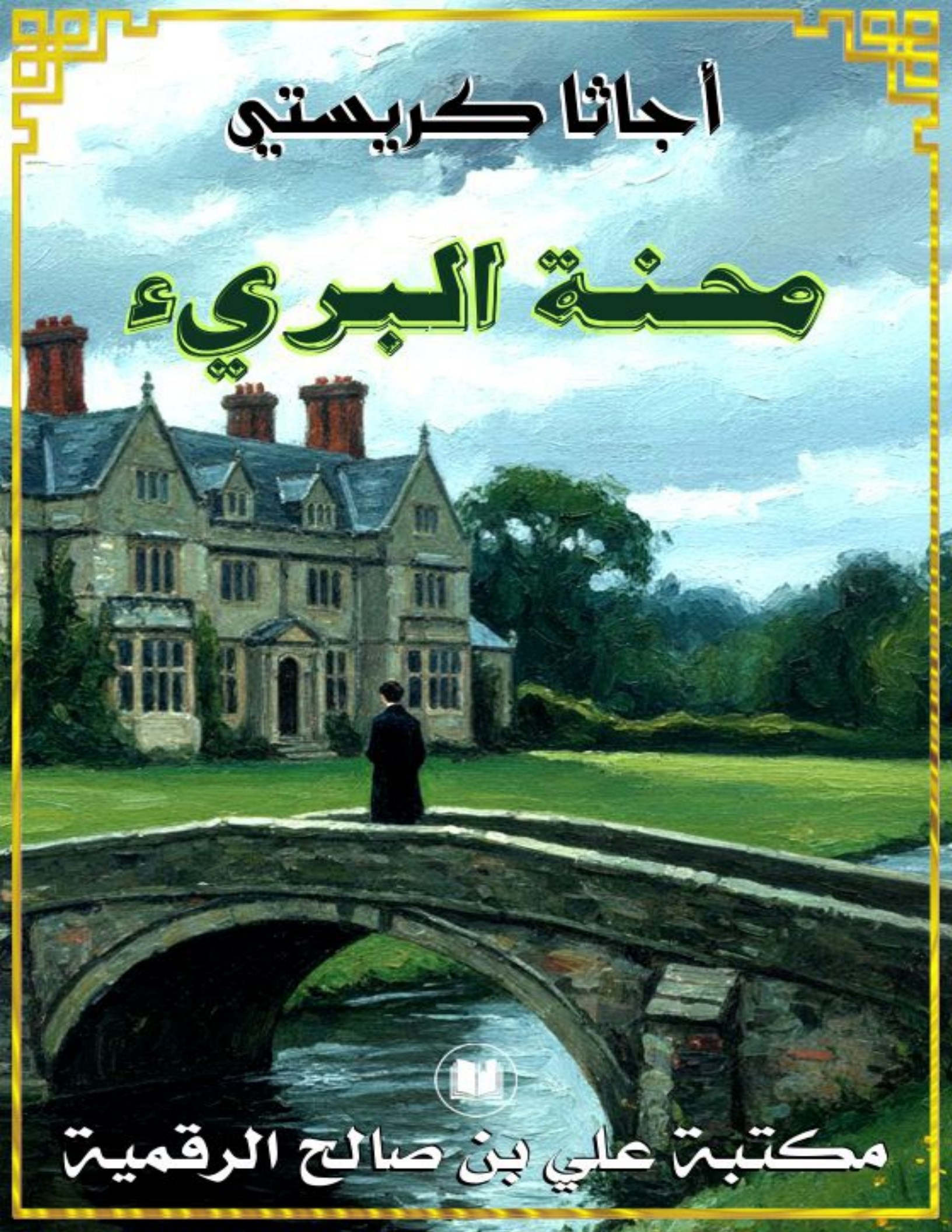

مكتبة علي بن صالح الرقمية

أجاثا كريستي

محنة البريء

رواية بوليسية

1958

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

إهداء

إلى بيلي كولينز

بكل الحب والامتنان

قول مأثور

إن كنت سأبرر لنفسي معصيتي، فإن لساني سيخونني وسأعترف بذنبي.
أنا خائف من ابتلاءاتي. وأعرف أنك لن تعتبرني بريئًا.
جوب

الأول

1

كان وقت الغسق قد حل حين وصل إلى المعدية.

كان بإمكانه أن يصل إلى هناك في وقت أبكر بكثير؛ ولكنه في الحقيقة أخذ يؤجل هذا لأطول وقت ممكن.

بدايةً بتناول الغداء مع أصدقائه في منطقة ريدكي؛ والأحاديث العشوائية المرحة، وتبادل القيل والقال عن الأصدقاء المشتركين، ولم يَعْنِ كل هذا شيئًا سوى أنه يتملص - بينه وبين نفسه - مما هو مضطر لفعله. وقد دعاه أصدقاؤه للبقاء لتناول الشاي، فوافق. ولكن أخيراً حان الوقت الذي أدرك فيه أنه ليس باستطاعته تأجيل الأمور أكثر من ذلك.

كانت السيارة، التي استأجرها، في انتظاره. ودع أصدقاءه وغادر ليقطع مسافة سبعة أميال على طول طريق الساحل المزدحم، ثم اتجه صوب الطريق الضيق المحفوف بالأشجار الكثيفة والذي ينتهي برصيف حجري مطل على النهر.

كان هناك جرس ضخم أخذ سائقه يقرعه بحماس ليستدعي المعدية الموجودة على الجانب الآخر من النهر .

"هل تريد أن أنتظرك، يا سيدي؟".

قال آرثر كالجري: "لا. لقد طلبت سيارة لتقلّني من هناك في غضون ساعة من الزمن ... لتأخذني إلى درايماوث".

أخذ السائق أجرته وإكراميته، ثم قال وهو يحدق عبر النهر في عتمة الغسق:

"المعدية آتية الآن، يا سيدي".

ثم عاد إلى السيارة بعد أن تمنى لزبونه ليلة طيبة، وقاد سيارته بعيداً نحو التلة. وقف آرثر كالجري وحده بانتظار المعدية على الرصيف؛ وحده مع أفكاره وترقبه لما هو بصدد مواجهته. قال في نفسه: "يا له من مشهد موحش! بإمكان المرء أن يتخيل نفسه عند بحيرة إسكتلندية بعيداً عن أي مكان. وعلى بعد بضعة أميال كانت هناك

الفنادق والمتاجر والحشود الغفيرة لمنطقة ريدكي. وأخذ يفكر مليًا في التباين المذهل بين المناظر الطبيعية الإنجليزية؛ ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يفعل فيها ذلك.

سمع صوت هدير المياه التي تحركها المجاديف في أثناء اقتراب المعدية من جانب الرصيف الضيق. هبط آرثر كالجري الرصيف المنحدر وركب المعدية؛ حيث ثبتها قائدها باستخدام مرساة. كان رجلًا عجوزًا وأعطى لـ كالجري انطباعًا غريبًا بأنه هو ومركبته ينتميان لبعضهما كأنهما كيان واحد لا ينفصل.

هبت نسمات باردة محدثة حفيفًا آتيًا من ناحية البحر في أثناء انطلاقهما وسط المياه.

قال قائد المعدية: "الجو بارد هذه الليلة".

رد كالجري برد مناسب؛ ووافقه الرأي بأن الجو أكثر برودة من الأمس.

أدرك - أو ظن أنه أدرك - الفضول المستتر بعيني قائد المعدية. فها هو ذا أمام غريب - غريب يأتي إلى هذه المنطقة بعد انتهاء موسم السياحة. بالإضافة إلى ذلك، كان هذا الغريب يمر في ساعة متأخرة من الليل؛ لقد تأخر الوقت كثيرًا لتناول الشاي بالمقهى الموجود بجوار رصيف الميناء. ولم تكن معه أمتعة، إذن فهو ليس قادمًا ليمكث طويلًا. (تساءل كالجري في نفسه: لماذا جاء في وقت متأخر من اليوم؟ هل لأنه كان يؤجل - من دون أن يعي ذلك - هذه اللحظة؟ كان يؤجل هذه اللحظة لأبعد فترة ممكنة، ما كان مضطرًا إلى القيام به؟) وبينما كان يعبر نهر روبيكوني ... النهر ... النهر ... كان يتذكر النهر الآخر ... نهر التايمز.

كان يحدق إليه دون أن يرى شيئًا أمامه (هل حدث ذلك أمس؟) ثم التفت لينظر مرة ثانيةً إلى الرجل الجالس قبالته على الطاولة. تلك العينان الثاقبتان فيهما شيء لا يستطيع فهمه تمامًا. ربما نوع من التحفظ، شيء يفكر به ولكن لا يعبر عنه ...

قال في نفسه: "أظن أنهما تعلما ألا يفصحا عما يفكر فيه صاحبهما مطلقًا".

الأمر برمته مخيف للغاية حين يفكر فيه المرء. يجب أن ينجز ما كان محتمًا عليه إنجازه، وبعد ذلك ينسى كل شيء!

قطب جبينه حين تذكر محادثة أمس. ذلك الصوت اللطيف الهادئ المحايد وهو يقول له:

"أنت حاسم تمامًا بشأن الإجراء الذي يتعين عليك أخذه، يا دكتور كالجري؟".

أجاب بحرارة قائلًا:

"وماذا بإمكاني أن أفعل غير ذلك؟ بالتأكيد أنت ترى ذلك؟ لابد أنك توافقني الرأي؟ لقد صار أمرًا ليس بمقدوري التهرب منه".

ولكنه لم يفهم نظرة تلك العينين الرماديتين الهادئتين، وأربكه قليلًا رد صاحبهما.

"على المرء أن ينظر إلى الموضوع من جميع جوانبه ... ويفكر في الأمر من جميع الزوايا".

"قد تكون هناك زاوية واحدة فقط من وجهة نظر العدالة؟".

كان يتحدث بانفعال، وهو يفكر لوهلة في ذلك الاقتراح الحقير بخصوص "التعتيم" على الموضوع.

"أجل، نوعًا ما. ولكن هناك ما هو أكثر من ذلك، كما تعرف. ما هو أكثر من العدالة، إن جاز لنا التعبير؟".

"لا أوافقك الرأي. هناك أسرة يجب أن توضع في الاعتبار".

وقال الآخر بسرعة: "أجل، تمامًا، تمامًا. كنت أفكر فيها".

وهو ما رآه كالجري مجرد هراء! ذلك لو أن المرء يفكر فيها ...

ولكن على الفور قال الرجل الآخر، من دون أن تتغير نبرة صوته اللطيف:

"الأمر كله يعود إليك، دكتور كالجري. يجب أن تفعل ما تشعر بأنه يتعين عليك القيام به".

استقرت المعدية على الساحل. كان قد عبر نهر روبيكون.

قال قائد المعدية بصوته الهادئ ولكنته الريفية:

"الأجرة أربعة بنسات، يا سيدي، أم ترغب أن أنتظرك للعودة؟".

قال كالجري: "كلا. لن تكون هناك عودة". (كم بدت الكلمات بغيضة!).

دفع الأجرة، ثم سأل قائد المعدية:

"هل تعرف منزلًا يدعى صني بوينت؟".

وعلى الفور، صار الفضول واضحًا؛ وبدا الاهتمام يتقافز بحماس في عيني الرجل العجوز.

قال: "أوه، بالتأكيد. هو هناك على يمينك ... يمكنك أن تراه وسط الأشجار. اصعد إلى التلة وسر على طول الطريق ناحية اليمين، ثم انعطف ناحية الشارع الجديد الذي يمر عبر المساكن. ستجده آخر منزل ... في أقصى نهاية الطريق".

"شكرًا لك".

"هل قلت منزل صني بوينت، يا سيدي؟ حيث كانت السيدة أرجيل ..."

قاطعه كالجري قائلًا: "أجل، أجل ... صني بوينت". كانت كلماته مقتضبة؛ حيث إنه لم يكن راغبًا في مناقشة الأمر.

علت ابتسامة خفيفة وغريبة - نوعًا ما - شفتي قائد المعدية. وبدا فجأة كأنه تمثال قديم لوجه خبيث.

"هي من أطلق هذا الاسم على المنزل ... في أثناء فترة الحرب. كان منزلًا جديدًا، كان قد بُني حديثًا ... ولم يكن له اسم. ولكن الأرض التي بُني عليها المنزل - قطعة الأرض المكسوة بالأشجار الكثيفة - كانت تدعى فايبرز بوينت (أرض الأفعى)! ولكنها كرهت هذا الاسم؛ فهو ليس اسمًا مناسبًا لمنزلها، ولذا، أسمته صني بوينت (الأرض المشمسة). ولكن نحن ما زلنا نسميه فايبرز بوينت".

شكره كالجري على نحو فظ، وتمنى له ليلة طيبة، وتوجه ناحية التلة. بدا أن الجميع داخل منازلهم، ولكن كان ينتابه شعور بأن عيونًا خفية تتلصص عبر نوافذ البيوت، كأنهم يراقبونه ويعرفون وجهته. كأنهم يقولون لبعضهم: "إنه ذاهب إلى فايبرز بوينت ..."

فايبرز بوينت. يا له من اسم قبيح ملائم؛ بدا كأنه ....

أكثر حدة من أنياب الأفعى ....

نفض أفكاره سريعًا. كان يتعين عليه أن يتمالك نفسه ويحسم أمره بخصوص ما سيقوله بالضبط ...

2

وصل كالجري إلى نهاية الشارع الجديد الجميل الموجود على جانبيه منازل جديدة وأنيقة، لكل واحد منها حديقة تبلغ مساحتها ثمانية أفدنة مزروعة نباتات صخرية وزهور الأقحوان والورد ونباتات المريمية ونبات الغرنوقي، وكان صاحب كل منزل يستعرض ذوقه الخاص في نباتات حديقته.

وفي نهاية الشارع، رأى بوابة منزل صني بوينت مكتوبًا عليها اسم المنزل بحروف قوطية الطراز. فتح الباب ومر من خلاله وسار على طول ممر قصير للسيارات. كان المنزل قبالته؛ منزل جيد البناء، حديث الطراز، ذو شرفات واسعة، ليس هناك ما يميزه على وجه الخصوص. ربما سيتواجد هذا المنزل في أي حي من الأحياء الراقية بضواحي المدينة أو في مجمع سكني جديد في أي مكان. ومن وجهة نظر كالجري، كان المنزل غير جدير بالمنظر الذي يطل عليه؛ إذ كان المنظر الطبيعي خلابًا. كان النهر ينعطف

بحدة من عند زاوية المنزل ليعود مرة أخرى من حيث أتى. وعلى الجانب المقابل كانت هناك تلال كثيفة الأشجار، وناحية اليسار على طول المجرى المائي ينعطف النهر حول المروج والحقول النائية.

تطلع كالجري إلى يمين النهر ويساره لبرهة. وقال في نفسه لابد أن يبني المرء قلعة في هذا المكان، قلعة أسطورية خيالية إلى حد غير معقول كتلك التي تُبنى بكعك الزنجبيل أو السكر المجمد كما في الحكايات الخرافية! بيد أن المنزل أُنفق عليه الكثير من المال وتوافر فيه الذوق الراقي والمتحفظ الخالي من المغالاة؛ ويفتقر إلى الخيال تماماً.

وبالطبع، لا يستطيع المرء لوم آل أرجيل. لقد اشتروا المنزل وحسب؛ ولم يبنوه بأنفسهم. ومع ذلك، فإنهم، أو على الأقل واحد منهم (هل كان اختيار السيدة أرجيل؟) قد اختاره ....

قال في نفسه: "لا يمكنك تأجيل الأمر أكثر من ذلك ..."، وضغط على الجرس الكهربائي الموجود بجوار الباب.

وقف ينتظر أمام الباب. وبعد فترة زمنية طويلة، ضغط على الجرس مرة أخرى.

لم يسمع وقع خطوات في الداخل؛ ولكن، من دون سابق إنذار، انفتح الباب فجأة.

تراجع خطوة إلى الوراء متفاجئًا. بدا الأمر - وفقًا لخياله المتقد بالفعل - كأنه يقف أمام تجسيد حي لمأساة تقطع عليه الطريق. كانت هذه المأساة تتمثل في وَجْهٍ شابّ؛ إذ إن جوهر المأساة يكمن في مرارة حدوثها للشباب. قال في نفسه إن القناعَ المأساوي يبقى دومًا قناعًا خاصًا بالشباب ... يتسم بالعجز، المقدر سلفًا، وكأن شيئًا سيئًا سيأتي ... من المستقبل ...

استجمع شتات نفسه وفكر مليًا بمنطقية:"ذلك الجمال الأيرلندي"؛ تلك العينان الزرقاوان العميقتان، والهالات السوداء أسفلهما، والشعر الأسود الهائش، ذلك الجمال الحزين الذي يظهر على العظام البارزة للجمجمة والوجنتين ....

وقفت الفتاة الشابة في حذر وعداء:

"نعم؟ ماذا تريد؟".

رد بطريقة رسمية.

"هل السيد أرجيل موجود بالداخل؟".

"أجل. ولكنه لا يقابل الناس. أقصد من لا يعرفهم. إنه لا يعرفك، أليس كذلك؟".

"أجل. إنه لا يعرفني، ولكن ..."

وهمت بإغلاق الباب.

"إذن، من الأفضل أن تكتب ..."

"معذرة، ولكن أود مقابلته لأمر خاص. هل أنتِ ... الآنسة أرجيل؟".

ردت على مضض قائلة: "أجل، أنا هيستر أرجيل. ولكن أبي لا يقابل أحدًا ... بدون موعد مسبق. من الأفضل أن تكتب له رسالة".

"لقد قطعت مسافة طويلة ..."؛ لم تتأثر بكلامه.

"الجميع يقولون ذلك. ولكني ظننت أن مثل هذه الأشياء توقفت أخيرًا". وواصلت حديثها موجهة له الاتهام: "أنت صحفي على ما أظن؟".

"كلا، كلا، ليس شيئًا من هذا القبيل".

نظرت له في ريبة كما لو أنها لا تصدقه.

"حسنًا، ماذا تريد إذن؟".

رأى وجهًا آخر من خلفها آتيًا على بعد من الردهة. كان وجهًا خاليًا من التعبيرات غير جذاب. ولو وصفه لقال إنه وجه أشبه بالفطيرة، وجه سيدة في منتصف العمر ذات شعر مجعد رمادي اللون مشوب بالصفرة يكلل رأسها. وبدت كأنها تحوم حول المكان، مترقبة شيئًا ما، مثل تنين يقظ.

قال دكتور كالجري:"الأمر متعلق بأخيكِ، يا آنسة أرجيل".

أخذت هيستر أرجيل نفسها بحدة. وقالت وهي لا تصدق ما سمعته: "مايكل؟".

"كلا، بل أخوكِ جاك".

صاحت في غضب قائلة: "كنت أعرف! كنت أعرف أنك قادم بخصوص جاكو! لم لا تتركوننا ننعم بالسلام؟ لقد انتهى كل شيء وقُضي الأمر. لماذا نواصل الحديث عنه باستمرار؟".

"لا يمكنكِ أن تقولي إن كل شيء انتهى".

"ولكنه انتهى بالفعل! لقد مات جاكو. لم لا تتركونه وشأنه؟ لقد انتهى الأمر برمته. لو لم تكن صحفيًا، لظننت أنك طبيب أو عالم نفس أو شيء من هذا القبيل. انصرف من فضلك. لا يمكن إزعاج أبي؛ فهو مشغول".

وهمت بإغلاق الباب مرة أخرى. وعلى الفور، فعل كالجري ما كان ينبغي عليه فعله من البداية؛ حيث أخرج خطابًا من جيبه ودفعه إليها.

"معي خطاب ... من السيد مارشال".

تفاجأت بذلك. وأطبقت أصابعها على المظروف في ارتياب، وقالت متشككة:

"من السيد مارشال ... من لندن؟".

في تلك اللحظة، انضمت إليها فجأة السيدة متوسطة العمر كانت تراقب الموقف في آخر الردهة. حدقت إلى كالجري في ارتياب، فتذكر دور العبادة أجنبية الطابع. بالطبع، لابد أن هذا وجه سيدة متدينة، لم يكن وجهًا يبعث على التأمل؛ بل كان وجهًا لسيدة تحدق إليك في ارتياب عبر فرجة صغيرة لباب سميك، قبل أن تسمح لك على مضض بالدخول إلى قاعة الزوار أو مقابلة أحد الأشخاص المهمين. قالت: "هل جئت من طرف السيد مارشال؟".

قالتها كأنها تتهمه بشيء.

كانت هيستر تحدق إلى المظروف الذي بين يديها. وبلا أية مقدمات، استدارت وركضت لتصعد درج السلم.

ظل كالجري واقفًا عند عتبة الباب، مقاومًا نظرات الشك والارتياب النارية من جانب السيدة الأشبه بالتنين.

أخذ يبحث عن شيء ليقوله، ولكنه لم يستطع التفكير في أي شيء. ومن ثم، التزم الصمت بحذر.

في تلك اللحظة، جاء صوت هيستر، الفاتر والمتحفظ، من الطابق العلوي إليهما.

قالت:"أبي يقول دعيه يصعد".

تحرك كلب الحراسة مفسحًا له الطريق على مضض. ولم يتغير تعبير الارتياب الذي كسا وجهها. مر من جانبها، ووضع قبعته على أحد الكراسي، وصعد الدرج حيث تقف هيستر في انتظاره.

بدا له أن من يعيشون بالمنزل يهتمون بالنظافة الشخصية اهتمامًا لافتًا؛ إذ بدا المنزل من الداخل كأنه مستشفى خاص باهظ التكاليف.

قادته هيستر عبر ردهة ونزل ثلاث درجات، ثم فتحت أحد الأبواب وأشارت إليه بالدخول ليعبر خلاله، ثم دخلت الغرفة وراءه، وأغلقت الباب خلفها.

كانت الغرفة عبارة عن مكتبة. رفع كالجري رأسه مستشعرًا البهجة والسرور. كانت أجواء هذه الغرفة تختلف تمامًا عن باقي المنزل. كانت غرفة يعيش بها المرء؛ حيث يعمل ويسترخي على حد سواء. كانت الكتب تغطي الجدران، أما الكراسي فكانت ضخمة، رثة نوعًا ما ولكنها مريحة. تناثرت الأوراق في فوضى محببة للنفس فوق المكتب، وتناثرت الكتب فوق الطاولات. لمح سريعًا شابة تغادر الغرفة من باب أقصى نهاية الغرفة، شابة جذابة للغاية. ثم تحول انتباهه إلى الرجل الذي وقف وتقدم نحوه

ليرحب به وفي يده الخطاب.

أول انطباع أخذه كالجري عن ليو أرجيل أنه رجل ضعيف للغاية، واضح للغاية، تكاد لا تشعر بوجوده على الإطلاق. كأنه شبح لرجل! كان صوته، حين تحدث، لطيفاً رغم أنه تنقصه الرزانة.

قال ليو أرجيل: "دكتور كالجري؟ تفضل بالجلوس".

جلس كالجري، وأخذ السيجارة التي عرضها عليه مضيفه الذي جلس قبالته. حدث كل هذا من دون استعجال كما لو أنه في عالم لا يعني فيه الوقت شيئاً كبيراً. بدت على وجه ليو، في أثناء حديثه، ابتسامة طفيفة ولطيفة، وهو ينقر على الخطاب بلطف بإصبعه الشاحب.

"قال السيد مارشال إن لديك رسالة مهمة لنا، برغم أنه لم يحدد طبيعتها". وزادت ابتسامته وهو يضيف قائلاً: "المحامون حريصون دوماً على عدم إلزام أنفسهم بشيء، أليس كذلك؟".

وخطر على بال كالجري شيء من الدهشة والذهول لكونه يجلس أمام رجل سعيد. ليس ذلك النوع من السعادة المفعمة بالحيوية أو الحماسة، كما هي الحال عادةً مع السعادة؛ ولكن سعادة مبهمة نوعاً ما يستقيها من شعوره بالرضا من عزلته. كان هذا رجلاً لا يتأثر بالعالم الخارجي وهذا بالتأكيد أمر يشعره بالرضا. لم يكن يعرف السبب وراء شعوره بالدهشة من هذا؛ ولكنه كان يشعر بالدهشة على أية حال.

قال كالجري:

"يا لها من لافتة كريمة أن تقابلني!". بدت الكلمات كأنها مجرد تقدمة تقليدية. واستطرد قائلاً: "رأيت أن مقابلتك وجهاً لوجه أفضل من إرسال رسالة لك"، ثم توقف لبرهة وقال بدفعة مفاجئة من الحماس: "من الصعب ... من الصعب جداً ..."

"خذ وقتك".

كان ليو أرجيل ما زال يجلس على بعد ملتزماً بقواعد الأدب والكياسة.

ثم مال إلى الأمام؛ كان من الواضح أنه يحاول مساعدته بطريقته اللطيفة.

"طالما أنك أحضرت هذا الخطاب من طرف مارشال، أظن أن زيارتك متعلقة بابني جاكو تعيس الحظ - أقصد جاك - كان جاكو هو اسم التدليل له".

نسي كالجري كلماته وعباراته المنتقاة بعناية. جلس في مكانه يواجه الحقيقة المفزعة لما يتعين عليه قوله. تلعثم مرة أخرى.

"من الصعب جداً ..."

سادت لحظة صمت، ثم قال ليو بحذر:

"إن كان هذا يساعدك ... دعني أقل لك إننا مدركون تمامًا أن جاكو لم يكن ... شخصية سوية. على الأرجح لن يدهشنا شيء مما ستقوله. وبقدر هول المصيبة، فأنا مقتنع تمامًا بأن جاكو لم يكن مسئولًا عن تصرفاته".

"بالطبع، لم يكن مسئولًا"، كان هذا هو صوت هيستر. أجفل كالجري من صوتها؛ فقد نسي وجودها للحظة. كانت تجلس على ذراع مقعد موجود خلفه ناحية اليمين، وبينما أدار رأسه لها، مالت نحوه بلهفة.

قالت له كأنها تأتمنه على سر: "كان جاكو بشعًا. كان أشبه بصبي صغير ... أقصد حين يفقد أعصابه. كان يمسك بأي شيء يجده أمامه ... ويهجم عليك ...".

قال أرجيل بنبرة صوت منكسرة: "هيستر ... هيستر ... عزيزتي!".

أجفلت هيستر ووضعت يدها على شفتيها سريعًا. لقد تسرعت وتحدثت بارتباك الشباب.

قالت: "أنا آسفة. لم أقصد ... نسيت .. أنا ... أنا ... ما كان لي أن أقول شيئًا كهذا ... ليس الآن بعد أن ... أقصد بعد أن انتهى الأمر برمته ... و..."

قال أرجيل: "انتهى وانقضى. لقد صار كل هذا ماضيًا. أحاول ... إننا جميعًا نحاول ... أن نقنع أنفسنا بأن الفتى كان مريضًا حتمًا. واحدة من لعنات الطبيعة. أظن أن هذا هو التوصيف الأفضل للأمر". نظر إلى كالجري وقال: "أتتفق معي؟".

قال كالجري: "كلا".

سادت لحظة من الصمت. تفاجأ مستمعاه بالنفي القاطع في رده. لقد جاء الرد بقوة انفجار مدوٍّ. قال بارتباك محاولًا تلطيف أثر نفيه القاطع:

"أنا ... أنا آسف. أنتما لم تفهماني بعد".

بدا أن أرجيل يفكر مليًا وهو يقول: "أوه!" ثم التفت إلى ابنته قائلًا: "هيستر، أظن أنه من الأفضل أن تتركينا ...."

"لن أغادر الغرفة! يجب أن أسمع ... أن أعرف ما الأمر".

"ربما يكون مزعجًا ...."

صاحت هيستر في نفاد صبر:

"وما فائدة الأشياء البشعة التي ربما يكون جاكو قد ارتكبها؟ لقد انتهى كل شيء".

تحدث كالجري على الفور.

"من فضلك صدقيني ... مستحيل أن يفعل أخوكِ شيئًا كهذا ... على العكس تمامًا".

"لا أفهمك ..."

انفتح الباب الموجود عند أقصى طرف الغرفة ودخلت الشابة التي لمحها كالجري في وقت سابق. كانت ترتدي معطفًا للخروج، وتحمل حقيبة أوراق صغيرة.

وجهت حديثها إلى أرجيل.

"سأغادر الآن. هل هناك شيء آخر ..."

تردد أرجيل للحظة (ظن كالجري أن أرجيل من عادته التردد دومًا) ثم وضع يده على ذراعها وجذبها إلى الأمام.

قال: "اجلسي، يا جويندا. هذا .. هذا .. آآآ ... الدكتور كالجري. هذه الآنسة فوجان، وهي ....". سكت لبرهة مرة ثانية كما لو أنه في شك من أمره. واستطرد قائلًا: "وهي سكرتيرتي منذ بضع سنوات الآن"، ثم أضاف قائلًا: "الدكتور كالجري جاء ليخبرنا بشيء ... أو يسألنا عن شيء عن ... عن جاكو ..."

قاطعه كالجري قائلًا: "لأخبرك بشيء. وفي كل لحظة أنت تصعب عليّ الأمر أكثر، رغم عدم إدراكك ذلك".

نظر الجميع إليه بدهشة بعض الشيء، ولكنه رأى في عيني جويندا فوجان بريقًا لامعًا بدا كأنها فهمت ما هو بصدد قوله. بدا كأنه ساد بينهما اتفاق للحظة، كما لو أنها قالت له: "أجل ... أعرف مدى صعوبة التعامل مع آل أرجيل".

رأى كالجري أنها شابة جذابة؛ رغم أنها لم تكن صغيرة في السن كثيرًا؛ ربما كانت في السابعة والثلاثين أو الثامنة والثلاثين. كانت ذات قوام ممتلئ، وشعر داكن وعينين غامقتين، وبوجه عام تتمتع بالصحة والحيوية. وتركت انطباعًا بأنها تتمتع بالكفاءة والذكاء على حد سواء.

قال أرجيل بشيء من التحفظ: "لست مدركًا تمامًا كيفية تصعيب الأمور عليك، يا دكتور كالجري. بالتأكيد لم أفعل ذلك عن قصد. هلا دخلت في صلب الموضوع ..."

"أجل، أعرف ذلك. اعذرني على ما قلته. ولكن إصرارك أنت ... وابنتك والتأكيد باستمرار أن الأمور انتهت الآن ... قُضي الأمر ... انتهى. لم ينتهِ شيء. من الذي قال: ما من شيء ينتهي أبدًا حتى ..."

"حتى ينتهي على نحو صحيح" قالها كيبلينج، أكملت الآنسة فوجان العبارة له.

أومأت الآنسة فوجان مشجعة إياه على استكمال حديثه؛ وشعر هو بالامتنان لها.

واصل كالجري حديثه قائلًا: "سأدخل في صلب الموضوع. حين تسمعون ما يتعين عليّ قوله، ستفهمون ... ستفهمون سبب ترددي، أو بالأحرى مصيبتي. بدايةً، يجب أن أذكر بضعة أشياء عن نفسي. أنا عالم (جيوفزيائي) متخصص في فيزياء الأرض، وشاركت مؤخراً في رحلة استكشاف قارة أنتاركتيكا. ولم أعد إلى إنجلترا إلا منذ بضعة أسابيع".

تساءلت جويندا: "هل كنت مشاركًا في الرحلة الاستكشافية باسم هايز بينتلي؟".

"أجل، الرحلة الاستكشافية باسم هايز بينتلي. أقول هذا لأوضح لكم خلفيتي، وكذلك لأوضح لكم أنني منقطع منذ ما يقرب من عامين ... منقطع عن الأحداث الجارية".

واستطردت جويندا لتساعده:

"أنت تقصد ... أمور مثل المحاكمات الخاصة بجرائم القتل؟".

"أجل، يا آنسة فوجان، هذا بالضبط ما أقصده".

ثم التفت إلى أرجيل.

وقال له: "من فضلك، سامحني إن كان ما سأقوله مؤلمًا، ولكن يجب أن أراجع معك بعض التواريخ والفترات. في 9 نوفمبر قبل عامين في حوالي الساعة السادسة مساءً، جاء ابنك، جاك أرجيل (أو جاكو كما كنتم تدللونه)، وقابل والدته، السيدة أرجيل".

"أجل، زوجتي".

"أخبرها بأنه يمر بضائقة مالية وطلب منها أموالًا. هذا حدث قبل ..."

تنهد ليو قائلًا: "حدث ذلك عدة مرات".

"رفضت السيدة أرجيل إعطاءه المال. انفعل بشدة وصار عدوانيًا، ثم هددها. في النهاية، خرج مندفعًا وغادر المنزل وهو يصيح بأنه سيعود وأنها "يجب أن تسد عنه دينه حتمًا" قال لها: "أنت لا تريدين دخولي السجن، أليس كذلك؟" وردت عليه: "بدأت أعتقد أن هذا أفضل لك"".

بدا على ليو أرجيل الانزعاج.

قال: "لقد تحدثت أنا وزوجتي في هذا الأمر. كنا ... كنا تعيسين للغاية بسبب ابننا. كنا نهرع إلى إنقاذه مرة تلو أخرى، ونحاول إعطاءه فرصة البدء من جديد. بدا لنا أنه ربما يستفيق على صدمة الحبس في السجن ... والتهذيب ...." خفت صوته حتى سكت، ثم قال: "أكمل من فضلك".

واصل كالجري حديثه قائلًا:

"في وقت لاحق من تلك الليلة، قُتلت زوجتك. هاجمها أحدهم بالقضيب الحديدي لإذكاء النار وأجهز عليها. كانت بصمات أصابع ابنك على القضيب الحديدي، كما اختفى مبلغ كبير من درج المكتب كانت قد وضعته في وقت سابق من هذا اليوم. أمسكت الشرطة ابنك في مدينة درايماوث. ووجدوا المبلغ معه، كان معظم المبلغ من فئة الجنيهات الخمسة، وكتب على إحداها اسمه وعنوانه وهو ما مكن البنك من أن يتعرف على الأموال التي تم صرفها للسيدة أرجيل صباح ذلك اليوم. تم توجيه الاتهام إليه ومحاكمته"، صمت كالجري لبرهة وقال: "وأصدرت المحكمة حكمًا بإدانته بالقتل العمد".

لقد خرجت منه الكلمة ... الكلمة المشئومة ... القتل ... كلمة بلا صدى، كلمة جامدة، كلمة تجدها على الأرفف ... في الكتب ... يمكن أن تكبت الكلمة وتخفيها، ولكن لا يمكنك أن تخفي جريمة قتل حدثت بالفعل ...

"لقد فهمت من السيد مارشال ـ محامي الدفاع ـ أن ابنك أكد براءته عند إلقاء القبض عليه، بطريقة حسنة، إن لم تكن بالغة الثقة واليقين. وقد أصر على أنه لديه دفاع جيد بتواجده في مكان آخر وقت وقوع الجريمة والذي حددته الشرطة بين الساعة السابعة والسابعة والنصف. في ذلك الوقت، قال جاك أرجيل إنه في ذلك الوقت كان يقف على الطريق يبحث عن سيارة تقله إلى مدينة درايماوث، وبالفعل وقفت له سيارة على الطريق الرئيسي بين ريدمن ودرايماوث على بعد مسافة ميل من هنا، وكان ذلك قبل الساعة السابعة. لم يكن يعرف طراز السيارة (لأن الجو كان معتمًا في هذه الأثناء) ولكنها كانت سيارة لونها أسود أو أزرق داكن يقودها رجل متوسط العمر. وبُذلت كل الجهود الممكنة لتعقب هذه السيارة وقائدها، ولكن لم يتم التأكد من صحة شهادة جاك، والمحامون أنفسهم كانوا مقتنعين تمامًا بأنها كانت مجرد قصة نسجها الفتى ولكنه لم ينسجها ببراعة بالغة ...

"اعتمد الدفاع بشكل أساسي في أثناء المحاكمة على أدلة الأطباء النفسيين الذين سعوا إلى إثبات أن جاك أرجيل كان يعاني دومًا حالة عدم استقرار نفسي. وانتقد القاضي هذا الدليل في تعقيبه على الأدلة وتوصل إلى حكم بات وقاطع. لقد حُكم على جاك أرجيل بالسجن مدى الحياة. وتوفي في السجن إثر الإصابة بالالتهاب الرئوي بعد ستة أشهر من بدء تنفيذ الحكم عليه".

سكت كالجري عن الكلام. كانت عيون الحاضرين مثبتة عليه. رأى الاهتمام والانتباه الشديدين في عيني جويندا فوجان، ورأى الشك في عيني هيستر باقيًا، أما ليو أرجيل فلم يبد في عينيه شيء.

قال كالجري: "هلا أكدت صحة الحقائق التي قلتها توًا!".

قال ليو: "أنت محق تمامًا فيما قلت، رغم أنني لا أرى السبب وراء ضرورة إعادة سرد هذه الحقائق المؤلمة التي نحاول جميعًا نسيانها".

"اعذرني. يجب أن أفعل ذلك. أرى أنك لا تعارض قرار المحكمة وهيئة المحلفين؟".

"أقر بأن الحقائق صحيحة كما ذكرتها ... أقصد أنك حتى لو لم تتبع الحقائق، فإنها جريمة قتل واضحة. ولكن إذا تتبعت الحقائق فعلًا، فستجد أن الكثير من الأمور قد خُففت حدتها. كان الصبي يعاني حالة عدم استقرار نفسي، ولكن للأسف ليس بالمعنى القانوني للكلمة. فقوانين ماكنويتن - المعنية بإثبات فقدان أهلية المتهم في أثناء ارتكابه جريمة القتل - محدودة وغير مرضية. أؤكد لك دكتور كالجري، أن زوجتي راشيل نفسها - الراحلة - كانت ستعفو عن الفتى البائس وتعذره على فعلته الطائشة. كانت مفكرة إنسانية متحضرة جدًا ولديها معرفة عميقة بالعوامل النفسية. ما كانت لتدينه بالجريمة أبدًا".

قالت هيستر: "كانت تعرف كم كان في مقدور جاكو أن يكون بشعًا. كان دومًا ... كان يبدو أنه ليس في استطاعته أن يتمالك نفسه".

قال كالجري بتروٍّ: "إذن، جميعكم ليس لديكم أدنى شك؟ أقصد... شك في إدانته بالذنب".

حدقت هيستر إليه.

"وكيف نشك في ذلك؟ بالطبع، كان مذنبًا".

اعترض ليو قائلًا: "ليس مذنبًا حقًا. الكلمة لا تروقني".

أخذ كالجري نفسًا عميقًا وقال: "بل إنها ليست الكلمة الصحيحة. لقد كان جاك أرجيل ... بريئًا!".

الثاني

كان من المفترض أن يكون هذا إعلاناً لخبر رائع؛ ولكن كان وقع الخبر عليهم خالياً من أية تعبيرات. لقد توقع كالجري من جانبهم الارتباك، فرحة مشوبة بالشك وعدم الفهم، أسئلة حماسية .... لم يكن هناك شيء من هذا. لم يبد سوى الحذر والارتياب. كانت جويندا فوجان مقطبة جبينها؛ بينما حدقت إليه هيستر بعينين تملؤهما الدهشة. حسناً، ربما كان هذا رد فعل طبيعياً ... فمثل هذه الأخبار يصعب استيعابها دفعة واحدة.

قال ليو أرجيل في تردد:

"هل تقصد، يا دكتور كالجري، أنك توافقني الرأي بخصوص موقفي؟ أنت لا تراه مسئولاً عن تصرفاته؟".

"بل أقصد أنه لم يرتكب الجريمة! ألا تستطيع فهم ما أقوله، يا رجل؟ إنه لم يفعلها. ليس بإمكانه أن يفعلها. ما كان بوسعه أن يثبت براءته لولا اجتماع الظروف الغريبة والتعيسة. كان بإمكاني أن أثبت براءته".

"أنت؟".

"أنا الرجل الذي اصطحبه في السيارة".

لقد قالها بكل بساطة لدرجة أنهم لم يستوعبوا الأمر من الوهلة الأولى. وقبل أن يتمالكوا أنفسهم، حدث ما قطع الحديث.

انفتح الباب ودخلت السيدة ذات الوجه القبيح إلى الغرفة. تحدثت مباشرة وفي صلب الموضوع.

قالت: "لقد سمعت ما تقولونه في أثناء مروري بجوار الباب من الخارج. هذا الرجل يقول إن جاكو لم يقتل السيدة أرجيل. لماذا يقول هذا؟ كيف عرف ذلك؟".

بدا وجهها - الذي كان يتسم بالعدوانية والشراسة - متجعداً فجأة.

قالت بنبرة يرثى لها: "يجب أن أسمع ما يُقال. لا يمكنني البقاء في الخارج من دون أن أعرف ماذا يجري".

قال ليو أرجيل: "كلا، بالتأكيد يا كريستي. أنت واحدة من الأسرة"، ثم قدمها إلى الضيف: "هذه الآنسة ليندستروم، هذا دكتور كالجري. دكتور كالجري يقول

أشياء لا تصدق".

تفاجأ كالجري من الاسم الإسكتلندي لـ كريستي. كانت لغتها الإنجليزية ممتازة، ولكن بقت تشوبها لكنة أجنبية طفيفة.

تحدثت إليه بنبرة اتهام قائلة:

"ما ينبغي لك أن تأتي إلى هنا وتقول أشياء ... تزعج الآخرين. لقد رضوا بالابتلاء. والآن، أنت تأتي لتزعجهم بما تقوله. ما حدث كان مشيئة الله".

شعر بالرفض من الإذعان البادي في عبارتها. رأى أنها ربما تكون واحدة من الأشخاص الذين يرحبون بالمصائب على نحو إيجابي. حسنًا، ستُحرم الآن من كل هذا.

تحدث بنبرة سريعة وجافة.

"في الساعة السابعة إلا خمس دقائق من تلك الليلة، أخذت في طريقي شابًا من على الطريق الرئيسي بين مدينتي ريدمين ودرايماوث، كان يشير للسيارات على الطريق ليوصله أحد. اصطحبته في السيارة إلى درايماوث. وتجاذبنا أطراف الحديث. رأيته شابًا اجتماعيًا ومحبوبًا".

قالت جويندا: "كان جاكو يتمتع بجاذبية رائعة. كان الجميع يرونه جذابًا. ولكن مزاجه الحاد هو ما خذله. وكانت له طرقه الملتوية، بالطبع"، ثم أضافت متأملة: "ولكن لم يكتشف أحد هذا لبعض الوقت".

التفتت الآنسة ليندستروم إليها.

قالت: "لا ينبغي لك أن تتحدثي بهذه الطريقة عن شخص متوفى".

قال ليو أرجيل بشيء من الحدة: "من فضلك واصل حديثك، يا دكتور كالجري. لماذا لم تأت لتدلي بشهادتك في الوقت المناسب؟".

لهثت هيستر قائلة: "أجل، لماذا تهربت من الإدلاء بشهادتك؟ كانت هناك مناشدات استغاثة في الصحف ... إعلانات. كيف أمكنك أن تكون أنانيًا للغاية، وخبيثًا للغاية؟".

قاطعها والدها قائلًا: "هيستر ... هيستر ... دكتور كالجري يخبرنا بقصته".

وجه كالجري حديثه إلى الفتاة مباشرة.

"أدرك شعورك جيدًا. وأدرك ما أشعر به نفسي ... وما سأشعر به دومًا ..."، ثم تمالك نفسه وواصل حديثه قائلًا:

"ولاستكمال قصتي: كانت الطرق مزدحمة في تلك الليلة. كانت الساعة قد تعدت السابعة والنصف حين أوصلت الشاب، الذي لم أكن أعرف اسمه حينها، وسط درايماوث. وعرفت أن هذه الوقائع ستبرئه نظرًا لأن الشرطة واثقة تمامًا بأن الجريمة وقعت بين

الساعة السابعة والسابعة والنصف".

قاطعته هيستر قائلة: "أجل، ولكنك ..."

"من فضلك، تحلي بالصبر. لأوضح لكم الأمور، يجب أن أعود بالزمن للوراء قليلًا. أمضيت يومين في درايماوث في شقة أحد الأصدقاء. وكان هذا الصديق في رحلة بحرية حيث إنه يعمل بحاراً. كما أعارني سيارته التي كان يحتفظ بها في مرآب خاص. وفي ذلك اليوم، 9 نوفمبر، كنت بصدد عودتي إلى لندن. وقررت أن أسافر إلى هناك بقطار المساء لأقضي عصر ذلك اليوم في زيارة ممرضة عجوز كانت أسرتي مولعة بها للغاية وكانت تعيش في بيت صغير بمدينة بولجارث على بعد أربعين ميلًا غرب درايماوث. نفذت خطتي. وبرغم أنها كانت مسنة وأصابها بعض من الخرف، فقد تعرفت عليّ وسعدت جداً برؤيتي، وكانت مبتهجة جداً لأنها قرأت في الجرائد عن "رحلتي إلى القطب الجنوبي"، كما قالت. مكثت لفترة قصيرة فقط حتى لا أجهدها، وعند مغادرتي قررت ألا أعود مباشرة إلى درايماوث على طول الطريق الساحلي مثلما جئت، وبدلًا من ذلك سافرت شمالًا إلى ريدمن لزيارة رجل مسن يدعى كانون بيزمارش، حيث يمتلك بعض الكتب النادرة جداً في مكتبته، من بينها دراسات قديمة عن الملاحة كنت متحمساً لنسخ أجزاء منها. لقد رفض العجوز اقتناء هاتف؛ لأنه يعتبره من بدع الشيطان، مثله مثل الراديو والتليفزيون والسينما والطائرات النفاثة، ومن ثم كان يتعين عليّ أن أجازف بالذهاب إلى منزله. ولسوء حظي، كان بيته مغلقاً ومن الواضح أنه لم يكن متواجداً به. قضيت بعض الوقت في دور العبادة، ثم عدت إلى درايماوث عبر الطريق الرئيسي؛ لأكمل الضلع الثالث من مثلث الرحلة. وكنت قد تركت لنفسي مساحة كبيرة من الوقت لأذهب إلى الشقة وآخذ حقائبي وأعيد السيارة إلى المرآب وألحق بقطاري.

وفي الطريق، كما قلت لكم، اصطحبت عابر سبيل وبعد أن أوصلته إلى المدينة، أكملت خط سيري. وبعد أن وصلت إلى المحطة، كان لا يزال أمامي وقت، وخرجت من المحطة إلى الشارع الرئيسي لأشتري سجائر. وبينما كنت أعبر الشارع، جاءت سيارة نقل من عند منعطف الطريق بسرعة كبيرة وصدمتني.

ووفقًا لأقوال المارة، فإنني نهضت، من دون أية إصابات من الناحية الظاهرية وتصرفت بصورة طبيعية للغاية. قلت لهم إنني بخير تماماً وإنني عليّ اللحاق بالقطار وأسرعت عائداً إلى المحطة. وحين وصل القطار إلى مقاطعة بادينجتون، فقدت وعي وتم نقلي إلى المستشفى بسيارة إسعاف؛ حيث تم تشخيص إصابتي بارتجاج في المخ ... من الواضح أن هذا التأثير المتأخر أمر مألوف.

وحين استعدت وعيي، بعد مرور بضعة أيام، لم أتذكر شيئًا عن الحادث أو السفر إلى لندن. كان آخر شيء يمكنني تذكره هو زيارة الممرضة العجوز بمدينة بولجارث. غير ذلك لم أتذكر شيئًا على الإطلاق. وطمأنوني بقولهم إن مثل هذه الحوادث معتادة

للغاية. وبدا أنه ليس هناك سبب للاعتقاد بأن تلك الساعات التي لا أتذكرها من حياتي ذات أهمية. لم يكن لدى أحد، أو لديّ أنا شخصيًا، أدنى فكرة عن قيادتي على طول الطريق بين ريدمين ودرايماوث في تلك الليلة.

كان هناك فاصل زمني قصير جدًا قبل مغادرتي لإنجلترا. مكثت في المستشفى، في معزل تمامًا، بدون صحف. وفي طريقي إلى السفر إلى أستراليا، قدت السيارة مباشرة إلى المطار لألحق بالبعثة الاستكشافية. سادت بعض الشكوك حول ما إذا كنت لائقًا للسفر، ولكنني لم أسمح لهم بمنعي من السفر. كنت مشغولًا جدًا في الاستعدادات والمشاغل مما لم يدع لي مجالًا للاهتمام بقراءة تقارير جرائم القتل، وعلى أية حال فإن اهتمام الرأي العام يخفت بعد إلقاء القبض على الجاني، وفي الوقت الذي عرضت فيه القضية على المحكمة وتمت تغطيتها بالتقارير الصحفية الكاملة، كنت أنا في طريقي إلى القطب الجنوبي".

سكت لبرهة. كانوا ينصتون إليه باهتمام شديد.

"وبعد مرور شهر على عودتي إلى إنجلترا، اكتشفت شيئًا. كنت أريد بعض الجرائد القديمة لتعبئة العينات. وجلبت لي مدبرة المنزل كومة من الجرائد القديمة من غرفة الموقد. وحين فردت إحداها على الطاولة، رأيت صورة فوتوغرافية لشاب بدا وجهه مألوفًا جدًا بالنسبة لي. حاولت أن أتذكر أين قابلت هذا الشاب ومن يكون هو. لم أستطع تذكر شيء ولكن من الغريب أني تذكرت إجراء حوار معه ... كان الحوار يدور عن سمك الثعابين. كان معجبًا ومفتونًا بسماع ملحمة قصة حياة سمك الثعابين. ولكن متى؟ أين؟ قرأت الفقرة، وقرأت اسم الفتى الذي كان يدعى جاك أرجيل، المتهم بارتكاب جريمة القتل، وقرأت أنه أخبر الشرطة بأن رجلًا أوصله بسيارته السوداء.

ثم فجأة، تذكرت الجزء الذي نسيته من حياتي. لقد التقطت هذا الشاب من على الطريق وأوصلته إلى مدينة درايماوث وتركته هناك وعدت إلى الشقة ... وفي أثناء عبوري الشارع لشراء السجائر. تذكرت مجرد لمحة خاطفة عن سيارة نقل اصطدمت بي ... ولا أتذكر شيئًا آخر بعد ذلك حتى دخولي المستشفى. ومازلت لا أتذكر ذهابي إلى محطة القطار لأستقل القطار المتجه إلى لندن. قرأت الفقرة مرات ومرات. كانت المحاكمة قد مر عليها أكثر من عام، ونُسيت القضية تقريبًا. قالت مدبرة المنزل وهي تحاول أن تتذكر: "شاب أجهز على والدته. لا أعرف ما الذي حدث ... أظن أنه أُعدم". قرأت التقارير الصحفية التي نُشرت وقتها، ثم ذهبت إلى مكتب مارشال آند مارشال للمحاماة، الذي تولى الدفاع عن الشاب في القضية. وعرفت أنني تأخرت كثيرًا على إنقاذ الشاب التعس وإطلاق سراحه. لقد توفي إثر الإصابة بالالتهاب الرئوي وهو يقضي عقوبته في السجن. وبرغم أن العدالة لن ترد له اعتباره وهو على قيد الحياة، ولكنها سترد الاعتبار لذكراه. ذهبت إلى الشرطة مع السيد مارشال. وعُرضت القضية على النائب العام. كان الشك يساور مارشال بخصوص إحالة القضية إلى وزارة الداخلية.

بالطبع، ستصلكم منه تقارير كاملة. لم يؤجل هذا الأمر إلا بسبب حرصي على أن أكون أول من يطلعكم على الحقيقة. شعرت بأنه من واجبي أن أخوض هذه المحنة. ومتأكد أنكم متفهمون أنني سأشعر دومًا بالذنب في قرارة نفسي. لو أنني توخيت مزيدًا من الحرص في أثناء عبوري الشارع..." سكت فجأة ثم استطرد قائلًا: "أتفهم أن مشاعركم تجاهي لن تكون طيبة أبدًا - رغم أنني لست ملومًا من الناحية الفعلية ـ ستلمونني جميعًا حتمًا".

قالت جويندا فوجان على الفور بصوتها الدافئ واللطيف: "بالتأكيد، لن نلومك. إنها مجرد ... حادثة من تلك الحوادث. مأساة - لا يمكن تصورها - ولكنها تحدث".

قالت هيستر:

"هل صدقوك؟".

نظر إليها في دهشة.

ثم قالت: "أقصد الشرطة ... هل صدقوك؟ لماذا لم يظنوا أنك لفقت القصة؟".

ابتسم قليلًا رغمًا عنه.

قال برفق: "أنا شاهد ذو سمعة طيبة. لست طرفًا مستفيدًا من ادعاء شيء، وقد تحققوا من القصة التي حكيتها بحرص بالغ، الأدلة الطبية، تفاصيل موثقة من درايماوث. أوه، أجل. كان السيد مارشال حذرًا مثل جميع المحامين بالطبع. ولم يرد أن يبعث الأمل لديكم حتى يتأكد تمامًا من نسبة النجاح".

تململ ليو أرجيل في جلسته وتحدث للمرة الأولى.

"ماذا تقصد بالضبط بكلمة نجاح؟".

قال كالجري بسرعة: "معذرة. ليست هذه الكلمة المناسبة لاستخدامها في هذا المقام. لقد اتُّهم ابنك بجريمة لم يرتكبها، وحوكم عليها، وأُدين ... ومات في السجن. وتحققت له العدالة بعد فوات الأوان. ولكن ما يمكن تحقيقه من وراء هذه العدالة سيتم تحقيقه بالتأكيد، وسيرى الآخرون تحقيقه. وربما التمس وزير الداخلية من الملكة إصدار عفو عنه".

ضحكت هيستر.

"عفو ... عن شيء لم يفعله؟".

"أعرف. تبدو المسميات غير واقعية دومًا. ولكني أتفهم أن العادة جرت على إثارة القضية في مجلس العموم وانتظار الرد الذي يعلن أن جاك أرجيل لم يرتكب الجريمة التي حوكم عليه، وستقوم الجرائد بتغطية هذه الحقيقة بحرية مطلقة".

سكت لبرهة. التزم الجميع الصمت. لاحظ أن الأمر كان صدمة كبرى بالنسبة لهم. ولكن على أية حال، صدمة مفرحة.

قام من مقعده.

وقال متشككًا: "أخشى أن أقول إنه لم يعد لديّ ما أضيفه أكثر من ذلك ... أكرر أسفي الشديد وحزني على ما حدث، وأطلب منكم العفو ... فالآن أنتم تتفهمون الأمر جيدًا. المأساة التي أنهت حياته جعلت حياتي قاتمة. ولكن على الأقل ..."، وتحدث بنبرة ترجٍّ قائلًا: "هذا يعني شيئًا ... أن تعرفوا أنه لم يرتكب هذه الجريمة البشعة ... وأن اسمه ... واسم عائلتكم ... سَيُبَرّآن في عيون العالم ...؟".

لم يحصل على رد من جانبهم وإن كان يأمل في ذلك.

استراح ليو أرجيل في مقعده. ثبتت جويندا عينيها على وجه ليو. جلست هيستر تحدق إلى الأمام بعينين متسعتين من هول المأساة. كانت الآنسة ليندستروم تتمتم بشيء في نفسها وهزت رأسها.

وقف كالجري عند الباب لا حيلة له، يلتفت إلى الوراء لينظر إليهم.

تولت جويندا فوجان زمام الموقف. جاءت إليه ومشت بجواره وهي تقول بصوت خافت:

"من الأفضل أن ترحل الآن، يا دكتور كالجري. كان الأمر صدمة كبيرة. يجب أن يستغرقوا وقتًا لاستيعاب الأمر".

أومأ برأسه وواصل طريقه إلى الخارج. وعند نزول درج السلم انضمت إليه الآنسة ليندستروم.

قالت: "سأرافقك إلى الخارج".

أدرك وهو يلتفت وراءه قبل أن يُغلق الباب خلفه أن جويندا فوجان تجثو على ركبتيها بجوار كرسي ليو أرجيل؛ مما أدهشه قليلًا.

وعند الدرج، وقفت الآنسة ليندستروم وقفة حارس للحدود وتحدثت بحدة.

"لا يمكنك أن تعيده للحياة. إذن، لماذا تجعلهم يعاودون التفكير في الأمر؟ حتى هذه اللحظة، كانوا متقبلين الأمر، ولكنهم الآن سيعانون. من الأفضل أن تدع الأمور كما كانت".

كانت تتحدث في استياء.

قال آرثر كالجري: "يجب أن تبقى ذكراه طيبة".

"يا له من شعور طيب! إنهم بخير جميعًا. ولكنك لم تفكر جيدًا ماذا يعنيه كل هذا. الرجال لا يفكرون أبدًا". ضربت الأرض بقدمها. وقالت: "أنا أحبهم جميعًا. لقد جئت إلى هنا لمساعدة السيدة أرجيل عام 1940 حين أسست - إبان الحرب - دور رعاية للأطفال الذين تعرضت منازلهم للقصف. لم يكن هؤلاء الأطفال يقنعون بشيء رغم أنهم يحصلون على كل شيء يريدونه. وهذا قبل ثمانية عشر عامًا مضت. وحتى بعد موتها، بقيت أنا هنا -للعناية بهم - للحفاظ على نظافة المنزل ورعايتهم ولضمان حصولهم على طعام جيد. أنا أحبهم
جميعًا ... أجل، أحبهم جميعًا ... وجاكو ... لم يكن له فائدة! أوه، أجل، أحبه هو أيضًا. ولكن ... لم تكن له فائدة!".

واستدارت فجأة مبتعدة. بدا كأنها نسيت عرضها اصطحابه إلى الخارج. نزل كالجري الدرج ببطء. وبينما كان يحاول فتح الباب الأمامي الذي ثُبت عليه قفل أمان، سمع وقع خطوات خفيفة على درج السلم. كانت هيستر تنزل إلى الطابق السفلي.

رفعت القفل من على الباب وفتحته. وقفا ينظران إلى بعضهما. لم يتفهم السبب وراء تسديدها نظرة مأساوية لائمة له.

قالت كأنها تهمس الكلمات همسًا:

"لماذا أتيت؟ أوه، لماذا أتيت؟".

نظر إليها في يأس.

قال: "أنا لا أفهمكِ. ألا تريدين تبرئة أخيك؟ ألا تريدين له تحقيق العدالة؟".

قالت كأنها تعيد الكلمة إليه: "أوه، العدالة!".

كرر قائلًا: "أنا لا أفهم ..."

"كل هذه الجعجعة عن العدالة! ما فائدتها بالنسبة لـ جاكو الآن؟ لقد مات. لا يهم جاكو الآن. من يهم نحن!".

"ماذا تقصدين؟".

"ليس المهم المذنب، بل البريء".

أمسكت بذراعه وغرست أصابعها فيه.

"إننا نحن من يهم. ألا تدرك ما الذي فعلته بنا جميعًا؟".

حدق إليها.

ومن الظلام الحالك بالخارج، بزغت هيئة رجل.

قال: "دكتور كالجري؟ سيارة الأجرة في انتظارك، يا سيدي. لتأخذك إلى

درايماوث".

"أوه ... آآآر. شكراً لك".

التفت كالجري إلى هيستر، ولكنها كانت قد دخلت المنزل.

وصُفِقَ الباب الأمامي من ورائه.

الثالث

1

صعدت هيستر الدرج وهي تزيح خصلات شعرها الداكن عن جبينها؛ قابلت كريستي ليندستروم عند درج السلم.

سألتها قائلة: "هل رحل؟".

"أجل، رحل".

وضعت كريستي ليندستروم يدها برقة على كتف هيستر قائلة: "كانت صدمة بالنسبة لك، يا هيستر. تعالي معي، سأصب لك بعضًا من العصير. كان هذا الموقف أكثر من قدرتك على التحمل".

"أنا لا أريد تناول أي شيء، يا كريستي".

"ربما لا تريدين، ولكن العصير مفيد لكِ".

سمحت لها الشابة بأن تقودها عبر الردهة بلا مقاومة، ودخلت إلى غرفة الجلوس الصغيرة الخاص بـ كريستي ليندستروم. أخذت منها العصير الذي قدمته لها وتجرعته ببطء. قالت كريستي ليندستروم بنبرة صوت حزينة:
"لقد كان كل شيء مفاجئًا للغاية. كان لابد من تحذير. لماذا لم يرسل السيد مارشال رسالة أولًا؟".

"أظن أن الدكتور كالجري لم يدعه يفعل ذلك. كان يريد أن يأتي ويخبرني بنفسه".

"يأتي ويخبرنا بنفسه، بالتأكيد! وماذا يظن أن يكون وَقْعُ هذه الأخبار علينا؟".

قالت هيستر بنبرة غريبة خالية من الانفعالات: "أظن أنه اعتقد أننا سنسعد بهذه الأخبار".

"نسعد أو نحزن، كان الأمر صدمة بالنسبة لنا. لا ينبغي له أن يفعل ذلك".

قالت هيستر، وقد استعاد وجهها حيويته: "ولكنها كانت شجاعة منه أن يفعل ذلك. أقصد أن الأمر لم يكن سهلًا عليه. ليأتي ويخبر الأسرة بأن فردًا منها قد أُدين في

جريمة قتل ومات في السجن هو شخص بريء. أجل، أظن أنها كانت شجاعة منه أن يفعل ذلك ... ولكني تمنيت لو أنه لم يفعل".

قالت الآنسة كريستي ليندستروم بسرعة: "هذا ... هذا ما تمنيناه جميعًا".

نظرت إليها هيستر وقد بدا الاهتمام فجأة عليها من الانهماك في التفكير.

"إذن، أنت تشعرين بذلك أيضًا يا كريستي؟ كنت أظن أنني الوحيدة الذي ينتابها هذا الشعور".

قالت الآنسة ليندستروم بحدة: "لست غبية. يمكنني أن أتخيل الاحتمالات التي يبدو أن الدكتور كالجري لم يفكر فيها".

وقفت هيستر وقالت: "يجب أن أذهب إلى أبتي".

وافقتها كريستي ليندستروم الرأي.

"أجل، سيكون لديه وقت الآن ليفكر في أفضل شيء يمكن القيام به".

وحين دخلت هيستر غرفة المكتبة، كانت جويندا فوجان مشغولة بالهاتف. أومأ لها والدها فتوجهت إليه هيستر وجلست على ذراع كرسيه.

قال لها: "إننا نحاول الاتصال بـ ماري وميكي. يجب أن نخبرهما بهذه الأخبار على الفور".

قالت جويندا فوجان: "أهلًا. هل السيدة دورانت؟ ماري؟ جويندا فوجان تتحدث. والدك يريد التحدث إليكِ".

توجه ليو إليها وأخذ منها سماعة الهاتف.

"ماري؟ كيف حالك؟ كيف حال فيليب؟ ... بخير. شيء غريب حدث ... أظن أنه ينبغي أن أخبركم به على الفور. رجل يدعى الدكتور كالجري جاء لزيارتنا. أحضر معه خطابًا من طرف أندرو مارشال. الأمر متعلق بـ جاكو. يبدو - أشياء غريبة للغاية - يبدو أن القصة التي حكاها جاكو في أثناء المحاكمة بخصوص رجل قام بتوصيله بسيارته إلى درايماوث هي قصة حقيقية تمامًا. هذا الدكتور كالجري هو الرجل الذي قام بتوصيله ..." سكت ليصغي لما كانت تقوله على الطرف الآخر. "أجل، حسنًا، يا ماري، لن أخوض في جميع التفاصيل الآن بخصوص سبب عدم مجيئه في الوقت المناسب. لقد وقع له حادث ... وأصيب بارتجاج في المخ. يبدو أن الأمر حقيقي تمامًا. لقد اتصلت بكِ لأقول إننا يجب أن نجتمع في أسرع وقت ممكن. ربما يمكننا استدعاء مارشال ليأتي ويناقش معنا الأمر. أظن أننا يجب علينا أن نحصل على أفضل استشارة قانونية. هل يمكنك أنت وفيليب؟ أجل ... أجل ... أعرف. ولكني أظن يا عزيزتي أن هذا الأمر مهم ... أجل ... حسنًا، اتصلي بي في وقت لاحق، إن أردت ذلك. يجب أن

أحاول العثور على ميكي"، ثم وضع سماعة الهاتف مكانها.

توجهت جويندا فوجان إلى الهاتف.

"هلا حاولت الاتصال بـ ميكي الآن؟".

قالت هيستر:

"إذا كان هذا سيستغرق بعض الوقت، فهل يمكنني إجراء مكالمة، من فضلك يا جويندا؟ أريد الاتصال بـ دونالد".

قال ليو: "بالطبع، ستخرجين معه هذه الليلة، أليس كذلك؟".

قالت هيستر: "كنت سأخرج".

سدد لها والدها نظرة حادة.

قال لها: "هل هذا الموقف ضايقك جداً، يا عزيزتي؟".

قالت هيستر: "لا أدري. لا أدري حقيقة شعوري بالضبط".

أفسحت لها جويندا فوجان الطريق أمام الهاتف. طلبت هيستر رقماً.

وقالت: "هل يمكنني الحديث إلى الدكتور كريج، من فضلك؟ أجل، أجل. هيستر أرجيل تتحدث".

مرت دقيقة أو دقيقتان قبل أن ترد:

"هل هذا دونالد؟ ... اتصلت بك لأخبرك بأنني لا يمكنني حضور المحاضرة الليلة.... كلا، لست مريضة... الأمر ليس كذلك، إنه مجرد ... حسناً إننا لدينا ... لدينا بعض الأخبار الغريبة".

تحدث الدكتور كريج مرة أخرى.

التفتت هيستر إلى والدها، ووضعت يدها على سماعة الهاتف وهي تقول له:

"ليس الأمر سراً، أليس كذلك؟".

قال ليو بتروٍّ: "كلا، كلا، ليس سراً ولكن ... حسناً، أرجو من دونالد أن يحتفظ به لنفسه في الوقت الحالي. تعرفين كيف تنتشر الشائعات، ويُبالغ فيها".

قالت له: "أجل، أعرف"، ثم عاودت الحديث عبر الهاتف مرة أخرى. "أظن أن بإمكانك أن تقول إنها أخبار سارة، يا دونالد، ولكنها ... مزعجة. من الأفضل ألا أتحدث عن الأمر في الهاتف .... لا، لا، لا تأت إلى هنا ... من فضلك لا تأت. ليس الليلة. ربما غداً. الأمر متعلق بـ جاكو. أجل، أجل ... أخي ... لقد اكتشفنا تواً أنه لم يقتل والدتي... ولكن من فضلك ألا تخبر أحداً، يا دونالد، أو تحدث أي شخص في هذا الأمر.

سأخبرك بكل شيء غداً ... لا، يا دونالد، لا...لا يمكنني رؤية أحد هذه الليلة ... حتى أنتَ. من فضلك. لا تخبر أحداً". وضعت سماعة الهاتف وأومأت لـ جويندا لتأخذ سماعة الهاتف.

طلبت جويندا رقماً من درايماوث. قال ليو برقة:

"لماذا لا تحضرين المحاضرة مع دونالد، يا هيستر؟ ستصرف ذهنك عن التفكير في هذه الأمور".

"لا أريد، يا أبتي. لا يمكنني".

قال ليو:

"لقد تحدثت معه ... لقد أعطيته انطباعاً بأنها ليست أخباراً سارة. ولكنك تعرفين، يا هيستر، أن الأمر ليس كذلك. لقد تفاجأنا. ولكن سعدنا جميعنا بهذه الأخبار ... إننا غاية في السعادة ... وكيف لا نسعد بهذه الأخبار؟".

"هذا ما سنقوله، أليس كذلك؟".

قال ليو محذراً:

"طفلتي العزيزة ...."

قالت هيستر: "ولكن هذا ليس صحيحاً، أليس كذلك؟ ليست أخباراً سارة. الأخبار مزعجة جداً".

قالت جويندا:

"ميكي على الخط".

توجه ليو إلى الهاتف مرة أخرى وأمسك بالسماعة. وتحدث إلى ابنه كثيراً مثلما تحدث إلى ابنته. ولكن رد فعل ابنه، ميكي، على الأخبار كان مختلفاً تماماً عن رد فعل ماري دورانت. لم يبد أي اعتراض أو دهشة أو عدم تصديق، بل كان رد فعله عبارة عن موافقة سريعة.

جاء صوت ميكي يقول: "بحق الله! بعد مرور كل هذه الفترة؟ الشاهد المفقود! حسناً، حسناً، لم يحالف الحظ جاكو في تلك الليلة".

تحدث ليو مرة أخرى. وأصغى له ميكي.

قال: "أجل، أوافقك الرأي. من الأفضل أن نجتمع في أقرب وقت ممكن، ونطلب مشورة مارشال أيضاً". ضحك ميكي ضحكة عالية مفاجئة، الضحكة التي يتذكرها ليو جيداً من طفل صغير كان يلعب في الحديقة.

قال ميكي: "ما الرهان الآن؟ من منا فعلها؟" .

أسقط ليو السماعة وترك الهاتف فجأة.

تساءلت جويندا قائلة: "ماذا قال؟".

أخبرها ليو.

قالت جويندا: "مزحة سخيفة".

سدد لها نظرة سريعة، وقال برفق: "وربما لم تكن مزحة على الإطلاق".

2

عبرت ماري دورانت الغرفة والتقطت بعض بتلات الزهور المتساقطة على الأرض من زهرية بها زهور الأقحوان. ووضعتها بحرص في سلة المهملات. كانت شابة طويلة القامة، هادئة الطبع، تبلغ من العمر سبعة وعشرين عامًا، وبرغم أن وجهها كان خاليًا من التجاعيد، فإنها بدت أكبر سنًا من عمرها الحقيقي، ربما بدت رزانتها جزءًا من شخصيتها. كانت جميلة المحيا، رغم افتقارها إلى لمسة الجاذبية. كانت ملامحها عادية، لها بشرة جميلة، وعينان زرقاوان مفعمتان بالحيوية، وشعر أشقر مصفف لأعلى على هيئة كعكة كبيرة أسفل مؤخرة عنقها، وهي تسريحة أنيقة صارت موضة العصر رغم أن هذا لم يكن السبب الذي جعلها تصفف شعرها بهذه الطريقة. كانت سيدة تحافظ دومًا على أسلوبها الخاص. كان مظهر بيتها كمظهرها؛ مهندمًا ومرتبًا. كان يقلقها وجود ذرة تراب أو شيوع الفوضى.

كان الرجل الجالس على الكرسي المتحرك يراقبها وهي تضع بتلات الزهور بحرص في سلة المهملات، مبتسمًا ابتسامة غريبة بعض الشيء.

قال: "تلك المخلوقة المرتبة دومًا! مكان لكل شيء وكل شيء في مكانه"، ضحك ضحكة ملتوية، ولكن ظلت ماري دورانت هادئة تمامًا.

قالت توافقه الرأي: "أحب أن يكون كل شيء مرتبًا. تعرف، يا فيليب، لن يعجبك لو تركت المنزل في حالة فوضى".

قال زوجها بنبرة فيها بعض المرارة: "حسنًا ـ على أية حال ـ لا تتاح لي الفرصة أن أجعله في هذه الحالة".

بعد زواجهما بفترة قصيرة، سقط فيليب دورانت ضحية للإصابة بالشلل. بالنسبة لـ ماري، التي تعشقه، صار طفلها وزوجها على حد سواء. ولكنه كان أحيانًا يشعر بالإحراج قليلًا من حب التملك المسيطر عليها. لم تكن لدى زوجته أدنى فكرة لتفهم أن سعادتها التي تتمثل في اعتماده عليها هي ما تجعله يتضايق أحيانًا.

غيّر موضوع الحوار سريعًا، كما لو أنه يخشى سماع كلمات الرثاء أو التعاطف من جانبها.

"أرى أنه من الصعب استيعاب الأخبار التي أبلغنا بها والدك! بعد مرور كل هذه الفترة! كيف يمكنك الحفاظ على رباطة جأشك؟".

"أظن أنني لا أستطيع استيعاب الخبر ... إنه غريب جدًا. في البداية، لم أستطع تصديق ما قاله أبي. لو كانت هيستر هي من أخبرتني بذلك، لكنت ظننت أنها تتخيل الأمر برمته. أنت تعرف شخصية هيستر".

اختفى قدر ضئيل من المرارة على وجه فيليب دورانت. وقال برقة:

"يا لها من فتاة عاطفية متحمسة، تنطلق في هذه الحياة بحثًا عن المشكلات وهي واثقة من أنها ستجدها!".

أشارت ماري بيدها في استنكار تحليل فيليب لشخصية هيستر. لم تكن تهتم بتحليل شخصيات الآخرين.

قالت متشككة: "أتظن أن الخبر حقيقي؟ ألا تعتقد أن الرجل لفق القصة برمتها؟".

قال فيليب: "العالم شارد الذهن؟ من اللطيف أن نظن ذلك، ولكن يبدو أن أندرو مارشال يتعامل مع الأمر بجدية. والسيد مارشال ومكتب المحاماة الخاص به يمثلان كيانًا قانونيًا يصعب إقناعه بأي شيء".

قالت ماري دورانت وهي تقطب جبينها: "ما معنى هذا فعليًا، يا فيل؟".

رد فيليب: "يعني أن جاكو ستتم تبرئتها تمامًا. هذا إن اقتنعت السلطات ... وأظن أنه لن تتم مناقشة المسألة مرة أخرى".

قالت ماري بتنهيدة: "أوه، حسنًا، أظن أن هذا سيكون رائعًا".

ضحك فيليب دورانت مرة أخرى الضحكة الملتوية المريرة نفسها بعض الشيء.

قال: "بولي! ستكونين سبب موتي".

كان زوجها هو الشخص الوحيد الذي يطلق عليها ماري دورانت بولي. كان اسمًا ساخرًا لا يتناسب مع مظهرها الرزين. نظرت إلى فيليب بشيء من الدهشة.

قالت له: "لا أرى ما يضحكك في قولي هذا".

قال فيليب: "لقد قلت العبارة بمهابة! مثل سيدة تثني على عمل يدوي معروض في مزاد خيري بقرية نائية".

قالت في ارتباك: "ولكن الخبر رائع جدًا! لا يمكنك أن تتظاهر بتقبل وجود قاتل في الأسرة".

رد فيليب: "إنه لا ينتمي للأسرة فعليًا".

"حسنًا، الوضع لن يختلف كثيرًا. أقصد أن الأمر كان مقلقًا للغاية، وجعل المرء متضايقًا للغاية. كان الجميع متلهفين ويتملكهم الفضول. كرهت الأمر برمته".

قال فيليب: "لقد تعاملت مع الأمر على نحو جيد جدًا. صوبتِ لهم تلك النظرة الباردة من عينيك الزرقاوين والتي جعلتهم يتجمدون في أماكنهم. جعلتهم يصمتون ويخجلون من أنفسهم. لكِ طريقة رائعة للتحكم في عدم إبداء مشاعرك مطلقًا".

قالت ماري دورانت: "لقد كرهت الأمر كله كثيرًا. كان بغيضًا، ولكنه على أية حال مات وانتهى الأمر. والآن ... الآن أظن أنه سيتم فتح الموضوع مرة أخرى. سيكون هذا متعبًا جدًا".

قال فيليب دورانت متأملًا: "أجل!" هز كتفيه قليلًا وبدا على وجهه الألم. هرعت إليه زوجته.

"هل تشعر بتشنجات؟ انتظر. دعني أحرك هذه الوسادة. إلى هنا. هل هذا أفضل؟".

قال فيليب: "كان يجب أن تعملي ممرضة بمستشفى".

قالت: "ليست لديّ أدنى رغبة في تمريض أحد سواك أنت".

كانت عبارتها في منتهى البساطة، ولكن كان وراء الكلمات البسيطة إحساس عميق.

رن جرس الهاتف وتوجهت إليه ماري.

"أهلًا ... أجل ... هي تتحدث ... أوه، هذا أنت ..."

قالت لـ لفيليب جانبًا: "هذا ميكي".

وعادت لحديثها في الهاتف: "أجل ... أجل، لقد سمعنا الخبر. اتصل أبي ... حسنًا، بالطبع ... أجل ... أجل. فيليب يقول إذا اقتنع المحامون، فلابد أن الأمر سيكون على خير ما يرام ... حقًا، يا ميكي، لا أفهم سبب انزعاجك هكذا ... لا أعرف سبب وصفي بالغباء ... حقًا، يا ميكي، أظنك ... ألو؟ ... ألو؟" عبست وهي تقطب جبينها. قالت وهي تضع سماعة الهاتف مكانها: "لقد أنهى المحادثة. حقًا، يا فيليب، لا أستطيع فهم ميكي".

تساءل فيليب: "ماذا قال بالضبط؟".

ردت ماري: "حسنًا، يبدو أنه متوتر. قال إنني كنت غبية، وإنني لا أدرك ... التداعيات. مشكلة خطيرة! هكذا وصف الأمر. ولكن لماذا؟ لا أفهم قصده".

قال فيليب: "يشعر بالقلق، أليس كذلك؟ ستكون هناك تداعيات".

بدا على ماري الارتباك قليلًا.

ثم قالت: "أتقصد أنه سيعاد تسليط الضوء على القضية مرة أخرى؟ بالطبع، أنا سعيدة بتبرئة جاكو، ولكن من المزعج أن يعاود الناس الحديث عن الأمر مرة أخرى".

"الأمر لن يقتصر على ما يقوله الجيران، بل سيكون أكثر من ذلك".

نظرت إليه متسائلة.

قال لها: "ستهتم الشرطة أيضًا!" .

قالت ماري في حدة: "الشرطة؟ وما دخلهم بالأمر؟".

قال فيليب: "فكري، يا عزيزتي".

توجهت إليه ماري ببطء لتجلس إلى جواره.

قال فيليب: "الآن، صارت جريمة قتل لم تُحل، كما تلاحظين".

"ولكن لن يهتموا بالتأكيد ... بعد مرور كل هذه الفترة؟".

قال فيليب: "إنها محض أمنيات، ولكن أخشى أن أقول إنها أمنيات ليس لها أساس من الصحة".

قالت ماري: "بالطبع، بعد اكتشاف أنهم كانوا أغبياء جداً ... بعد أن ارتكبوا مثل هذا الخطأ الأحمق في حق جاكو ... لن يرغبوا في تسليط الضوء على الموضوع مرة أخرى؟".

"ربما لن يرغبوا .... ولكنهم سيضطرون إلى ذلك على الأرجح! الواجب يحتم ذلك".

"أوه، يا فيليب، أنا متيقنة أنك مخطئ. ستنتشر بعض الأقاويل هنا وهناك، ثم يهدأ كل شيء بعدها".

قال فيليب بنبرته الساخرة: "ثم بعد ذلك نعيش في سعادة إلى الأبد".

"ولم لا؟".

هز رأسه وقال: "ليس الأمر بهذه السهولة ... أبوكِ محق. يجب أن نجتمع ونتشاور. ونطلب مارشال ليأتي إلينا كما قال أبوكِ".

"تقصد ... الذهاب إلى منزل صني بوينت؟".

"أجل".

"أوه، لا يمكننا الذهاب".

"لم لا؟".

"ليس هذا ممكنًا. أنت عاجز و..."

قال فيليب متضايقًا: "لست عاجزًا. أنا قوي ومعافى. كل ما حدث أنني فقدت قدرتي على استخدام قدميّ. يمكنني الذهاب إلى أي مكان بوسيلة مواصلات مناسبة".

قالت ماري: "أنا على يقين بأنه ليس مفيدًا لك أن تذهب إلى صني بوينت. تسليط الضوء على هذا الموضوع المزعج ..."

قال فيليب: "لم يتأثر عقلي من الإصابة".

ردت ماري: "...كما لا أعرف كيف سنترك المنزل. لقد وقعت الكثير من السرقات في الآونة الأخيرة".

قال فيليب: "لنحضر أحدهم ليبيت في المنزل".

"من السهل جدًا أن تقول ذلك ... كأنه أسهل شيء في الوجود".

"يمكن لأية سيدة عجوز أن تأتي إلى المنزل كل يوم. كفي عن القيام باعتراضات ربة المنزل، يا بولي. أنت من لا يريد الذهاب حقًا".

"بالفعل، لا أريد".

قال فيليب مطمئنًا إياها: "لن يطول بقاؤنا هناك. ولكن أظن أننا يجب أن نذهب. هذا وقت يجب أن تجتمع فيه الأسرة لتواجه العالم. يجب أن نبحث موقفنا بدقة".

3

في الفندق بمدينة درايماوث، تناول كالجري الغداء في وقت مبكر وصعد إلى غرفته. شعر بتأثر بالغ من التجربة التي مر بها في منزل صني بوينت. كان قد توقع صعوبة تلك المهمة وقد تطلب منه الأمر العزم ليمر بهذه التجربة. ولكن الأمر كله كان مؤلمًا ومزعجًا بطريقة مختلفة تمامًا عما توقعه. ألقى بنفسه على الفراش وأشعل سيجارة وأخذ يفكر في الأمر.

كانت أوضح صورة خطرت على باله هي وجه هيستر لحظة الرحيل. رفضها بازدراء لطلبه تحقيق العدالة. ما الذي قالته؟ "ليس المهم المذنب، بل البريء". ثم قولها: "ألا تدرك ما الذي فعلته بنا جميعًا؟" ولكن ما الذي فعله. لم يفهمها.

والآخرون أيضًا. السيدة التي تدعى كريستي (لماذا كريستي؟ إنه اسم إسكتلندي. وهي ليست إسكتلندية ... ربما دنماركية أو نرويجية؟) لماذا كانت تتحدث بكل هذا العبوس ... بنبرة الاتهام؟

كان هناك شيء غريب أيضًا في موقف ليو أرجيل ... شيء بخصوص عزلته وترقبه. لم يكن هناك أدنى رد فعل من جانبه كأن يقول: "الحمد لله ابني بريء!". تلك العبارة التي تمثل رد الفعل الطبيعي في مثل هذه الحالات بالتأكيد!

وتلك الفتاة ... تلك الفتاة التي تعمل سكرتيرة لـ ليو. كانت خير معين له وكانت تساعده برقة. ولكن هي أيضًا كان رد فعلها غريبًا. تذكر الطريقة التي جثت بها على ركبتيها بجوار كرسي أرجيل. كما لو أنها ... كما لو أنها كانت متعاطفة معه، تواسيه. تواسيه على ماذا؟ على أن ابنه لم يكن مذنبًا، لم يرتكب جريمة القتل؟ وبالتأكيد .. أجل بالتأكيد ... كان هناك ما هو أكثر من مجرد مشاعر سكرتيرة تجاه رب عملها ... حتى لو كانت سكرتيرة بقيت في خدمته لسنوات .... ماذا كان يعني هذا كله؟ لماذا كانا ...

رن جرس الهاتف الموجود على الطاولة بجوار الفراش. أمسك السماعة.

قال: "ألو؟".

"الدكتور كالجري؟ هناك شخص يطلب مقابلتك".

"مقابلتي أنا؟".

لقد تفاجأ. على حد علمه، لا أحد يعرف أنه سيقضي الليلة في درايماوث.

تساءل: "من يكون؟".

ساد الصمت لبرهة، ثم قال الموظف:"إنه السيد أرجيل".

"أوه، أخبره ..." كان آرثر كالجري يهندم نفسه وهو بصدد قول إنه سينزل لمقابلته. ثم فكر في نفسه قائلًا إن كان ليو أرجيل تتبعه إلى درايماوث لسبب ما واستطاع أن يجد المكان الذي يقيم فيه، إذن فعلى ما يبدو أن مناقشة الموضوع في الردهة المزدحمة بالطابق السفلي ستسبب لهما الإحراج.

وبدلًا من ذلك قال للموظف:

"دعه يصعد إلى غرفتي، من فضلك".

قام من حيث كان مستلقيًا وأخذ يذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا حتى سمع صوت طرقات على الباب.

توجه إلى الباب وفتحه.

"تفضل، يا سيد أرجيل، أنا ..."

سكت وقد تفاجأ مما رآه. لم يكن الزائر ليو أرجيل، بل كان شابًا في أوائل العشرينات من عمر؛ ذا وجه أسمر وسيم عليه أمارات المرارة؛ وجه تعيس غاضب

مستهتر.

قال الشاب له: "لم تتوقع مجيئي، توقعت مجيء أبي. أنا مايكل أرجيل".

قال كالجري: "تفضل بالدخول". وأغلق الباب بعد دخول زائره. سأله: "كيف عرفت أنني أقضي الليلة هنا؟".

ضحك مايكل أرجيل ضحكة قصيرة بغيضة.

"هذا أمر هين! اتصلت بالفنادق الكبرى على أمل أنك ستمضي هذه الليلة هنا. ثم نجحت المحاولة الثانية".

"ولماذا تريد مقابلتي؟".

قال مايكل أرجيل بتروٍّ:

"أردت أن أرى أي نوع من الرجال أنت ..." رمق كالجري بنظرة تقييمية فاحصة، ملاحظًا كتفيه المائلتين قليلًا، وشعره الرمادي ووجهه النحيل الرقيق. واستطرد قائلًا: "إذن أنت واحد من الرجال الذين شاركوا في الرحلة الاستكشافية للقطب الجنوبي. لا يبدو عليك أنك قوي البنيان".

ابتسم آرثر كالجري ابتسامة هزيلة.

قال له: "أحيانًا ما تكون المظاهر خادعة. كنت قويًا بالقدر الكافي؛ ليست هناك حاجة إلى القوى العضلية. هناك مؤهلات أخرى مهمة؛ التحمل والصبر والمعرفة التقنية".

"كم عمرك، خمسة وأربعون؟".

"ثمانية وثلاثون".

"تبدو أكبر من سنك".

"أجل ... أجل، أظن أنني كذلك". وللحظة انتابه شعور بالحزن المرير وهو في مواجهة الشباب المفعم للصبي الجالس أمامه.

وسأله فجأة:

"لماذا تريد مقابلتي؟".

عبس الفتى.

وقال: "من الطبيعي أن أفعل ذلك، أليس كذلك؟ حين سمعت الأخبار التي أبلغتهم بها. الأخبار بخصوص أخي العزيز".

قال كالجري بصوت منخفض: "أجل. لقد فات الأوان".

"لماذا سكتّ كل هذه المدة؟ هل هذا كله بسبب إصابتك بالارتجاج في المخ؟".

أخبره كالجري بأناة. من الغريب أنه تشجع بغلظة الشاب وخشونته على الكلام. ها هو يرى شخصاً يشعر بمشاعر قوية تجاه أخيه.

"هل تقدم بذلك دليل براءة جاكو، أليس كذلك؟ كيف عرفت أن الأوقات التي ذكرتها دقيقة؟".

تحدث كالجري بثبات قائلًا: "أنا متأكد تماماً من الأوقات التي ذكرتها".

"لعلك أخطأت. أنتم معشر العلماء تميلون للنسيان أحياناً؛ نسيان أشياء صغيرة مثل الأوقات والأماكن".

بدت على كالجري التسلية قليلًا.

"لقد كونت صورة بنفسك عن أستاذ الخيال العلمي شارد الذهن ... يرتدي جوارب غريبة، لا يعرف أي يوم من أيام الأسبوع هو أو أين يمكث؟ عزيزي الشاب، العمل التقني يتطلب قدراً كبيراً من الدقة؛ الكميات الدقيقة، الأوقات، الحسابات. أؤكد لك أنه من المستحيل أن أرتكب خطأ في هذا المقام. لقد اصطحبت أخاك قبل الساعة السابعة وأوصلته إلى درايماوث في السابعة والنصف وخمس دقائق".

"ربما كانت ساعة يدك غير مضبوطة. أو لعلك كنت تحسب الوقت وفقاً للساعة الموجودة في سيارتك".

"كانت ساعة يدي وساعة سيارتي متزامنتين بدقة وتشيران إلى التوقيت نفسه".

"لعل جاكو خدعك وأضلك الطريق. كانت حيله لا تنتهي".

"لم تكن هناك أية حيل. لماذا أنت متحمس جداً لإثبات أنني مخطئ؟". واصل كالجري حديثه بشيء من الحماسة: "توقعت أنه ربما يصعب إقناع السلطات بأنها ظلمت شاباً في حكمها. ولكني لم أتوقع أنني سألقى صعوبة لإقناع أسرة الشاب نفسه!".

"إذن، وجدت صعوبة في إقناعنا جميعاً؟".

"بدت ردود الأفعال غريبة بعض الشيء".

نظر ميكي إليه بشغف، وقال: "لم يرغبوا في تصديقك؟".

رد كالجري: "يبدو ... يبدو الأمر كذلك ...."

"الأمر لا يبدو كذلك فحسب؛ بل إنها الحقيقة بالفعل. وهذا أمر طبيعي لو أمعنت النظر فيه".

"ولكن لماذا؟ لماذا يكون رد الفعل هذا طبيعياً؟ والدتك قُتلت. واتُّهم أخوك بقتلها وأُدين بالجريمة. والآن، ظهر دليل براءته. يجب أن تسعد ... يجب أن تكون ممتناً. إنه

أخوك".

قال ميكي:

"لم يكن أخي ... وهي لم تكن أمي".

"ماذا؟".

"ألم يخبرك أحد؟ إننا جميعًا أبناء بالكفالة. كلنا. ماري، "أختي" الكبيرة كفلتها بنيويورك. أما الباقي فقد تمت كفالتهم في أثناء الحرب. كانت "أمي" - كما تطلق عليها - عاقراً لا تنجب. ومن ثم كونت لنفسها أسرة بالكفالة. أنا وماري وتينا وهيستر وجاكو. منزل مريح ومترف، وكانت هي تغمرنا بعاطفة الأمومة! أظن أنها نسيت أننا لسنا أطفالها. ولكن حظها العَثِر جعلها تكفل جاكو ليكون واحداً من أبنائها الأعزاء".

قال كالجري: "لم يكن لديّ أدنى فكرة".

"إذن، كف عن قول "أمك" و"أخيك"! كان جاكو فتى حقيراً!".

قال كالجري: "ولكنه ليس بقاتل".

كان صوت كالجري به نبرة حاسمة. نظر إليه ميكي وأومأ برأسه قائلًا:

"حسنًا. هذا رأيك ... وأنت مصرٌ عليه. لم يقتلها جاكو. حسنًا للغاية ... إذن من قتلها؟ لم تفكر في هذا السؤال، أليس كذلك؟ فكر فيه الآن. فكر فيه ... وحينئذ ستدرك ما الذي فعلته بنا جميعًا ..."

أعطاه ظهره وخرج من الغرفة مسرعًا.

الرابع

تأسف كالجري قائلًا: "شكراً على تكرمك بمقابلتي مرة أخرى، سيد مارشال".

قال المحامي: "لا شكر على واجب".

"كما تعرف، ذهبت إلى منزل صني بوينت وقابلت أسرة جاك أرجيل".

"أعرف تمامًا".

"أظن أن أخبار زيارتي قد وصلتك؟".

"أجل، دكتور كالجري، هذا صحيح".

"ما قد يصعب عليك فهمه هو سبب مجيئي إليك مرة أخرى ... كما ترى، الأمور لم تسر تمامًا كما ظننتها أن تسير".

قال المحامي: "لا، ربما لم تسر كما توقعت". كانت نبرة صوته جافة وخالية من الانفعالات كما هي العادة، ومع ذلك كان هناك شيء شجع آرثر كالجري على مواصلة الحديث.

استطرد كالجري قائلًا: "أظن أنك توقعت أن الأمور ستنتهي بهذه الطريقة. كنت قد أعددت نفسي لقدر من - ماذا عساي أن أقول - من الاستياء الطبيعي من جانبهم. على الرغم من أن الإصابة بارتجاج المخ هي قضاء وقدر، فإن رد فعلهم - من وجهة نظرهم - يمكن تبريره. ولكن في الوقت نفسه تمنيت أن يكون هناك توازن يحدثه شعورهم بالامتنان تجاه حقيقة أن اسم جاك أرجيل قد تمت تبرئته. ولكن الأمور لم تسر كما توقعت لها مطلقًا".

"أتفهم ذلك".

"لعلك كنت تتوقع شيئًا مما قد حدث بالفعل، سيد مارشال؟ أتذكر أن أسلوب تعاملك أصابني بالحيرة حين جئت إليك أول مرة. هل توقعت توجهات العقول التي كنت بصدد التعامل معها؟".

"لم تخبرني بعد، دكتور كالجري، بماهية تلك التوجهات".

سحب آرثر كالجري كرسيه إلى الأمام وقال: "ظننت أنني سأنهي شيئًا ما، واضعًا بذلك نهاية مختلفة لفصل كُتب بالفعل. ولكنهم جعلوني أشعر، جعلوني أفهم أنه بدلًا

من إنهاء شيء، فإنني بدأت شيئًا آخر- شيئًا جديدًا تمامًا. هل هذا توصيف حقيقي للموقف من وجهة نظرك؟".

أومأ السيد مارشال برأسه ببطء قائلًا: "أجل. يمكن وصف الموقف بهذه الطريقة. اعتقدت - وأعترف بذلك - أنك لم تدرك جميع التداعيات. لم يكن من المتوقع أن تفعل شيئًا كهذا لأنك لم تكن تعرف، بالطبع، شيئًا عن خلفية الأحداث أو الحقائق باستثناء ما هو مكتوب في تقارير المحكمة".

"لا، لا، أفهم ذلك الآن. بوضوح بالغ"، ارتفع صوته وهو يواصل حديثه بحماس قائلًا: "لم يشعرهم سماع الخبر بالراحة، ولم يكن شعورًا بالامتنان، لكن كان شعورًا بالخوف. خوف مما قد يأتي بعد ذلك. هل أنا محق؟".

قال مارشال بحذر: "أعتقد أنك محق تمامًا. ولكن انتبه أنني لا أتحدث، على حد علمي، عن دقائق الأمور".

أردف كالجري قائلًا: "وإن كان الأمر كذلك، فأنا لا أستطيع العودة إلى عملي شاعرًا بالرضا بأن ما فعلته هو أقصى تعويض يمكنني القيام به. ما زلت معنيًا بالأمر؛ فأنا مسئول عن إضافة عامل جديد في حياة عدة أشخاص. لا يمكنني أن أنفض يدي من الأمر".

تنحنح المحامي قائلًا: "ربما تكون وجهة نظر غريبة بعض الشيء، دكتور كالجري".

"لا أظن أنها كذلك ... ليست كذلك حقًا. يجب أن يتحمل المرء مسئولية تصرفاته وليس تصرفات المرء وحسب وكذلك تداعيات تصرفاته أيضًا؛ فمنذ عامين مضيا أوصلت شابًا على الطريق. وحين فعلت ذلك بدأت سلسلة من الأحداث المتوالية. لا أشعر بأنه بإمكاني أن أخلص نفسي".

واصل المحامي هز رأسه.

قال آرثر كالجري في نفاد صبر: "حسنًا، سمها وجهة نظر غريبة إن شئت. ولكن مشاعري وضميري ما زالا معنيين بالأمر. كانت أمنيتي الوحيدة هي تعويض أسرة جاك أرجيل عن شيء كان خارج إرادتي أن أمنعه. ولم أعوضهم. ولكني - بطريقة غريبة - جعلت الأمور تزداد سوءًا لأناس يعانون في حياتهم بالفعل. ولكني ما زلت لا أفهم السبب بوضوح".

قال مارشال بتروٍّ: "كلا، كلا، ما كنت لتفهم السبب. على مدار ثمانية عشر شهرًا أو ما يقرب من ذلك كنت بعيدًا عن البلاد. لم تقرأ الصحف اليومية، والرواية التي أدلت بها هذه الأسرة للصحف. من المرجح أنك ما كنت لتقرأ الجرائد على أية حال، ولكنك ما كنت لتتجنب سماع أخبارهم على ما أظن. الحقائق بسيطة جدًا، دكتور كالجري. ليست سرية. لقد أُذيعت للعامة في ذلك الوقت. الأمر برمته يدور بمنتهى

البساطة حول ذلك؛ إن لم يرتكب جاك أرجيل الجريمة (ووفقًا لسردك للأحداث فإنه لم يكن في استطاعته القيام بهذا)، إذن من الجاني؟ هذا يعيدنا إلى الظروف التي ارتكبت فيها الجريمة. لقد ارتكبت الجريمة بين الساعة السابعة والسابعة والنصف في ليلة من ليالي شهر نوفمبر في منزل الراحلة وسط أفراد أسرتها وبيتها. كان المنزل قد تم تأمينه وغلقه من الداخل، وإن دخل أي شخص من الخارج، فلابد أن تسمح السيدة أرجيل لذلك الغريب بالدخول، أو لابد أن يكون لديه مفتاح. بعبارة أخرى، لابد أنه كان شخصًا تعرفه السيدة أرجيل بالفعل. تلك القضية أشبه بملابسات قضية آل بوردن بأمريكا؛ حيث أُجهز على السيد بوردن وزوجته بالضرب ببلطة حتى الموت في صباح يوم من أيام الآحاد. لم يسمع أحد بالمنزل أي شيء، ولم ير أحد شخصًا يقترب من المنزل. الآن، يمكنك أن تفهم سبب انزعاج أفراد الأسرة - كما وضحت - بدلًا من شعورهم بالارتياح بالأخبار التي أتيت بها، دكتور كالجري".

قال كالجري بتروٍّ: "أتقصد أنهم يفضلون اعتبار جاك أرجيل مذنبًا؟".

قال السيد مارشال: "أوه، أجل. أوه، أجل، لا ريب في ذلك أبدًا. إن جاز لي أن أوضح الأمر بطريقة ساخرة نوعًا ما، كان جاك أرجيل الحل المثالي للغز جريمة القتل البشعة التي حدثت داخل الأسرة. كان طفلًا صعب المراس، صبيًا منحرفًا، شابًا ذا طبع عنيف. ربما كانت الأسرة تلتمس له الأعذار، وبالفعل كانوا يبررون أفعاله فيما بينهم. ربما كانوا يحزنون عليه، يتعاطفون معه، يوضحون لأنفسهم وفيما بينهم وللعالم كله أن الأمر ليس غلطته حقًا، وفي إمكان علماء النفس توضيح ذلك كله! أجل، كان هذا مناسبًا للغاية".

"والآن ..." سكت دكتور كالجري عن الحديث.

قال السيد مارشال: "والآن، الأمر مختلف بالتأكيد. مختلف تمامًا. وربما يكاد يكون مزعجًا".

قال كالجري بدهاء: "لم تكن أنت أيضًا مرحبًا بالأخبار التي جئت بها، أليس كذلك؟".

رد السيد مارشال قائلًا: "يجب أن أعترف بذلك. أجل. أجل، يجب أن أعترف بأنني كنت ... منزعجًا. الآن، سيتم فتح قضية كانت قد انتهت نهاية مرضية ـ أجل، سأظل أصف النهاية بكلمة مرضية".

قال كالجري: "وهل هذا من الناحية الرسمية؟ أقصد من وجهة نظر الشرطة، هل سيتم فتح القضية مرة أخرى؟".

قال مارشال: "أوه، بلا شك. حين أُدين جاك أرجيل بالتهمة بناء على أدلة قاطعة ـ (حيث خرجت هيئة المحلفين بعد التداول لمدة ربع ساعة فقط) ـ كان هذا نهاية الأمر وفقًا لاختصاص الشرطة. ولكن الآن مع منح المتهم عفوًا وتبرئته بعد وفاته، سيتم فتح

القضية مرة أخرى".

"وستجري الشرطة تحقيقاتها من جديد؟".

أضاف مارشال وهو يحك ذقنه متأملًا: "قطعًا ستقوم بذلك. بالطبع. ومن المثير للشكوك - وبعد مرور كل هذه الفترة وبسبب الملابسات الغريبة للقضية - أن تتمكن الشرطة من تحقيق أية نتائج ... فأنا بنفسي أشك في ذلك. ربما يعرفون أن هناك شخصًا مذنبًا داخل المنزل هو من ارتكب الجريمة. وربما يتوصلون إلى تكوين فكرة عن هوية ذلك الشخص، ولكن ليس من السهل التوصل إلى أدلة دامغة".

قال كالجري: "أفهم ذلك ... أفهم ذلك ... أجل هذا ما قصدته".

قال المحامي بحدة: "عمن تتحدث؟".

قال كالجري: "عن الفتاة. هيستر أرجيل".

تساءل المحامي في فضول: "آه، أجل، الشابة هيستر. ماذا قالت لك؟".

قال كالجري: "كانت تتحدث عن البريء. قالت إنه ليس المذنب هو المهم، وإنما المهم هو البريء. الآن، فهمت ماذا كانت تقصد ..."

سدد له مارشال نظرة حادة قائلًا: "أظنك الآن فهمت".

قال آرثر كالجري: "لقد قصدت ما تقوله أنت. قصدت أن الأسرة ستكون موضع الشبهات مرة أخرى".

قاطعه مارشال: "ليس مرة أخرى، لم تكن الأسرة في موضع شبهات من قبل قط. لقد أشارت أصابع الاتهام إلى جاك أرجيل من البداية".

تجاهل كالجري المقاطعة وواصل حديثه قائلًا:

"قد تصبح الأسرة في موضع الشبهات، وربما ظلت في موضع الشبهات لوقت طويل ... وربما إلى الأبد. إذا كان فرد من الأسرة هو المذنب الحقيقي، فمن المحتمل أنهم - أنفسهم - لا يعرفون من هو. وسينظرون إلى بعضهم ... ويتساءلون ... أجل، سيكون هذا أسوأ ما في الأمر. هم أنفسهم لن يعرفوا من بينهم هو..."

ساد الصمت لبرهة. راقب مارشال كالجري بنظرة تقديرية هادئة، ولكنه لم يعقب بشيء.

قال كالجري: "هذا بشع، كما تعرف ...."

بدا الانفعال على وجهه النحيل الرقيق.

واستطرد قائلًا: "أجل، هذا بشع ... مرور عام تلو آخر، من دون معرفة يقينية، ينظر كل منهم إلى الآخر، ربما يؤثر الشك في علاقة المرء بالآخرين. يدمر الحب،

يدمر الثقة ...".

تنحنح مارشال وقال:

"ألا ... آآآآررر ... ألا تبالغ في وصف الأمر؟".

قال كالجري: "لا، لا أظن أنني أبالغ. أظن -ربما - إذا سمحت لي سيد مارشال، أنني أرى هذا الأمر بوضوح أكثر منك. يمكنني أن أتخيل ماذا قد يعنيه الأمر".

مرة أخرى ساد الصمت.

قال كالجري: "إنه يعني أن البريء الذي سيعاني ... ويجب ألا يعاني الأبرياء. المعاناة للمذنب وحده. ولهذا السبب ... ولهذا السبب لا يمكنني أن أنفض يدي من الموضوع. لا يمكنني أن أرحل وأقول: "لقد فعلت الشيء الصحيح، لقد أصلحت ما أمكنني إصلاحه ... لقد خدمت العدالة"؛ لأنني كما ترى لم أخدم العدالة. لم أدن المذنب، ولم أخلص البريء من براثن الذنب".

"أظن أنك تجهد نفسك بعض الشيء، دكتور كالجري. ما قلته له أساس من الصحة بلا شك، ولكني لا أعرف بالضبط ما ... حسنًا ما الذي يمكنك القيام به".

قال كالجري بصراحة: "كلا، وكذلك أنا لا أعرف أيضًا. ولكن هذا يعني أنني يجب أن أحاول. ولهذا السبب جئت إليك، سيد مارشال. أرغب - أظن أن لدي الحق في معرفة - معرفة خلفية الأحداث".

قال السيد مارشال بنبرة صوت أسرع قليلًا: "أوه، حسنًا. ليس هناك أسرار بشأن هذا الأمر. يمكنني أن أقدم لك أية حقائق تريد معرفتها؛ ولكني لست في موقف يسمح لي بإعطائك ما هو أكثر من الحقائق. لم أكن قريبًا مطلقًا من أهل البيت. كان مكتبي يباشر أعمالًا قانونية خاصة بالسيدة أرجيل على مدار عدة سنوات. ولقد تعاونا معها بخصوص تأسيس عدة صناديق ائتمان والإشراف على الشئون القانونية. والسيدة أرجيل نفسها أعرفها معرفة جيدة وأعرف زوجها كذلك. وأما بالنسبة لطبيعة الأجواء في منزل صني بوينت، وطبائع وشخصيات من يعيشون هناك، فكل ما أعرفه كان من خلال السيدة أرجيل نفسها".

قال كالجري: "أفهم كل هذا تمامًا، ولكني أريد أن أبدأ من موضع ما. عرفت أن الأولاد ليسوا أبناءها. جميعهم أبناء بالكفالة، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح. كان اسم السيدة أرجيل قبل الزواج راشيل كونستام، الابنة الوحيدة لـ رادولف كونستام، رجل ثري للغاية. وكانت والدتها سيدة أمريكية وهي سيدة ثرية جدًا لها ثروتها الخاصة. وكان لـ رادولف كونستام العديد من الاهتمامات الخيرية وقام بتربية ابنته على الاهتمام بهذه الأعمال الخيرية. وتوفي هو وزوجته في حادث تحطم طائرة وتبرعت راشيل بالثروة الكبيرة التي ورثتها عن أبيها وأمها لما نطلق عليه

المشاريع الخيرية. وأولت اهتمامًا شخصيًا إلى هذه الأعمال الخيرية وقامت بعدة مشاريع استيطانية بنفسها. وفي أثناء عملها بتلك المشاريع الأخيرة قابلت ليو أرجيل، الذي كان يعمل مدرسًا بجامعة أكسفورد، وله اهتمامات كبرى بالاقتصاد والإصلاحات الاجتماعية. ولتفهم شخصية السيدة أرجيل، يجب أن تدرك أن المأساة العظمى في حياتها تمثلت في عدم قدرتها على الإنجاب. وكما هي الحال مع الكثيرات، هذه الإعاقة نغصت عليها حياتها. وبعد زيارة جميع المتخصصين، اتضح أنه لا أمل في أن تكون أمًا، كان ينبغي عليها أن تبحث عما يخفف عنها هذه الصدمة. في البداية كفلت طفلة من أحد الأحياء الفقيرة في نيويورك ... وهي السيدة دورانت الآن. وكرست السيدة أرجيل نفسها تمامًا للأعمال الخيرية المتعلقة بالأطفال. ومع اندلاع الحرب عام 1939، أسست تحت رعاية وزارة الصحة دار رعاية للأطفال المتضررين من الحرب، وقامت بشراء المنزل الذي قمت بزيارته؛ منزل صني بوينت".

قال كالجري: "حينئذ كان اسمه فايبر بوينت".

"أجل، أجل، أظن أن هذا كان الاسم الأصلي. آها، أجل، ربما كان اسمًا مناسبًا أكثر من الاسم الذي اختارته؛ صني بوينت. في عام 1940، كان لديها من اثنى عشر إلى ستة عشر طفلًا، معظمهم ليس لهم من يراعهم جيدًا، أو من لم يتمكنوا من النزوح مع أسرهم. فعلت كل شيء لهؤلاء الأطفال. وفرت لهم منزلًا مترفًا. اعترضت موضحًا لها أنه من الصعب على هؤلاء الأطفال بعد مرور عدة سنوات من الحرب أن يعودوا من الأجواء المترفة إلى منازلهم الفقيرة. لم تول الاهتمام لحديثي. كانت مرتبطة بالأطفال بشدة وفي النهاية أخذت قرارًا بضم بعض الأطفال ـ الأيتام أو من ليس لهم مأوى - إلى أسرتها. ونتج عن هذا أسرة مكونة من خمسة أطفال. ماري - الآن متزوجة من فيليب دورانت - مايكل، الذي يعمل في درايماوث، تينا، طفلة مختلطة النسب، وهيستر، وبالطبع جاكو. وكبر الأطفال وهم يعتبرون أن السيد والسيدة أرجيل هما والداهما. قدمت لهم أفضل تعليم يمكن للمال أن يوفره. ولو أن الظروف كانت لتهيئ لهم كل شيء، لكان ينبغي عليهم أن يحققوا نجاحًا عظيمًا. وكانت كل المميزات متوافرة لهم. جاك أو جاكو - كما كانوا يسمونه - كان دومًا متمردًا وغير راض. كان يسرق الأموال في المدرسة وكان يتم استبعاده وفصله. وتورط في مشكلة في أثناء عامه الأول بالجامعة. وأفلت مرتين بأعجوبة من عقوبة السجن. وكانت تنتابه حالات مزاجية لا يمكن السيطرة عليها. وتسترت عليه الأسرة مرتين في حادثة اختلاس. وقامت الأسرة بتأسيس مشاريع له مرتين؛ وفي المرتين انتهت مشاريعه بالفشل. وبعد وفاته دفعت تعويضات، وبالطبع ما زالت تُدفع لأرملته".

مال كالجري إلى الأمام في دهشة.

"أرملته؟ لم يخبرني أحد بأنه كان متزوجًا".

طرقع المحامي إصبعيه في انفعال قائلًا: "أوه، يا عزيزي. كنت مقصرًا؛ لقد نسيت

أنك لم تقرأ أخبار الصحف. لعلني أقول إنه لم يكن هناك أحد من آل أرجيل لديه أدنى فكرة بخصوص مسألة زواجه. وفوراً بعد إلقاء القبض عليه ذهبت زوجته إلى منزل صني بوينت في حالة حزن عظيمة. كان السيد أرجيل كريماً للغاية معها. كانت شابة تعمل نادلة في أحد المطاعم بـ درايماوث. لقد نسيت على الأرجح أن أخبرك بخصوصها لأنها تزوجت ثانيةً بعد مرور بضعة أسابيع على وفاة جاك. وزوجها الحالي يعمل كهربائياً في درايماوث على ما أظن".

قال كالجري: "يجب أن أقابلها". وأضاف بنبرة من يلوم نفسه: "إنها أول شخص كان يتعين عليّ مقابلته".

"بالتأكيد، بالتأكيد. سأعطيك العنوان. لا أستطيع تذكر سبب عدم ذكر الموضوع لك حين جئت إليّ أول مرة".

التزم كالجري الصمت.

قال المحامي معتذراً: "كانت مجرد ... آآآ ـ حسناً ـ عامل غير جدير بالذكر. حتى الجرائد تذكرها ... لم تزر زوجها في السجن قط ... أو تبدي أي اهتمام به ..."

استغرق كالجري في أفكاره العميقة. وقال:

"هل يمكنك أن تخبرني بالضبط من كان بالمنزل في تلك الليلة التي قُتلت فيها السيدة أرجيل؟".

رمقه مارشال بنظرة حادة.

"بالطبع، ليو أرجيل، والابنة الصغرى، هيستر. وماري دورانت وزوجها المريض جاءوا في زيارة. كان قد خرج من المستشفى لتوه. وكانت كريستين ليندستروم ـ التي قابلتها على الأرجح ـ هي ممرضة سويدية مدربة ومحترفة تدليك جاءت بالأساس لتساعد السيدة أرجيل في دار رعاية الأطفال إبان الحرب وبقيت معها منذ ذلك الحين. لم يكن مايكل وتينا موجودين؛ فـ مايكل يعمل مندوب مبيعات سيارات في مدينة درايماوث وتينا تعمل في المكتبة البلدية بمدينة ريدمين وتعيش في شقة هناك".

سكت مارشال لبرهة قبل أن يواصل كلامه.

"كانت الآنسة فوجان، سكرتيرة السيد أرجيل، موجودة أيضاً. كانت قد غادرت المنزل قبل اكتشاف الوفاة".

قال كالجري: "لقد قابلتها أيضاً. يبدو أنها ... يبدو أنها مرتبطة بالسيد أرجيل للغاية".

"أجل، أجل. أظن أنهما سيعلنان خطبتهما قريباً".

"آها!".

قال المحامي وفي صوته نبرة تأنيب قليلًا: "كان يشعر بوحدة شديدة منذ وفاة زوجته".

قال كالجري: "تمامًا".

ثم قال:

"ماذا عن الدوافع، سيد مارشال؟".

"عزيزي، الدكتور كالجري، لا يمكنني التفكير في ذلك الأمر".

"بلى، أظن أنه يمكنك. كما قلت أنت بنفسك إن الحقائق يمكن التأكد منها".

"ليست هناك فائدة مالية مباشرة على أي شخص منهم. لقد شاركت السيدة أرجيل في سلسلة من صناديق الائتمان المنتقاة، وهو نوع من المشاريع المنتشرة هذه الأيام كما تعلم. وكانت صناديق الائتمان هذه لمصلحة جميع الأبناء. ويقوم على إدارة هذه الصناديق ثلاثة أوصياء؛ أنا وليو أرجيل ومحامٍ أمريكي وهو قريب غير مباشر للسيدة أرجيل. ومبلغ كبير من المال تحت وصاية هؤلاء الثلاثة ويمكن لهم تعديل صرف هذه الأموال ليستفيد منها من هم في أمسِّ الحاجة إليها".

"وماذا عن السيد أرجيل. هل يستفيد ماليًا من وفاة زوجته؟".

"ليس كثيرًا؛ فمعظم ثروتها، كما أخبرتك، ذهبت إلى صناديق الائتمان. وتركت له باقي ممتلكاتها، ولكنها ليست مبلغًا كبيرًا من المال".

"والسيدة ليندستروم؟".

"لقد خصصت السيدة أرجيل دخلًا سنويًا كبيرًا جدًا للآنسة ليندستروم قبل بضع سنوات"، وأضاف مارشال متسائلًا في ضيق: "دافع؟ لا أرى ولو دافعًا صغيرًا. بالتأكيد ليس هناك دافع مادي".

"وبخصوص المسائل العاطفية؟ هل هناك أي ... خلافات؟".

قال مارشال بحسم: "لا يمكنني مساعدتك بخصوص هذا الأمر. لم أكن مطلعًا على الحياة الشخصية للأسرة".

"هل هناك أحد يمكن مساعدتنا على معرفة هذا الأمر؟".

فكر مارشال لدقيقة أو دقيقتين، ثم قال بشيء من التردد:

"تستطيع الذهاب لمقابلة الطبيب المحلي. الدكتور .. آممم ...ماكماستر، أظن أن هذا اسمه. لقد تقاعد الآن، ولكنه ما زال يعيش في الجوار. كان هو الطبيب المسئول في دار رعاية الأطفال إبان الحرب. لابد أنه يعرف الكثير عن حياة المقيمين في منزل صني بوينت. ويمكنك أن تقنعه بأن يخبرك بأي شيء. ولكن أظن أنه إذا فعل ذلك، فإنه

سيكون مفيداً، ولكن اسمحي لي بأن أقول لك هل تعتقد أن بإمكانك إنجاز شيء لم تنجزه الشرطة؟".

قال كالجري: "لا أعرف. لا على الأرجح. ولكني أعرف شيئًا واحدًا ألا وهو يجب أن أحاول. أجل، يجب أن أحاول".

الخامس

ارتفع حاجبا رئيس الشرطة ببطء على جبينه في محاولة خرقاء للوصول إلى حدود شعره الرمادي المنحسر. ورفع عينيه إلى السقف ثم خفضهما مرة أخرى إلى الورق الموجود على مكتبه.

قال: "أمر يصعب وصفه!".

قال الشاب الذي كانت مهمته الرد على رئيس الشرطة بالاستجابات المناسبة:

"أجل، يا سيدي".

تمتم الميجور فيني قائلًا: "موقف صعب". ونقر بأصابعه على المكتب متسائلًا: "هل هويش هنا؟".

"أجل، يا سيدي. لقد جاء رئيس المحققين هويش قبل خمس دقائق".

قال رئيس الشرطة : "حسنًا، أرسله لي من فضلك".

كان رئيس المحققين هويش رجلًا طويل القامة يبدو عليه أمارات الحزن. كانت أمارات الكآبة البادية عليه عميقة جداً لدرجة أن ما من أحد يصدق أن بإمكانه أن يكون نجماً لحفلات الأطفال، يطلق النكات ويمارس الألعاب السحرية مع الفتيان الصغار ليبسطهم. قال رئيس الشرطة:

"صباح الخير، يا هويش، يا له من موقف صعب نواجهه! ما رأيك في الأمر؟".

تنفس رئيس المحققين هويش بعمق وجلس على الكرسي المقابل.

قال: "يبدو أننا ارتكبنا خطأ من عامين مضيا. هذا الرجل .... ما اسمه ..."

عبث رئيس الشرطة بأوراقه. وقال "كالجوري ... لا كالجري. أستاذ في مجال ما. رجل شارد الذهن؟ وأشخاص كهؤلاء ينسون عادة الأوقات وأشياء من هذا القبيل؟"، ربما كانت هناك نبرة استحسان في صوته، ولكن هويش لم يرد عليه. قال:

"هو من العلماء المتخصصين في مجال ما، بقدر ما فهمت".

"ولهذا تظن أننا يتعين علينا قبول ما يقوله؟".

قال هويش: "حسنًا، يبدو أن السير ريجنالد تقبل الأمر، ولا أظن أن هناك شيئًا

يفوته". كانت هذه عبارة ثناء على رئيس النيابة العامة.

قال الميجور فيني على مضض: "كلا، إذا اقتنع رئيس النيابة العامة بالكلام، حسنًا أظن أنه يتعين علينا أن نقبله. وهذا يعني إعادة فتح القضية. لابد أنك أحضرت البيانات ذات الصلة بالموضوع معك كما طلبت منك، أليس كذلك؟".

"أجل، يا سيدي، موجودة معي".

فَرَدَ رئيس المحققين عدة وثائق على الطاولة.

تساءل رئيس الشرطة : "وهل درستها؟".

"أجل، يا سيدي، درستها الليلة الماضية. مازلت أتذكر القضية بتفاصيلها جيداً؛ فعلى أية حال، لم تمر فترة طويلة على القضية".

"حسنًا، دعنا ندرس الأمر يا هويش. أين نحن الآن؟".

قال رئيس المحققين: "لنعود إلى البداية، يا سيدي. تتمثل المشكلة في عدم وجود أي شكوك في ذلك الوقت".

قال رئيس الشرطة : "بلى، بدت قضية واضحة تماماً. لا تعتقد أنني ألومك، يا هويش. كنت معك خطوة بخطوة".

قال هويش: "لم يكن هناك أي شيء آخر بإمكاننا التفكير به. جاءتنا مكالمة هاتفية ببلاغ بأنها قد قُتلت. وأفادت المعلومات بأن الفتى كان يهددها، ودليل بصمات الأصابع .. بصمات أصابعه على قضيب إزكاء النيران، والأموال. وأمسكنا به على الفور وكانت الأموال في حوزته".

"ما الانطباع الذي تركه ذلك الفتي لديك حينها؟".

فكر هويش وقال: "انطباع سيئ. كان مغروراً جداً وله طريقة كلام خادعة. كان يتحدث سريعاً عن الأوقات ومكان تواجده وقت وقوع الجريمة. مغرور. أنت تعرف هذا النوع من الشخصيات. والقتلة عادة ما يكونون مغرورين. يظنون أنهم أذكياء للغاية. يظنون أن أي شيء يفعلونه سيكون على خير ما يرام، بغض النظر عن تأثير هذا الفعل في الآخرين. كان شاباً منحرفاً".

وافقه فيني الرأي قائلًا: "أجل، كان منحرفًا. كل سوابقه تؤكد ذلك. ولكن هل كنت مقتنعاً بأنه هو القاتل؟".

فكر رئيس المحققين للحظة وقال: "ليس هذا أمراً يمكنك أن تتأكد منه. كان من النوع الذي ينتهي به المطاف ليتحول إلى قاتل في أغلب الأحيان. مثل قضية هارمون عام 1938؛ الذي له سجل طويل من السطو على الدراجات، اختلاس أموال، النصب والاحتيال على السيدات من كبار السن، وفي النهاية قتل سيدة ونقعها في حمض، وفرح

بفعلته هذه ثم اعتاد الأمر. أظن أن جاكوم أرجيل قاتل من ذلك النوع".

قال رئيس الشرطة بتروٍّ: "ولكن يبدو أننا كنا مخطئين".

قال هويش: "أجل، أجل، كنا مخطئين. لقد مات الفتى. وساء الموقف أكثر"، ثم أضاف بحماسة قائلًا: "وضع في الاعتبار أنه كان منحرفًا. ربما لم يكن قاتلًا - أو في الواقع هو ليس بقاتل كما اتضح لنا الآن ـ ولكنه كان منحرفًا بالأساس".

قال فيني ساخرًا: "حسنًا، هيا يا رجل، من الذي قتلها؟ لقد درست القضية الليلة الماضية كما قلت. لابد أن شخصًا ما قتلها. السيدة لم تضرب نفسها على مؤخرة رأسها بقضيب حديد إذكاء النار. لابد أن شخصًا آخر فعلها. من الذي فعلها؟".

تنهد رئيس المحققين وتراجع في كرسيه.

قال: "لا أدري إن كنا سنعرف الحقيقة قط".

"كل الأمور صعبة، أليس كذلك؟".

"بلى؛ لأنه من الصعب اقتفاء أثر الأدلة؛ ولأنه ليس هناك إلا قدر ضئيل من الأدلة التي يمكن اكتشافها، بل وأظن أنه ليست هناك أدلة من الأساس".

"الفكرة تتمثل أن القاتل هو شخص ما كان موجودًا بداخل المنزل، شخص ما مقرب من المجني عليها؟".

قال المفتش العام: "لا أرى احتمالًا آخر. كان شخصًا ما موجودًا بالمنزل أو شخصًا ما فتحت له - بنفسها - الباب وسمحت له بالدخول. فآل أرجيل من نوعية الأسر التي تستخدم الأقفال لتأمين المنزل، أقفال على النوافذ لمنع السرقات وسلاسل والمزيد من الأقفال على الباب الأمامي. لقد تعرضوا للسرقة قبل عامين وهذا ما جعلهم أكثر حرصًا ضد السرقات". صمت لبرهة ثم استطرد قائلًا: "تتمثل المشكلة يا سيدي في أننا لم نبحث في موضع آخر وقتها. اكتملت أركان القضية ضد جاكو أرجيل. بالطبع، الآن يستطيع المرء أن يدرك أن القاتل الحقيقي استفاد من ذلك".

"تقصد أنه استفاد من حقيقة وجود الصبي هناك، وأنه تشاجر مع المجني عليها وقام بتهديدها؟".

"أجل، كل ما قام به القاتل الحقيقي هو الدخول إلى الغرفة، والتقط القضيب الحديدي مرتديًا قفازًا من فوق الأرض حيث ألقى به جاكو، واتجه إلى المكتب الذي كانت تجلس عليه السيدة أرجيل تكتب وضربها على رأسها".

تفوه الميجور فيني بكلمة واحدة بسيطة:

"لماذا؟".

أومأ رئيس المحققين هويش برأسه.

"أجل، يا سيدي، هذا ما يتعين علينا اكتشافه. لابد أن هذا واحد من الصعوبات؛ غياب الدافع".

قال كبير المفتشين: "لم يكن واضحًا حينئذ أية دوافع لمناقشتها، كما قلت. ومثل معظم السيدات اللاتي لديهن أملاك وثروة كبيرة، دخلت في عدة مشروعات بسبب الإعفاء القانوني من ضريبة التركات. وكانت قد أنشأت صناديق ائتمان للمنتفعين بحيث يستفيد منها أولادها قبل وفاتها. ولن يحصلوا على شيء آخر بعد وفاتها. ولم تكن سيدة مكروهة أو مشاكسة أو متسلطة أو بخيلة. كانت تغدق عليهم بالأموال. وفرت لهم تعليمًا جيدًا، ومبالغ لفتح مشاريع وتوفير جميع مصاريفهم. كانت امرأة كريمة ومحسنة ومحبة".

وافقه رئيس المحققين الرأي قائلًا: "هذا صحيح، يا سيدي. من الناحية الظاهرية، ليس هناك سبب واضح ليرغب أحد في قتلها. بالطبع ..." ثم سكت.

تساءل رئيس الشرطة : "ماذا، يا هويش؟".

"فهمت أن السيد أرجيل يفكر في الزواج مرة ثانية. إنه ينوي الزواج بالآنسة جويندا فوجان، التي تعمل سكرتيرة له على مدار عدة سنوات".

قال الميجور فيني متأملًا: "أجل، أظن أن هذا دافع، لم نكن نفكر به وقتها. إنها تعمل لديه منذ عدة سنوات كما قلت. أتظن أنه كانت هناك علاقة بينهما في وقت وقوع الجريمة؟".

قال المفتش العام: "أشك في شيء كهذا، يا سيدي؛ فمثل هذه الأمور سرعان ما تنتشر بين أهل القرية. أقصد أنني لا أظن وجود علاقة بينهما، كما قلت. لا شيء بالنسبة للسيدة أرجيل لتبحث عنه أو تتشاجر عليه".

قال رئيس الشرطة : "كلا، ولكن ربما كان يرغب بشدة في الزواج من جويندا فوجان".

قال رئيس المحققين هويش: "إنها شابة جذابة. لا يمكنني أن أصفها بكونها ليست فاتنة، ولكنها جذابة وأنيقة".

قال الميجور فيني: "وعلى الأرجح أنها مخلصة له لمدة سنوات؛ فدومًا ما تقع السكرتيرات في حب صاحب العمل".

قال هويش: "إذن، لدينا دافع من نوع ما بالنسبة لهذين الاثنين، كما أن هناك مدبرة المنزل؛ السيدة السويدية. ربما لم تكن مغرمة بالسيدة أرجيل مثلما تبدو. وربما كانت هناك أمور تافهة تثير استياءها تجاه السيدة أرجيل. ولن تستفيد شيئًا من وفاة السيدة أرجيل لأنها خصصت لها بالفعل دخلًا سنويًا كبيرًا جدًا. وتبدو سيدة لطيفة وحساسة

وليست من نوعية السيدات اللاتي يمكنك أن تتخيلها تضرب أحداً على رأسه باستخدام القضيب الحديدي! ولكن لا تستطيع أن تجزم، أليس كذلك؟ تذكر قضية ليزيبوردن".

قال رئيس الشرطة : "بلى، لا تستطيع أن تجزم أبداً. ليس هناك شك في وجود شخص غريب؟".

قال رئيس المحققين: "ليس هناك أثر لشخص غريب. كان الدرج الذي وُضع فيه النقود مفتوحاً. كانت هناك محاولة لبعثرة محتويات الغرفة لتبدو جريمة سرقة، ولكنها كانت محاولة غير متقنة، وهو أمر يتماشى مع شخصية جاكو تماماً في محاولة منه لترك انطباع معين".

قال رئيس الشرطة : "الغريب بالنسبة لي هو الأموال".

قال هويش: "أجل، هذا الأمر يصعب فهمه جداً. فورقة واحدة من فئة الجنيهات الخمسة التي كانت مع جاك أرجيل كانت السيدة أرجيل قد سحبتها من البنك في صباح ذلك اليوم. كان مكتوباً على هذه الورقة اسم السيدة بوتيلبيري. قال إن والدته أعطته هذه الأموال، ولكن أكد كل من السيد أرجيل وجويندا فوجان أن السيدة أرجيل خرجت من غرفة المكتبة في الساعة السابعة إلا الربع وأخبرته أن جاكو طلب منها مالاً وقالت بشكل قاطع إنها رفضت إعطاءه أية أموال".

وأوضح رئيس الشرطة : "من المحتمل أن يكون السيد أرجيل والفتاة فوجان يكذبان بعد ما عرفناه الآن".

"أجل، هذا محتمل ... ربما ..."، وسكت رئيس المحققين فجأة.

حثه فيني على الحديث: "ماذا، يا هويش؟".

"لنفترض أن شخصاً ما ـ لنطلق عليه أو عليها إكس حتى هذه اللحظة ـ استمع مصادفة إلى الشجار والتهديدات التي قام بها جاكو. لنفترض أن شخصاً ما رأى فرصة في هذا الموقف. وحصل على المال وركض خلف الصبي وقال له إن والدته أرادت أن تعطيه المال، ومن ثم يمهد الطريق إلى تلفيق التهمة للفتى على نحو متقن تماماً. ثم يستخدم الجاني الحقيقي بحرص القضيب الحديدي الذي أمسك به جاكو ليهدد والدته، من دون أن يطمس بصمات أصابعه".

قال رئيس الشرطة في غضب: "اللعنة! ليس هناك شيء يتطابق مع ما أعرفه عن الأسرة. من كان في المنزل في تلك الليلة بالإضافة إلى أرجيل وجويندا فوجان وهيستر أرجيل وتلك السيدة التي تدعى ليندستروم؟".

"كانت الابنة الكبرى المتزوجة، ماري دورانت، وزوجها موجودين بالمنزل".

"هو قعيد، أليس كذلك؟ إذن هذا يخرجه من دائرة الشكوك. ماذا عن ماري دورانت؟".

"إنها سيدة هادئة الطباع جداً، يا سيدي. لا يمكن أن تتخيلها تنفعل أو ... حتى تقتل أحداً".

تساءل رئيس الشرطة : "والخدم؟".

"جميعهم يعملون فترة النهار، يا سيدي، وينصرفون إلى منازلهم في الساعة السادسة".

"دعني ألقِ نظرة على مواعيد الانصراف".

ناوله رئيس المحققين الورقة.

"إممم ... أجل، فهمت. الساعة السابعة إلا الربع كانت السيدة أرجيل في المكتبة تتحدث مع زوجها عن تهديدات جاكو لها. وحضرت جويندا فوجان جزءاً من الحوار. وخرجت جويندا فوجان من المنزل بعد الساعة السابعة. ورأت هيستر أرجيل والدتها على قيد الحياة في حوالي الساعة السابعة إلا دقيقة أو ثلاث دقائق. وبعد ذلك، لم ير أحد السيدة أرجيل حتى السابعة والنصف، حتى اكتشفت السيدة ليندستروم جثتها. وبين السابعة والسابعة والنصف كانت هناك عدة فرص. كان بإمكان هيستر أن تقتلها، كان بإمكان جويندا فوجان أن تقتلها بعد أن خرجت من المكتبة وقبل أن تغادر المنزل. وكان بإمكان الآنسة ليندستروم أن تقتلها حين "اكتشفت الجثة"، ليو أرجيل كان وحده في مكتبته من الساعة السابعة وعشر دقائق حتى إعلان الآنسة ليندستروم عن وفاتها. كان بإمكانه أن يذهب إلى غرفة الجلوس الخاصة بزوجته وبإمكانه أن يقتلها خلال العشرين دقيقة. وكان بإمكان ماري دورانت، التي كانت بالطابق العلوي، أن تنزل إلى الطابق السفلي خلال النصف ساعة وتقتل والدته. و..."

قال فيني متأملاً: "السيدة أرجيل نفسها كان بإمكانها أن تسمح لأي شخص بالدخول من خلال الباب الأمامي مثلما ظننا أنها سمحت لـ جاك أرجيل بالدخول. وقال ليو أرجيل - إن كنت تذكر - إنه يعتقد أنه سمع صوت الجرس، وصوت الباب الأمامي يُفتح ويغلق، ولكنه لا يذكر الوقت تحديداً. وافترضنا أن هذا هو جاكو قد عاد ليقتلها".

قال هويش: "ليس بحاجة إلى قرع الجرس؛ فلديه مفتاح خاص به، وجميعهم لديهم مفتاح".

"هناك أخ آخر، أليس كذلك؟".

"بلى، مايكل. يعمل مندوب مبيعات سيارات في درايماوث".

قال رئيس الشرطة : "أظن أنه من الأفضل أن تكتشف ما الذي كان يفعله في هذه الليلة".

قال رئيس المحققين هويش: "بعد مرور عامين؟ ليس من المحتمل أن يتذكر أحد شيئاً، أليس كذلك؟".

"هل تم استجوابه في ذلك الوقت؟".

"كان مجتمعًا بأحد عملاء السيارات، كما عرفت. ومن ثم لم يكن هناك سبب للاشتباه به، ولكن كان معه مفتاح وبإمكانه أن يأتي إلى المنزل ويقتلها".

تنهد رئيس الشرطة .

"لا أعرف يا هويش كيف ستبدأ التحقيقات في هذه القضية. لا أعرف ما إذا كنا سنصل إلى أية نتائج".

قال هويش: "أود أن أعرف من الذي قتلها. وأستخلص مما عرفته أنها كانت سيدة طيبة. لقد قامت بالكثير من أجل أهلها. من أجل أطفال بؤساء، ومن أجل الأعمال الخيرية. كانت من نوعية السيدات اللاتي لا ينبغي قتلهن. أجل. أود أن أعرف. حتى إن لم يتوافر لدينا القدر الكافي من الأدلة لإقناع رئيس النيابة العامة، فأنا أود أن أعرف".

قال رئيس الشرطة : "حسنًا، أتمنى لك حظًا سعيداً يا هويش. لحسن الحظ، ليس لدينا الكثير من المعلومات في الوقت الحالي، ولكن لا تيأس إن لم تتمكن من الوصول إلى أية نتائج. إنها قضية يصعب جداً اقتفاء أثر الأدلة بها. أجل، قضية يصعب جداً اقتفاء أثر الأدلة بها".

السادس

1

اشتعلت الأنوار في السينما، وتوالى عرض الإعلانات على الشاشة. كانت مرشدات السينما يَجُبْنَ بين المقاعد يحملن علب عصير الليمون والحلوى المثلجة. تفحصهن آرثر كالجري؛ فتاة ممتلئة الجسم ذات شعر بني، واحدة طويلة القامة وواحدة ضئيلة البنية شقراء؛ تلك الأخيرة هي من جاء من أجل مقابلتها. زوجة جاكو. أرملة جاكو وزوجة رجل يدعى جو كلج. كان وجهًا جميلًا يبدو عليه الضجر بعض الشيء، تغطيه المساحيق، وقد نتفت حاجبيها، وصففت شعرها في تسريحة مموجة. اشترى آرثر كالجري منها حلوى مثلجة. وكان قد أخذ عنوان بيتها وكان ينوي زيارتها هناك، ولكنه رغب في مقابلتها أولًا دون أن تعرفه. حسنًا وكان له ما رغب. رأى أنها لم تكن من نوعية زوجة الابن التي كانت السيدة أرجيل تهتم بها كثيرًا من جميع الجوانب. ولا شك أن هذا ما جعل جاكو يخفي أمر زواجه بها.

تنهد وأخفى علبة الحلوى المثلجة أسفل مقعده بحرص، ومال إلى الوراء في مقعده حين أُطفئت الأنوار، وبدأت الصور تتوالى على الشاشة. في تلك اللحظة، قام من فوق مقعده وغادر السينما.

وفي الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي زار العنوان الذي أُعطي إياه. فتح له الباب صبي ذو ستة عشر ربيعًا، وردًا على استفسار كالجري قال له: "آل كلج؟ في الطابق العلوي".

صعد كالجري درج السلم. وطرق الباب وفتحت له الباب مورين كلج. بدت فتاة مختلفة بدون زي العمل ومساحيق التجميل. كان لها وجه صغير سخيف يعكس طيبة النفس؛ ولكن ليس فيه ما يثير الاهتمام على وجه الخصوص. نظرت إليه في شك وقطبت جبينها في ارتياب.

قال كالجري: "أنا كالجري. أظن أنك تلقيتِ خطابًا من السيد مارشال بخصوصي".

تفرجت أساريرها.

"أوه، هذا أنت! تفضل بالدخول، تفضل". تراجعت إلى الوراء لتسمح له بالدخول.

وقالت: "معذرة المكان تعمه الفوضى. لم يكن لديّ الوقت لترتيب المكان". أزاحت بعض الملابس المتسخة عن المقعد وأبعدت بعض بقايا طعام الإفطار الذي تم تناوله قبل قليل. قالت له: "تفضل بالجلوس. مبادرة لطيفة منك أن تأتي".

قال كالجري: "شعرت بأن هذا أقل شيء يمكنني القيام به".

ضحكت في ارتباك كما لو أنها لم تستوعب ما قصده حقًا.

قالت: "كتب السيد مارشال شيئًا عن الأمر. أقصد تلك القصة التي ألفها جاكي ... وإلى أي مدى تبين صحتها في النهاية. بخصوص شخص ما قام بتوصيله في تلك الليلة إلى درايماوث. إذن هذا الشخص هو أنت، أليس كذلك؟".

قال كالجري: "بلى، كنت أنا هذا الشخص".

قالت مورين: "لقد تفاجأت حقًا بالأمر. وتحدثت أنا وجو في هذا الموضوع طوال الليل. قلت إنها قصة ربما تحدث في الأفلام. عامان مضيا أو نحو ذلك، أليس كذلك؟".

رد كالجري قائلًا: "بلى، عامان تقريبًا".

"تلك القصص التي تشاهدها في الأفلام؛ وبالطبع تقول في نفسك هذه القصص محض هراء، ولا تحدث في الحياة الواقعية. وها هي تحدث بالفعل! بل حدثت فعلًا! أمر مثير نوعًا ما، أليس كذلك؟".

قال كالجري: "أظن أنه ربما يراه المرء كذلك". كان يراقبها بشعور غامض بالضيق والألم.

كانت تتحدث بسعادة بالغة.

"لقد مات جاكي المسكين ولن يعرف شيئًا عن الأمر. لقد أصيب بالتهاب رئوي في السجن كما عرفت. أظن كان هذا بسبب الرطوبة، ألا تظن ذلك؟".

أدرك كالجري أن فكرتها عن السجون فكرة خيالية حالمة بكل تأكيد. رطوبة الزنازين الموجودة تحت الأرض حيث الجرذان تقرض أصابع المرء.

وواصلت حديثها قائلة: "في ذلك الوقت، أعترف بأنني رأيت موته أفضل شيء لجميع الأطراف".

"أجل، أظن أن الأمر كذلك ... أجل، أظن أنه كذلك حتمًا".

"حسنًا، أقصد أنه كان سيبقى خلف القضبان لسنوات وسنوات. قال جو إنه من الأفضل أن أحصل على الطلاق وبالفعل شرعت في الحصول عليه".

"كنت ترغبين في الانفصال عنه؟".

"حسنًا، ليس من المستحسن الارتباط برجل سيمكث في السجن لسنوات، أليس كذلك؟ بالإضافة إلى ذلك، برغم أنني كنت مغرمة بـ جاكي، فإنه لم يكن من تلك النوعية من الرجال المحبين للاستقرار. لم أعتقد مطلقًا أن زواجنا سيستمر".

"هل شرعت حقًا في بدء إجراءات الطلاق بعد وفاته؟".

"حسنًا، بدأت الإجراءات بطريقة أو أخرى. أقصد أنني استشرت محاميًا. وشجعني جو على الذهاب إليه. بالطبع، لم يكن جو يطيق جاكي مطلقًا".

"جو هو زوجك؟".

"أجل. يعمل في مجال الكهرباء. لديه وظيفة جيدة للغاية، إنهم معجبون به جدًا. كان يخبرني دومًا بأن جاكي لا فائدة من ورائه، ولكني بالطبع كنت صغيرة وغبية. كان لـ جاكي أسلوب رائع لجذب النساء، كما تعرف".

"أجل، يبدو أنه كذلك بشهادة الجميع".

"كان بارعًا في خداع النساء ... لا أعرف السبب حقًا. لم يكن وسيمًا أو شيئًا من هذا القبيل. كان له وجه قبيح كالقرد، كما اعتدت دومًا أن أقول له. ومع ذلك، كان له أسلوب خاص به. تجد نفسك تفعل أي شيء كان يريدك أن تفعله. واستغل ذلك لتحقيق فائدة مرة أو مرتين. فبعد زواجنا مباشرة، تعرض لمشكلة في المرآب الذي كان يعمل فيه بخصوص أشياء فقدت من سيارة أحد الزبائن. لم أفهم مطلقًا حقيقة تلك المشكلة. وعلى أية حال، غضب رئيسه منه جدًا. ولكن تحايل جاكو على زوجة رئيسه. كانت سيدة كبيرة في السن، كانت على مشارف الخمسينات من العمر تقريبًا، ولكن جاكي أخذ يتملقها ويخدعها بطريقته حتى إنها صارت في حالة من الارتباك. في النهاية كانت ستفعل من أجله أي شيء. تحايلت على زوجها وأقنعته بألا يقاضي جاكي إذا رد له المال. ولكنه لم يعرف مصدر المال قط! كانت زوجته هي من أعطته المال. وهذا الأمر جعلنا نضحك حقًا، أنا وجاكي!".

نظر إليها كالجري باشمئزاز وتساءل: "هل كان ... الأمر مضحكًا بهذه الدرجة؟".

"أوه، أظن ذلك، أليس كذلك؟ حقًا ضحكنا بصوت عالٍ. سيدة عجوز كهذه فقدت صوابها من أجل جاكو وأنفقت مدخراتها عليه".

تنهد كالجري. رأى أن الأمور لم تكن كما تخيلها مطلقًا. كل يوم يجد نفسه أقل حماسًا لتكبد مشقة الدفاع عن اسم ذلك الرجل.

كاد يتفهم ويتبنى وجهة النظر التي أذهلته حين زار منزل صني بوينت.

قال: "لقد أتيت إلى هنا فقط لأرى ما إذا كان هناك شيء بإمكاني القيام به ... حسنًا من أجلك لأصلح ما حدث".

بدا الارتباك قليلًا على مورين كلج.

وقالت: "هذا لطف منك. ولكن لماذا ينبغي أن تفعل؟ إننا جميعًا بخير. جو يربح الكثير من المال وأنا لديّ وظيفة. أعمل مرشدة في إحدى قاعات السينما".

"أجل، أعرف ذلك".

قالت الفتاة بفخر: "سنشتري تليفزيونًا الشهر القادم".

قال آرثر كالجري: "أنا سعيد للغاية، لا أستطيع التعبير عن سعادتي بالكلمات ... لم يترك هذا الحادث المشئوم أثرًا دائمًا عليك".

وجد صعوبة بالغة في اختيار الكلمة المناسبة في أثناء الحديث مع هذه الفتاة التي تزوجت جاكو. كان كل شيء يقوله يبدو مصطنعًا وطنانًا. لماذا لا يستطيع أن يتحدث معها على طبيعته؟

قال: "كنت أخشى أن يمثل الأمر بالنسبة لك حزنًا عميقًا".

حدقت إليه بعينيها الزرقاوين الواسعتين من دون أن تفهم شيئًا مما يعنيه.

قالت: "كان الأمر مزعجًا وقت حدوثه. تحدث الجيران جميعهم وهذا تسبب في المزيد من القلق، رغم أن الشرطة كانت غاية في اللطف، ووضعوا في اعتبارهم كل شيء. كانوا يتحدثون معي بأدب جم وكانوا يتحدثون عن كل شيء بلطف بالغ".

تساءل في نفسه ما إذا كانت تحمل أية مشاعر تجاه الفتى الراحل. سألها سؤالًا مباغتًا.

قال: "هل تعتقدين أنه فعلها؟".

"أتقصد هل أعتقد أنه قتل والدته؟".

"أجل، أقصد ذلك".

"حسنًا، بالطبع ... إمممممم ... أجل أظن أنني أعتقد ذلك. بالطبع، لقد قال إنه لم يفعلها، ولكني أعني أنك لا تستطيع تصديق أي شيء يقوله جاكي وبدا أنه هو الفاعل حتمًا. كما تعلم بإمكان جاكي أن يكون حقيرًا للغاية، إذا ما عارضته. كنت أعرف أنه في مأزق ما. لم يكن يقول لي الكثير، كان يسبني حين أسأله عن الأمر. ولكنه انطلق ذلك اليوم وقال إن الأمر سيكون بخير ما يرام. وقال إن والدته ستسد عنه ديونه. كانت ستضطر إلى ذلك. وبالطبع صدقته".

تساءل كالجري: "لم يخبر أسرته قط عن زواجه بك، كما فهمت. لم تلتقِ بهم؟".

"نعم. كما رأيت هم أناس ينتمون للطبقة الراقية، لديهم منزل كبير وكل مظاهر الترف. لم أكن لألقى قبولًا حسنًا لديهم. ومن ثم اعتقد جاكي أنه من الأفضل أن يبقي

زواجنا سرًا. بالإضافة إلى ذلك، قال لي لو كان قد أخذني إليهم، فإن والدته سترغب في أن تتحكم في حياتي مثلما تتحكم في حياته. قال إنها لا تتمالك نفسها عن التحكم في الآخرين؛ وإنه نال ما يكفيه من تدخلها في
حياته ... قال إن حياتنا تسير على خير ما يرام كما هي الآن".

لم يبد عليها أي استياء، ولكنها بالتأكيد كانت تظن أن سلوك زوجها طبيعي تمامًا.

"أظن أنها كانت صدمة كبيرة عليك حين تم إلقاء القبض عليه؟".

"حسنًا، بالتأكيد. تساءلت في نفسي أمن الممكن أن يرتكب شيئًا كهذا؟ لا يمكنك أن تفر من العقاب. كان له مزاج حاد للغاية حين يزعجه أي شيء".

مال كالجري إلى الأمام.

"دعني أوجز الأمر كما يلي. بدا أنك لم تتفاجأ من قيام زوجك بضرب أمه على رأسها بقضيب حديدي وسرق مبلغًا كبيرًا من المال؟".

"حسنًا، سيد .... إمممممممم ... كالجري، إذا سمحت لي، هذا يوجز الأمر بطريقة بغيضة للغاية. لا أظن أنه قصد أن يضربها بقسوة. ولا أظن أنه قصد أن يقتلها. لقد رفضت أن تعطيه بعض المال، فأمسك بقضيب إذكاء النيران وهددها بالقتل، وحين عارضته فقد أعصابه وضربها بعنف على رأسها. لا أظن أنه قصد قتلها. كان هذا من سوء حظه وحسب. كما تعرف أنه كان بحاجة ملحة للمال. كان سيدخل السجن لو لم يحصل على المال".

"إذن ... أنتِ لا تلومينه؟".

"حسنًا، بالتأكيد ألومه ... إنني أكره السلوكيات العنيفة البغيضة. وممارسة هذا السلوك العنيف مع والدتك أيضًا! لا أظن أنه من الرائع أن تقوم بشيء كهذا. بدأت أفكر في أن جو كان محقًا حين أخبرني بأنني يجب أن أقطع علاقتي بكل شيء يخص جاكي. ولكنك تعرف كيف كان الأمر. من الصعب جدًا أن تأخذ فتاة قرارها. وكما ترى فإن جو من نوعية الرجال الذين يقدرون الاستقرار. عرفته على مدار فترة طويلة. كان جاكي مختلفًا. كان متعلمًا ويتمتع بكل هذه الأمور. بدا أنه ثري للغاية يبذر أمواله دائمًا. وبالتأكيد هو لديه طرقه الخاصة، كما سبق أن قلت لك. كان يحتال على أي شخص. لقد تحايل عليّ. "ستندمين يا فتاتي"، هذا ما قاله جو لي. ظننت أن هذه مشاعر حقد وغيرة بين الرجال، إن كنت تعرف ما الذي أقصده. ولكن يبدو أن جو كان محقًا في النهاية".

نظر إليها كالجري. وتساءل في نفسه ما إذا كانت قد فشلت في استيعاب معنى لقصته كاملًا.

سألها قائلًا: "محق في أي وجه بالضبط؟".

"حسنًا، لقد ورطني في ذلك المأزق. أقصد أنني من أسرة محترمة. لقد حرصت أمي على تربيتنا حرصًا بالغًا. وكانت الأمور تسير دومًا على نحو جيد ولا يتكلم عنا أحد، ثم أتت الشرطة لتلقي القبض على زوجي! ويعرف الجيران جميعهم. ويُنشر الخبر في جميع الجرائد. في جريدة نيوز أوف ذا وورلد وغيرها من جرائد أخبار الحوادث. ووفد علينا الكثير من الصحفيين وأخذوا يطرحون الأسئلة علينا. كنت في موقف بغيض للغاية".

قال آرثر كالجري: "ولكن، أنت تدركين الآن، يا طفلتي العزيزة، أنه لم يرتكب الجريمة؟".

بدا الارتباك على الوجه الأشقر الجميل لمدة دقيقة.

ثم قالت: "بالطبع! كنت قد نسيت. وبرغم كل شيء النتيجة واحدة ... حسنًا، أقصد أنه ذهب إلى هناك وأحدث الفوضى وهذا كل ما في الأمر. لو لم يفعل ذلك، لما كانوا ليقبضوا عليه مطلقًا، أليس كذلك؟".

قال كالجري: "بلى، بلى. هذا صحيح تمامًا".

رأى أن هذه الفتاة الجميلة الحمقاء كانت أكثر واقعية منه.

استطردت مورين قائلة: "أوه، كان هذا بشعًا. لم أكن أعرف ما الذي يتعين عليّ القيام به. حينئذ قالت أمي إنه من الأفضل أن أذهب لزيارة أسرته. قالت لي لعلهم يقومون بشيء من أجلي. وقالت على أية حال يجب أن تحصلي على حقوقك ومن الأفضل أن تبيني لهم أنك تعرفين كيف تعتنين بحقوقك. ومن ثم ذهبت إليهم. لقد فتحت لي السيدة الأجنبية الباب وفي البداية لم أستطع شرح الأمر لها. بدت كأنها لا تصدق ما أقوله. وظلت تقول: "مستحيل"، "مستحيل تمامًا أن يتزوجك جاكو". لقد جرحت شعوري بقولها هذا. قلت لها: "حسنًا، كنا متزوجين، وليس زواجًا مدنيًا؛ بل كان زواجًا رسميًا في إحدى دور العبادة". كما أرادت أمي! وقالت تلك السيدة: "هذا غير صحيح. لا أصدقك"، ثم جاء السيد أرجيل وكان كريمًا للغاية. قال لي إنه لا داعي للقلق، وأن كل شيء ممكن سيُنفذ من أجل الدفاع عن جاكي. وسألني عن أحوالي المالية ... وأرسل لي إعانة منتظمة كل أسبوع. وهو لا يزال يحافظ على إرسال الإعانة المالية حتى الآن. لا يروق لـ جو أن أحصل على تلك الإعانة، ولكني أقول له: "لا تكن أحمق. بإمكانهم قطعها، أليس كذلك؟" كما أرسل لي شيكًا سخيًا للغاية كهدية زواجي حين تزوجت من جو. وقال إنه سعيد للغاية ويتمنى لي أن تكون هذه الزيجة أكثر سعادة من الزيجة السابقة. أجل، السيد أرجيل لطيف للغاية".

أدارت رأسها حين فُتح الباب.

وقالت: "أوه، ها هو جو".

كان جو شابًا أشقر الشعر ذا شفاه رقيقة. استمع لتوضيح مورين وتقديمها للضيف

بوجه عابس.

قال في استياء: "كنت أتمنى أن نكون قد انتهينا من هذه القصة. اعذرني يا سيدي فيما قلت. ولكن ليس من المفيد أن تنبش في الماضي. هذا ما أشعر به. كانت مورين تعيسة الحظ، هذا كل ما يمكن قوله ...".

قال كالجري: "أجل، أرى وجهة نظرك تماماً".

قال جو كلج: "بالتأكيد، كان من المفترض ألا تعاشر رجلًا كهذا. كنت أعرف أنه سيئ. كانت هناك قصص تدور حوله بالفعل. لقد وُضع تحت المراقبة مرتين. وبمجرد أن تنزلق قدم المرء في هذا الطريق، فإنه يستمر فيه. في البداية كانت حوادث نصب أو احتيال على النساء لابتزاز مدخراتهن، وفي النهاية جرائم قتل".

قال كالجري: "ولكن، هذه لم تكن جريمة قتل".

قال جو كلج: "هذا قولك يا سيدي". بدا أنه غير مقتنع تماماً بما قيل.

قال كالجري: "جاك أرجيل لديه إثبات دامغ بتواجده في مكان آخر وقت وقوع الجريمة. كان بسيارتي وكنت أوصله إلى مدينة درايماوث. كما ترى، سيد كلج، من المستحيل أن يرتكب هذه الجريمة".

قال كلج: "ربما كان الأمر كذلك، يا سيدي. وبرغم ذلك من المؤسف أن نثير هذا الأمر مرة أخرى، اعذرني فيما أقول. فعلى أية حال، لقد مات الآن. ولن يفيده الأمر. فسوف يتحدث الجيران مجدداً وسيظنون الظنون".

قام كالجري من مقعده. وقال: "حسنًا، ربما يكون الأمر كذلك من وجهة نظرك. ولكن هناك نقطة أخرى ألا وهي تحقيق العدالة سيد كلج".

قال كلج: "أنا مقتنع تماماً بأن المحاكم الإنجليزية تتميز بأكبر قدر ممكن من الإنصاف".

قال كالجري: "أدق نظام في العالم قد يرتكب خطأ؛ فتطبيق العدالة على أية حال في يد البشر، والبشر عرضة للخطأ".

وبعد أن تركهما ونزل إلى الشارع، شعر بداخله بالقلق أكثر مما كان يظن أنه ممكن. قال في نفسه: "هل كان من الأفضل ألا أتذكر أحداث ذلك اليوم؟ فعلى أية حال، كما قال هذا الشاب المغرور قبل قليل لقد مات الفتى. لقد لقي حتفه أمام القاضي المعصوم من الخطأ. ولا فرق الآن بين أن يتذكره الناس كقاتل أو مجرد لص".

وفجأة غمرته نوبة من الغضب. قال في نفسه: "ولكن لابد أن هذا سيحدث فارقًا بالنسبة لشخص ما! لابد أن شخصاً ما سيفرح بالخبر. لماذا لم يفرح أحد منهم؟ حسنًا هذه الفتاة يمكنني أن أفهمها تماماً. لعلها كانت مغرمة بـ جاكو، ولكنها لم تحبه قط.

ولعلها غير قادرة على حب أي شخص، ولكنِ الآخرون: والده. أخته. مربيته ... كان ينبغي أن يفرحوا. كان ينبغي أن يفكروا فيِ موقفه السيئ قبل أن يخافوا على أنفسهم ... أجل لابد أن هناك شخصاً ما يهتم".

2

"الآنسة أرجيل؟ تجلس على المكتب الثاني هناك".

وقف كالجري لدقيقة يراقبها.

أنيقة، ضئيلة البنية، هادئة للغاية وكفء. كانت ترتدي فستانًا أزرق غامق ذا ياقات وأسوار بيضاء. كان شعرها الأسود الداكن معقوصًا خلف رقبتها. كانت بشرتها سمراء اللون أكثر مما يمكن لبشرة إنجليزية أن تكون. كانت قصيرة القامة أيضًا. كانت هذه الابنة الهجين الذي ضمتها السيدة أرجيل إلى الأسرة.

التقت عيناه بعينين داكنتين، غامضتين تمامًا. كانت عينان كتومتين لا تشيان بشيء.

كان صوتها منخفضًا وودودًا.

قالت: "هل يمكنني مساعدتك؟".

"هل أنت الآنسة أرجيل؟ الآنسة كريستينا أرجيل؟".

"أجل".

"أنا كالجري، آرثر كالجري. لعلك سمعتِ ..."

"أجل، سمعت عنك. أرسل لي والدي رسالة".

"أود كثيرًا أن أتحدث إليك".

نظرت إلى الساعة المعلقة على الحائط.

"المكتبة تغلق أبوابها بعد نصف ساعة. هل يمكنك أن تنتظر حتى ذلك الحين؟".

"بالتأكيد. لعلك تتناولين فنجان شاي معي في مكان ما؟".

"شكرًا لك". والتفتت إلى رجل كان واقفًا وراءه. "تفضل، هل يمكنني مساعدتك؟".

ابتعد آرثر كالجري. تجول في المكان، وتفحص محتويات الأرفف، كان يراقب تينا

أرجيل طوال الوقت. بقيت على سجيتها هادئة رابطة الجأش تؤدي عملها بكفاءة. مرت نصف ساعة ببطء، ولكن في النهاية رن الجرس وأومأت له.

"سأقابلك في الخارج في غضون بضع دقائق".

لم تدعه ينتظر. لم ترتد أية قبعة، لم ترتد سوى معطف غامق ثقيل. سألها عن المكان الذي يتعين عليهما الذهاب إليه.

أوضح قائلًا: "أنا لا أعرف مدينة ريدمين جيداً".

قالت: "هناك مقهى قريب من دار العبادة. ليس جيداً، ولكنه مناسب لأنه أقل ازدحاماً من غيره".

جلسا على طاولة صغيرة وجاءت نادلة ضجرة وعابسة لتأخذ طلبهما على نحو يعوزه الحماس تماماً.

قالت تينا معتذرة: "لن يكون الشاي جيداً، ولكني أظن أنك ترغب أن يكون الحديث على انفراد بعض الشيء".

"أجل، هذا صحيح. يجب أن أوضح لك أسبابي وراء السعي لمقابلتك. كما تعرفين، لقد قابلت أفراد أسرتك، ومن بينهم أيضاً زوجة أخيك جاكو ... أرملته. كنت أنت الوحيدة التي لم أقابلها من الأسرة. أوه، أجل وأختك المتزوجة بالطبع".

"هل تشعر بضرورة مقابلتنا جميعاً؟".

طرحت هذا السؤال بأدب جم ... ولكن كان في صوتها نبرة فتور جعلت كالجري يشعر بعدم الراحة قليلًا.

وافقها الرأي بنبرة جافة: "ليست ضرورة اجتماعية، وليست مجرد الفضول". (ولكن ألم يكن الأمر حقاً كذلك؟) "إنني أرغب في أن أعبر لكم جميعاً وبصفة شخصية عن عميق أسفي؛ لأنني فشلت في إثبات براءة أخيكِ في وقت المحاكمة".

"أفهم ذلك ..."

"إن كنت تحبينه ... هل كنت تحبينه؟".

فكرت لدقيقة ثم قالت:

"كلا، لم أكن أحب جاكو".

"ومع ذلك سمعت من جميع الأطراف أنه كان ... ذا شخصية جذابة جداً".

أوضحت قائلة من دون إبداء أية عاطفة قائلة:

"كنت لا أثق به ولا أحبه".

"هل ساورتك ـ معذرة ـ أية شكوك مطلقاً بأنه قد قتل والدتك فعلاً؟".

"لم يخطر على بالي قط أن هناك إمكانية لوجود أية حلول أخرى".

أحضرت النادلة الشاي. كان الخبز والزبد غير طازجين، وكانت المربى أشبه بهلام غريب الشكل، وكان الكعك بلا طعم. وكان مذاق الشاي ضعيفاً.

رشف من فنجانه ثم قال:

"يبدو ... أو لقد جعلتموني أفهم ... أن تلك المعلومات التي أخبرتكم بها والتي تبرئ أخاك من تهمة قتل أمه، قد تكون لها تداعيات غير مستحبة. لعلها تسبب لكم جميعاً مشاكل جديدة".

"لأنه سيعاد فتح القضية من جديد؟".

"أجل، هل فكرت بالفعل في ذلك الأمر؟".

"يبدو أن والدي يرى أن هذا الأمر سيكون حتمياً".

"أنا آسف. أنا حقاً آسف".

"عَلامَ تتأسف، دكتور كالجري؟".

"أكره أن أكون السبب في جلب مشكلة جديدة لكم".

"ولكن هل كنتم سترضون بالتزام الصمت؟".

"هل تفكر في الأمر من وجهة نظر العدالة؟".

"أجل. ألا تفكرين بالطريقة نفسها؟".

"بالطبع. بدا تحقيق العدالة أمراً مهماً للغاية. الآن... بدأت أتساءل إن كان هناك أشياء أهم من ذلك".

"أشياء مثل ماذا؟".

خطرت على باله هيستر.

"مثل ... البراءة ربما".

بدا الغموض في عينيها؛ فسألها.

"فيما تفكرين، آنسة أرجيل؟".

التزمت الصمت لدقيقة أو دقيقتين، ثم قالت:

"أنا أفكر في تلك الكلمات التي جاءت في ميثاق الحقوق المسمى ماجنا كارتا. "لن نحرم فرداً من العدالة"".

قال: "أفهم ذلك. وهذه هي إجابتك ..."

السابع

كان الدكتور ماكماستر رجلًا عجوزًا ذا حاجب كث، وعينين رماديتين ثاقبتين وذقن حاد. تراجع في كرسيه الرث وأخذ يتفحص زائره بحرص. ووجد أنه يعجبه ما يراه.

وكان هناك شعور بالإعجاب من جانب كالجري. ولأول مرة منذ أن عاد إلى إنجلترا، شعر بأنه يتحدث إلى شخص يقدر مشاعره ووجهة نظره.

قال كالجري: "سررت للغاية بمقابلتك، يا دكتور ماكماستر".

قال الدكتور: "على الرحب والسعة. أشعر بضجر شديد منذ أن تقاعدت عن العمل. أخبرني الأطباء الشباب بأنني يجب أن أجلس كالدمية لأعتني بقلبي المريض، ولكني لا أري أنني أستطيع فعل هذا بكل سهولة. ليس من السهل. إنني أستمع إلى الراديو، وما يثرثرون به من أحاديث، ومن وقت لآخر تقنعني مدبرة المنزل بأن أشاهد التليفزيون وأقلب القنوات. كنت رجلًا كثير المشاغل طوال حياتي. ولم أعتد أن أجلس من دون حراك. القراءة أتعبت عيني. ومن ثم لا تعتذر عن استغراق وقتي.

قال كالجري: "أول شيء يجب أن أشرحه لك هو السبب وراء اهتمامي بهذا الأمر. أظن - من الناحية المنطقية - أنني أنجزت ما جئت لأدائه ... أخبرتهم بالحقيقة المرة بخصوص إصابتي بالارتجاج وفقدان الذاكرة، وتبرئة اسم الفتى. والشيء الوحيد العقلاني والمنطقي للقيام به، بعد كل هذا، هو الرحيل ونسيان كل شيء. ها؟ أليس هذا صحيحًا؟".

قال الدكتور ماكماستر: "هذا يتوقف عليك"، ثم قطع لحظة الصمت التي تلت هذه العبارة بسؤاله: "هل هناك ما يقلقك؟".

رد كالجري قائلاً: "أجل. كل شيء يقلقني. كما ترى لم يُستقبل الخبر الذي أتيت به بالطريقة التي توقعتها".

قال الدكتور ماكماستر: "أوه، حسنًا. ليس هناك شيء مستغرب في ذلك. أشياء كهذه تحدث كل يوم. إننا نمر بأشياء كهذه في أذهاننا، بغض النظر عن ماهيتها، استشارة من ممارس آخر، طلب الزواج من فتاة، الحديث مع ابنك قبل الذهاب إلى المدرسة ... حين يحدث شيء، فإنه لا يسير أبدًا كما توقعت له أن يسير. لقد فكرت في الأمر ودرسته، وكما ترى فإن كل شيء ستقوله وعادة ما تكون قد اخترت الردود التي

سترد بها. وبالطبع، هذا ما يربكك في كل مرة. لا تكون الإجابات كما ظننتها أن تكون. وهذا ما يربكك على ما أظن، أليس كذلك؟".

قال كالجري: "أجل".

"ما الذي تتوقعه؟ هل توقعت منهم أن يتأثروا بكلامك؟".

استغرق في التفكير لمدة دقيقة ثم قال: "توقعت منهم لومًا؟ ربما. استياء؟ محتمل جدًا. ولكن توقعت امتنانًا أيضًا".

امتعض ماكماستر وقال: "ولم يكن هناك امتنان، وليس القدر الذي توقعته كما ينبغي من الاستياء؟".

قال كالجري معترفًا: "شيء كهذا".

"هذا لأنك لم تكن تعرف الظروف حتى ذهبت إلى هناك. لماذا جئت إليّ تحديدًا؟".

قال كالجري ببطء:

"لأنني أردت أن أعرف الكثير عن الأسرة. لا أعرف سوى الحقائق المعروفة. امرأة خيرة جدًا وغير أنانية بذلت كل ما بوسعها، امرأة تعشق خدمة المجتمع، وذات شخصية رائعة. وفي مقابل ذلك، صبي صعب المراس ... شاب يحيد عن الطريق الصحيح. الشاب المنحرف. هذا كل ما أعرفه. ولا أعرف شيئًا آخر. أنا لا أعرف شيئًا عن السيدة أرجيل نفسها".

قال ماكماستر: "أنت محق تمامًا. أنت تضع أصابعك على شيء مهم. إذا ما تمعنت في دراسة الأمر؛ فهذا دومًا هو الجزء المثير للاهتمام في أية جريمة قتل. كيف كانت شخصية المجني عليه. الجميع ينشغلون دومًا بالتحري عن عقلية القاتل. لعلك كنت تفكر أن السيدة أرجيل كانت من نوعية النساء اللاتي لا يجب قتلهن".

"أتخيل أن الجميع يشعرون بالشيء نفسه حتمًا".

قال ماكماستر: "أنت محق تمامًا من الناحية الأخلاقية. ولكن أليس الصينيون هم من يعتقدون أن الإحسان ذنب أكثر من كونه فضيلة؟ وهم محقون في هذا الاعتقاد، كما تعرف. فالإحسان يحدث شيئًا في نفوس الآخرين؛ إذ إنه يجعلهم يسيئون لمن يحسن إليهم. إننا جميعًا نعرف طبيعة النفس البشرية. أحسن إلى فتى وستشعر نحوه بمشاعر طيبة وتحبه. ولكن هل يشعر من أحسنت إليه بالمشاعر الطيبة نفسها نحوك؟ هل سيحبك فعلًا؟ بالطبع، يجب أن يحبك، ولكن هل يفعل حقًا؟".

قال الطبيب بعد برهة من الصمت: "حسنًا، ها أنت أمامك نموذج. كانت السيدة أرجيل ـ أمًا رائعة. ولكنه كانت تسرف في إحسانها. لا شك في ذلك. أو رغبت في ذلك. أو حاولت بالتأكيد فعل ذلك".

أشار كالجري قائلًا: "لم يكونوا أبناءها".

قال ماكماستر: "كلا، من هنا أتت المشكلة، على ما أظن. ما عليك إلا أن تلقي نظرة على قطة بعاطفة أمومة طبيعية تجاه صغارها؛ فهي تقوم على حمايتهم بحب، وتخربش أي شخص يقترب منهم. ولكن بعد أسبوع أو نحو ذلك، تبدأ في استعادة حياتها الطبيعية. تخرج وتصطاد وتأخذ استراحة من صغارها. وما زالت توفر لهم الحماية إذا ما شن أحدهم هجومًا عليهم، ولكنها لم تعد مهووسة بهم، طوال الوقت. فهي تلعب معهم قليلًا، وحين يشتد عودهم، تبعد هي عنهم وتدفعهم بعيدًا عنها لأنها ترغب أن تكون وحدها قليلًا. وكما ترى فإنها تعود إلى طبيعتها. ومع تقدمهم في السن، يقل اهتمامها بهم تدريجيًا، وينصرف انتباهها إلى قط الجيران. وهذا ما يمكنك أن تطلق عليه النمط الطبيعي لحياة الأنثى. أعرف الكثير من الفتيات والسيدات اللاتي يتمتعن بغريزة الأمومة القوية، يحرصن على الزواج ولكن بدافع الأمومة في الأساس، برغم أنهن لا يدركن ذلك تمامًا. ويأتي الأطفال، ويشعرون بالفرحة والرضا. وتسير الحياة بوتيرة منسجمة. يمكنهن العناية بأزواجهن وشئونهن الداخلية ويعدن للقيل والقال وبالتأكيد يعتنين بأطفالهن. ولكن كل هذا يحدث بوتيرة منسجمة. وكما ترىتُشبع غريزة الأمومة ـ من الناحية المادية.

حسنًا، بالنسبة للسيدة أرجيل كانت عاطفة الأمومة قوية للغاية، ولكنها كانت محرومة من إنجاب الأطفال، وبالتالي لم تشبع هذه الغريزة قط إشباعًا ماديًا. وبالتالي لم يخف عنها هاجس الأمومة قط. كانت تريد أطفالًا، الكثير من الأطفال. لم تكن تكتفي منهم. وكانت تكرس نفسها، ليلًا ونهارًا، من أجل هؤلاء الأطفال. ولم يعد زوجها يهتم كثيرًا. كان مجرد واجهة اجتماعية. كان شغلها الشاغل هو الأطفال: طعامهم، ملابسهم، ألعابهم، كل شيء مرتبط بهم. لقد فعلت لهم الكثير جدًا. والشيء الوحيد الذي تمنحهم إياه والذي كانوا بحاجة إليه، هو القليل من الإهمال البسيط. لم تكن تتركهم يخرجون إلى الحديقة ليلعبوا مثل الأطفال الطبيعيين في الريف. كلا، كان لديهم أحدث الألعاب على اختلاف أنواعها، ألعاب التسلق وأحجار الحديقة الصناعية، وبناء البيوت على الأشجار، وجلب الرمال وإعداد بحيرة صغيرة على النهر. لم يكن طعامهم طعامًا عاديًا بسيطًا. لماذا كان طعام هؤلاء الأطفال يُخفق حتى سن الخامسة تقريبًا، ويتم تعقيم اللبن الخاص بهم، ويتم اختبار المياه وحساب السعرات الحرارية والفيتامينات في طعامهم! ضع في اعتبارك أن حديثي عن هذه الأمور معك لا يعني أنني أخالف القواعد الأخلاقية لمهنة الطب. لم تكن السيدة أرجيل مريضة لدي. فإذا احتاجت إلى زيارة طبيب كانت تذهب إلى واحد من أشهر الأطباء بشارع هارلي. ولم تكن تتردد كثيرًا على الأطباء. كانت تتمتع بصحة جيدة جدًا وكانت نشيطة جدًا.

ولكني كنت الطبيب المحلي الذي يتم استدعاؤه لمتابعة الأطفال، برغم أنها كانت تميل إلى الاعتقاد بأنني لم أكن أعتني بهم. طلبت منها أن تدعهم يأكلون بعضًا من ثمار التوت من فوق الأشجار. وأخبرتها بأنه لن يؤذيهم ابتلال أقدامهم وأن يصابوا

بالبرد من الوقت للآخر، وليس هناك ما يدعو للقلق حين تصل درجة حرارة الطفل إلى وشرطتين. ولا ينبغي أن تقلق حتى تصل درجة الحرارة إلى 38 وثلاث شرطات. كانت تدلل هؤلاء الأطفال وتتلف شخصيتهم وتقلق عليهم وتحبهم بطرق عدة لم تكن لتحقق لهم فائدة بأي شكل من الأشكال".

قال كالجري: "تقصد أن هذا لم يفد جاكو؟".

"حسنًا، لم أكن أفكر في جاكو فقط. أظن أن جاكو كان أكثر عرضة من البداية. والوصف الذي ينطبق عليه هو "الفتى المجنون الفوضوي" كما يقولون بلغة اليوم؛ فهذا وصف مناسب تمامًا له. وقد بذل آل أرجيل أفضل ما بوسعهم من أجله، لقد فعلوا من أجله ما كان بإمكانهم القيام به. لقد رأيت الكثير من النماذج المشابهة لنموذج جاكو في حياتي. وفي مرحلة لاحقة من الحياة، حين ينحرف الصبي عن الطريق القويم، يقول الوالدان: "لو أننا كنا أكثر شدة معه حين كان صغيرًا"، أو يقولون: "كنا قساة للغاية، يا ليتنا كنا أكثر لطفًا معه". ولا أظن أن هذا يختلف كثيرًا عن ذاك. هناك من ينحرف لأنه تربى في منزل غير سعيد ولا يشعر بالسعادة. ثم هناك من ينحرف لأنه مع تعرضه لأقل قدر من الضغط ينحرف. وأنا أضع جاكو في التصنيف الأخير".

قال كالجري: "إذن لم تتفاجأ حين قُبض عليه بتهمة ارتكاب جريمة قتل؟".

"بصراحة، تفاجأت. ليس بسبب أن فكرة القتل قد تكون منفرة على وجه التحديد بالنسبة لـ جاكو. هو من نوعية الشباب المستهتر، ولكن نوعية جريمة القتل التي ارتكبها جعلتني أتفاجأ. أوه، أعرف أنه عنيف المزاج؛ ففي صغره، كان يصطدم بالأطفال الصغار أو يضربهم بلعبة ثقيلة الوزن أو قطعة خشب. ولكنه كان يضرب عادةً طفلًا أصغر منه، ولم يكن ينتج ذلك عادة من نوبات من الغضب الجامح التي تعتريه بقدر ما كانت رغبة منه بالإيذاء أو امتلاك شيء كان يريده. ونوعية جرائم القتل التي كنت أتوقع من جاكو أن يرتكبها ـ إن كان سيرتكبها أصلًا ـ هي تلك الحالات التي يهرب فيها شابان وحين تداهمهما الشرطة، ويقول الشباب من عينة جاكو: "اضربه على رأسه، يا صاح. دعنا نقضِ عليه. صوب له السلاح"؛ فهذا النوع من الشباب على استعداد لارتكاب الجرائم، على استعداد لتحريض الآخرين على القتل، ولكنهم لا يمتلكون الجرأة لارتكاب الجريمة بأنفسهم وبأيديهم. هذا ما ينبغي أن أقوله. ويبدو الآن أنني كنت محقًا".

حدق كالجري إلى السجادة، كانت سجادة بالية لا تكاد تبين عليها أية رسومات.

قال: "لا أعرف ما كنت بصدد مواجهته. لم أدرك ما كان سيعنيه هذا الأمر للآخرين. لم أكن أرى أنه ربما ... أنه يجب ..."

كان الطبيب يومئ برأسه في لطف.

ثم قال ماكماستر: "أجل، يبدو الأمر هكذا، أليس كذلك؟ يبدو كأنه يتعين عليك

أن تضع تلك الحقيقة بينهم".

قال كالجري: "أظن أن هذا ما جئت لأحدثك فيه. من الناحية الظاهرية للموضوع، لا يبدو هناك أي دافع حقيقي لدى أي منهم لقتلها".

وافقه الرأي قائلًا: " من الناحية الظاهرية، ليس هناك دافع. ولكن إذا ما تعمقت قليلًا وراء الظاهر، أوه ... أجل أظن أن هناك عدة أسباب وراء رغبة أحدهم في قتلها".

تساءل كالجري: "ما الأسباب؟".

"تشعر بأن الأمر يعنيك حقًا، أليس كذلك؟".

"أظن ذلك. لا أستطيع تمالك نفسي عن هذا الشعور".

"لعلني كنت لأشعر بالشيء نفسه إن كنت مكانك... لا أعرف. حسنًا، ما أقصده أنه لم يكن هناك أحد منهم يملك زمام أمور نفسه. طالما أنها والدتهم - وأطلق عليها ذلك تأدبًا في الحديث - كانت على قيد الحياة. كانت تحكم قبضتها عليهم جميعًا، كما تعرف".

"على أي نحو؟".

" كانت تعولهم من الناحية المالية. كانت تعولهم بسخاء. كان هناك دخل كبير موزع فيما بينهم بالحصص التي يظن الأوصياء أنها مناسبة. وبرغم أن السيدة أرجيل لم تكن واحدة من الأوصياء، فإن أمنياتها كانت مجابة ما دامت على قيد الحياة". صمت لبرهة ثم استطرد.

"وهذا مثير للإعجاب نوعًا ما، كيف حاول الجميع الهروب؛ وكيف جاهدوا من أجل الخروج عن نمط الحياة الذي أعددته لهم. ونظرًا لأنها أعدت لهم نمط حياة، نمطًا جيدًا للغاية. كانت تريد أن توفر لهم منزلًا جيدًا، وتعليمًا جيدًا، ومصروفات جيدة، وبداية جيدة للوظائف التي اختارتها لهم. كانت تريد أن تعاملهم كما لو أنهم أبناؤها هي وليو أرجيل. وبالطبع، لم يكونوا أبناءهما. كانت لهم نزعات ومشاعر ومواهب ومتطلبات مختلفة تمامًا. ميكي الشاب يعمل الآن كمندوب مبيعات السيارات. وكانت هيستر قد هربت من المنزل تقريبًا لتمثل على خشبة المسرح. ووقعت في حب شخص من نوعية الشخصيات غير المرغوبة على الإطلاق ولم تكن ممثلة جيدة مطلقًا، ومن ثم عادت إلى المنزل. وقد اعترفت - وهي لا تحب الاعتراف - بأن والدتها كانت محقة. وأصرت ماري دورانت على الزواج من رجل في أثناء الحرب، كانت أمها قد حذرتها من الزواج منه. كان شابًا شجاعًا وذكيًا ولكنه أحمق تمامًا حين يتعلق الأمر بمسألة إدارة الأعمال. ثم أصيب بالشلل. وجاء ليقضي فترة النقاهة في منزل صني بوينت. كانت السيدة أرجيل تضغط عليهما ليعيشا هناك بصفة دائمة. كان الزوج على استعداد تام للعيش هناك، أما ماري دورانت فكانت تعارض الفكرة باستماتة. كانت تريد أن تعيش مستقلة بمنزلها وتستأثر بزوجها لنفسها. ولكنها كانت لتذعن لرغبة والدتها بلا شك،

لو لم تمت والدتها.

أما ميكي، الفتى الآخر، فهو شاب ناقم محب للشجار دومًا، كان يكره بشدة تخلي أمه الحقيقية عنه. وكره هذا كطفل صغير ولم يتغلب قط على ذلك الشعور. وأظن في قرارة نفسي أنه كان يكره أمه بالتبني.

ثم هناك المربية السويدية. لم تكن تحب السيدة أرجيل. كانت مغرمة بالأطفال وكانت مغرمة بـ ليو. قبلت العديد من الامتيازات التي منحتها إياها السيدة أرجيل، وحاولت على الأرجح أن تكون ممتنة لها ولكنها لم تستطع ذلك. ومازلت أستصعب اعتقاد أن مشاعر الكره يمكن أن تقودها إلى ضرب ولية نعمتها على رأسها بقضيب إذكاء النيران. فعلى أية حال، يمكنها أن ترحل في أي وقت تشاء. أما بالنسبة لـ ليو أرجيل ..."

"أجل، ماذا عنه؟".

قال الدكتور ماكماستر: "سوف يتزوج مرة أخرى وأتمنى له حظًا سعيدًا. فتاة شابة لطيفة للغاية. فتاة طيبة القلب وحلوة المعشر ولطيفة وتحبه حبًا جمًا. قضت معه وقتًا طويلًا. ماذا كان شعورها تجاه السيدة أرجيل؟ يمكنك أن تخمن على الأرجح مثلي تمامًا. من الطبيعي أن تيسر وفاة السيدة أرجيل الأمور بدرجة كبيرة؛ فـ ليو أرجيل ليس من نوعية الرجل الذي يقيم علاقة مع سكرتيرته وزوجته موجودة في المنزل نفسه، ولا أظن أيضًا أنه قد يترك زوجته".

قال كالجري بتروٍّ:

"لقد قابلت كليهما، وتحدثت معهما. لا أستطيع تصديق أن أيًا منهما ..."

قال ماكماستر: "أعرف. لا يستطيع المرء أن يصدق، أليس كذلك؟ ومع ذلك ... لابد أن واحدًا من أهل البيت ارتكب الجريمة، كما تعلم".

"أنت حقًا تظن ذلك؟".

"لا أرى احتمالًا آخر. كانت الشرطة واثقة تمامًا من أن الجريمة ليست بفعل شخص من خارج المنزل، والشرطة محقة على الأرجح".

تساءل كالجري: "ولكن من منهم؟".

هز ماكماستر كتفيه وقال: "المرء لا يعرف هذا بكل بساطة".

"ليست لديك أدنى فكرة من معرفتك لهم جميعًا؟".

قال ماكماستر: "لم أكن لأقول لك لو كنت أعرف؛ فعلى أية حال، ما الذي أملكه للاستمرار على أساسه؟ وما لم أكن قد أغفلت عن بعض العوامل، لا يبدو بالنسبة لي أن هناك أحدًا قاتلًا منهم. ومع ذلك، لا يمكنني أن أستثني أحدًا من الاحتمال. كلا"، ثم

أضاف بتروّ: "في رأيي لن نعرف أبداً من هو الجاني الحقيقي. ستجري الشرطة التحريات وكل هذه الأشياء. ستبذل الشرطة أقصى جهد لها، ولكن الحصول على دليل بعد مرور كل هذه الفترة مع عدم توافر القليل من المعلومات ليبدأوا على أساسها ..."، ثم هز رأسه وقال: "كلا، لا أظن أن الحقيقة ستعرف أبداً. هناك قضايا مماثلة، كما تعرف. المرء يقرأ عنها. قبل خمس ... خمسمائة سنة مضت، كانت هناك قضايا فيها ثلاثة أو أربعة أو خمسة أشخاص لابد أنهم ارتكبوا الجريمة، ولكن ليست هناك أدلة كافية ولن يعرف أحد الحقيقة مطلقاً".

"هل تظن أن هذا الأمر سيكون مماثلاً؟".

قال الدكتور ماكماستر: "حسناً .. أجل أظن ..."، ثم سدد نظرة ماكرة إلى كالجري، وقال: "وهذا مفزع للغاية، أليس كذلك؟".

قال كالجري: "مفزع بسبب الأبرياء. هذا ما قالته لي".

"من؟ من قال لك ماذا؟".

"الفتاة ... هيستر. قالت إنني لا أفهم أن الأبرياء هم من يشكلون أهمية. وهذا ما تقوله أنت لي. وهل سنعرف أبداً ...".

".... من البريء؟" أكمل له الطبيب سؤاله. "أجل، لو أننا لا نعرف شيئاً سوى الحقيقة. حتى لو لم تنته القضية بالقبض على الجاني أو عقد محاكمة أو إدانة. فقط لنعرف؛ لأنه بخلاف ذلك ..." توقف لبرهة.

قال كالجري: "ماذا؟".

قال الدكتور ماكماستر: "فكر بنفسك. كلا، لست بحاجة إلى قول ذلك ... أنت بالفعل لديك".

واستطرد قائلاً:

"هذا يذكرني بقضية برافو ... ما يقرب من مائة عام مضت، على ما أظن، ولكن ما زالت تؤلف عنها الكتب حتى يومنا هذا، وهي قضية تدور حول إثبات أن زوجة القتيل هي الجاني، أو أن السيدة كوكس هي التي قتلته أو دكتور
جالي ... أو حتى تشارلز برافو قد تناول السم برغم رأي المحقق في أسباب الوفاة. وجميعها نظريات جديرة بالتصديق تماماً ... ولكن ليس في مقدور أحد أن يعرف الحقيقة. ومن ثم، ماتت فلورانس برافو وحدها إثر الإفراط في الشراب بعد أن اعتزلتها أسرتها، والسيدة كوكس ـ نبذها الجميع ـ وعاشت مع أبنائها الثلاثة حتى تقدم بها العمر، وظل معظم الناس على اعتقادهم بأنها القاتلة، والدكتور جالي دُمِّر مستقبله المهني والاجتماعي ...

كان هناك مذنب ... وأفلت من العقوبة. ولكن الآخرين كانوا أبرياء ... وعوقبوا

على ذنب لم يرتكبوه".

قال كالجري: "ولكن يجب ألا يتكرر هذا في هذه القضية. يجب ألا يتكرر!".

الثامن

1

كانت هيستر أرجيل تنظر إلى نفسها في المرآة. كان في نظرتها شيء من الغرور، بل كانت نظرتها أقرب إلى سؤال قلق يخفي وراءه تواضع فتاة لم تكن قط واثقة من نفسها. أزاحت خصلات شعرها عن جبهتها، وجذبتها إلى جانب واحد وعبست مما رأته. وحين انعكست صورة وجه آخر من ورائها على المرآة، تفاجأت وأجفلت واستدارت في هلع.

قالت كريستين ليندستروم: "أوه، أنت خائفة!".

"ماذا تقصدين بخائفة، يا كريستي؟".

"أنتِ خائفة مني. تظنين أنني تسللت من خلفك خلسة ولعل في نيتي أن أطرحكِ أرضًا".

"أوه، كريستي، لا تكوني حمقاء. بالطبع، لن يخطر على بالي شيء كهذا".

قالت الآنسة ليندستروم: "ولكنك كنت تظنين ذلك. وأنتِ محقة في اعتقادك مثل هذه الأشياء أيضًا. تخافين من رؤية خيالات، لتتفاجئي من رؤيةَ شيء لا تفهمينه تمامًا؛ لأن هناك شيئًا هنا في هذا المنزل يبعث على الخوف. إننا نعرف ذلك الآن".

قالت هيستر: "على أية حال، لست بحاجة إلى الخوف منك، عزيزتي كريستي".

قالت كريستي ليندستروم: "كيف تتأكدين من ذلك؟ ألم أقرأ في الجرائد قبل فترة قصيرة عن سيدة كانت تعيش مع أخرى لسنوات، وذات يوم قتلتها فجأة. خنقتها. وحاولت أن تفقع عينيها. وما السبب؟ لقد أخبرت الشرطة برقة بالغة بأنها لاحظت منذ فترة أن الشيطان يسكن هذه المرأة. لقد رأت الشيطان يطل من عيني هذه السيدة وكانت تعرف أنه يجب أن تتحلى بالقوة والشجاعة لتقتل الشيطان!".

قالت هيستر: "أوه، حسنًا، أتذكر تلك القصة، ولكن تلك السيدة كانت مجنونة".

قالت كريستين: "آه، ولكنها لم تكن تعرف أنها مجنونة. ولم تبد مجنونة بالنسبة لمن حولها؛ لأنه لم يكن أحد يعرف ماذا يدور في عقلها البائس المنحرف. وكما قلت

لك، أنت لا تعرفين ما يدور في رأسي. ربما أكون مجنونة. لعلني ذات يوم نظرت إلى أمك وظننت أنها امرأة سيئة وأن من واجبي قتلها".

"ولكن، كريستي، ما تقولينه هراء! محض هراء".

اعترفت قائلة: "أجل، هذا هراء. كنت أحب أمك حبًا جمًا. كانت تحسن إليّ دومًا. ولكن ما أحاول أن أقوله لك، يا هيستر، وما يجب عليك أن تفهميه وتؤمني به هو أنك لا تستطيعين وصف أي شيء أو أي شخص بالهراء. لا يمكنك أن تثقي بي أو تثقي بأي شخص آخر".

قالت: "أرى حقًا أنك جادة فيما تقولين".

قالت كريستي: "أنا جادة جدًا. يجب أن نكون جميعًا جادين ويجب أن نناقش الأمور بصراحة. ليس من المفيد أن نتظاهر بأن شيئًا لم يحدث. هذا الرجل الذي جاء إلى هنا .... أتمنى لو أنه لم يأت، ولكنه أتى، وها هو قد أفصح بكل بساطة ـ كما فهمت ـ أن جاكو ليس بقاتل. حسنًا إذن شخص آخر هو القاتل، وهذا الشخص من بيننا حتمًا".

"كلا، يا كريستي، كلا. قد يكون شخصًا ..."

"شخصًا ماذا؟".

"حسنًا، شخص أراد أن يسرق شيئًا، أو شخص حاقد على أمي لأسباب متعلقة بالماضي".

"هل تظنين أن أمك كانت ستسمح لهذا الشخص بالدخول؟".

قالت هيستر: "ربما تفعل. أنت تعرفين شخصيتها. إذا جاء أحدهم بقصة بائسة عن ظروفه المتعثرة، أو إذا جاء أحدهم وحكى لها عن طفل يلقى الإهمال أو المعاملة السيئة. ألا تظنين أن أمي كانت ستسمح لذلك الشخص بالدخول وتصطحبه إلى غرفتها وتستمع لما سيقوله؟".

قالت كريستي: "بالنسبة لي، يبدو هذا مستبعداً جداً. على الأقل يبدو لي من المستبعد أن تجلس أمك على المكتب وتترك ذلك الشخص يمسك القضيب الحديدي ويضربها على مؤخرة رأسها. كلا، كانت مطمئنة وواثقة مع وجود شخص تعرفه في الغرفة".

صاحت هيستر قائلة: "ليتك لم تقولي شيئًا، يا كريتسي. أوه، ليتك لم تقولي. أنت تضيقين دائرة الشك تضيقينها جداً".

"لأنها ضيقة، ضيقة جداً بالفعل. ولن أقول المزيد في الوقت الراهن، ولكنني أحذرك رغم ظنك بمعرفة الأشخاص جيداً، ورغم أنك قد تظنين أنك تثقين بهم، لكن لا يمكنكِ الجزم بشيء. إذن، فلتأخذي حذرك. فلتأخذي حذرك مني ومن ماري ومن

أبيكِ ومن جويندا فوجان".

"كيف يمكنني أن أواصل العيش هنا وأنا أشك في الجميع؟".

"إذا طلبتِ نصيحتي فمن الأفضل لكِ أن تغادري هذا المنزل".

"لا أستطيع ذلك الآن".

"لم لا؟ بسبب الطبيب الشاب؟".

احمرت وجنتا هيستر قائلة: "لا أعرف ماذا تقصدين، يا كريستي".

"أقصد الدكتور كريج. إنه شاب لطيف للغاية. طبيب ممتاز ولطيف ومجتهد للغاية. يمكن أن تسوء حالتك، ولكني أعتقد أنه من الأفضل أن تتركي هذا المنزل وتذهبي بعيداً".

صاحت هيستر في غضب: "الأمر كله هراء، هراء، هراء. كم أتمنى لو أن دكتور كالجري لم يأتِ قط إلى هنا".

قالت كريستي: "تمنيت ذلك من كل قلبي".

2

وقع ليو أرجيل على آخر خطاب وضعته جويندا فوجان أمامه.

سألها قائلًا: "هل هذا هو الخطاب الأخير؟".

"أجل".

"لا بأس بما أنجزناه اليوم".

وبعد مرور دقيقة أو دقيقتين بعدما ختمت جويندا الخطابات وجمعتها، تساءلت قائلة:

"ألم يحن الوقت لـ .... لتسافر إلى الخارج؟".

"أسافر إلى الخارج؟".

بدا على ليو أرجيل الارتباك الشديد. قالت جويندا:

"أجل. ألا تتذكر أنك كنت بصدد السفر إلى روما وسينا".

"أوه، أجل، أجل، كنت سأسافر".

"كنت بصدد الاطلاع على وثائق الأرشيف التي كتب لك كاردينال ماسيليني عنها".

"أجل، أتذكر".

"هل تريد مني أن أحجز لك تذكرة سفر بالطائرة، أم تفضل السفر بالقطار؟".

نظر ليو إليها، كما لو أنه عاد من سفر بعيد، وابتسم ابتسامة باهتة.

قال: "تبدين متحمسة جداً للتخلص مني، يا جويندا".

"أوه، كلا، يا عزيزي، كلا".

جاءت إليه مسرعة وجثت على ركبتيها إلى جواره.

"لا أريد تركَكَ مطلقاً، مطلقاً. ولكن ... ولكن أظن .... أوه، أظن أنه من الأفضل أن تترك البيت بعد ... بعد...."

قال ليو: "بعد الأسبوع الماضي؟ بعد زيارة الدكتور كالجري؟".

قالت جويندا: "ليته لم يأتِ إلى هنا. ليت الأمور ظلت كما كانت عليه".

تساءل ليو: "مع إدانة جاكو ظلماً بشيء لم يفعله؟".

قالت جويندا: "ربما كان سيفعلها. ربما كان سيفعلها في أي وقت، وأعتقد أن عدم ارتكابه للجريمة هو من قبيل المصادفة البحتة".

قال ليو: "هذا غريب. لم أصدق قط أنه فعلها. أقصد بالطبع أنه تعين عليّ الاقتناع بالأدلة ... ولكن الأمر بدا مستبعداً للغاية".

"لماذا؟ لطالما كان عصبي المزاج، أليس كذلك؟".

"بلى، أوه، بلى. كان يهجم على الأطفال الآخرين. عادةً الأطفال الأصغر منه. لم أشعر قط بأنه سيهاجم راشيل".

"ولم لا؟".

قال ليو: "لأنه كان يخاف منها. كانت تتمتع بالسلطة، كما تعلمين. كان جاكو يشعر بذلك مثلما يشعر الجميع".

قالت جويندا: "ولكن ألا تظن أن هذا كان مجرد السبب لـ ... أقصد ..." توقفت لبرهة.

نظر إليها ليو متسائلاً. شيء في نظرته جعل وجنتيها تتوردان. استدارت وتوجهت إلى المدفأة وجثت على ركبتيها أمامها ومدت يديها إلى اللهب. قالت في نفسها: "حسناً، أجل، كان لـ راشيل سلطة. كانت معتدة بنفسها، وواثقة بنفسها جداً، كأنها ملكة

تسيطر على الجميع. أليس هذا سببًا كافيًا ليجعل المرء راغبًا في الإمساك بالقضيب الحديدي، وطرحها أرضًا، وإخراسها إلى الأبد؟ كانت راشيل دومًا محقة، كانت راشيل تعرف أكثر دومًا، كانت راشيل تفعل ما تريد دومًا".

هبت جويندا واقفة فجأة.

قالت: "ليو، هل يمكننا ... هل يمكننا أن نتزوج في أقرب وقت بدلًا من الانتظار حتى شهر مارس؟".

نظر إليها ليو. صمت لبرهة، ثم قال لها:

"كلا، يا جويندا، كلا. لا أظن أنها ستكون فكرة سديدة".

"ولم لا؟".

قال ليو: "أظن أنه ليس من الحكمة أن نتسرع في أي أمر".

"ماذا تقصد؟".

جاءت إليه. وجثت على ركبتيها إلى جانبه مرة أخرى.

قالت: "ليو، ما الذي تقصده؟ يجب أن تخبرني".

قال:

"عزيزتي، أظن أننا لا ينبغي لنا أن نتسرع في أي أمر كما قلت".

"ولكن سنتزوج في شهر مارس، كما خططنا لذلك؟".

قال:

"أتمنى ذلك ... أجل، أتمنى ذلك".

"لِمَ تتحدث كأنك غير متأكد ... ليو، ألم تعد تهتم بأمري؟".

قال وهو يضع يديه على كتفيها: "أوه، يا عزيزتي، بالطبع أنا مهتم. أنت كل شيء لي في هذه الدنيا".

قالت جويندا بفارغ الصبر: "حسنًا، إذن".

قام من مقعده وهو يقول: "كلا. كلا، ليس بعد. يجب أن ننتظر. يجب أن نتأكد".

"نتأكد من ماذا؟".

لم يرد عليها. قالت:

"أنت لا تظن ... لا يمكنك أن تظن ..."

قال ليو: "أنا ... أنا لا أظن أي شيء".

فتح الباب ودخلت كريستين ليندستروم تحمل صينية وضعتها على المكتب.

"تفضل الشاي، يا سيد أرجيل. هلا أحضرت فنجانًا آخر لك، يا جويندا، أم ستنضمين إلى الآخرين في الطابق السفلي".

قالت جويندا:

"سأنزل إلى غرفة الطعام. سآخذ هذه الخطابات. من المفترض أن تُرسل".

وبيدين مرتعشتين قليلًا التقطت الخطابات التي وقع عليها ليو توًا وخرجت من الغرفة وهي تحملها. تبعتها كريستين ليندستروم ببصرها، ثم حولته إلى ليو.

تساءلت: "ماذا قلت لها؟ ما الذي فعلته لتحبطها؟".

قال ليو وبدا في صوته الإجهاد: "لا شيء. لا شيء على الإطلاق".

هزت كريستين ليندستروم كتفيها، ثم خرجت من الغرفة من دون أن تقول شيئًا. ومع ذلك، يمكن استشعار نقضها الخفي الذي لم تَصُغْهُ في كلمات. تنهد ليو وتراجع في مقعده. شعر بإجهاد شديد. صب الشاي ولكن لم يشربه. وبدلًا من ذلك، جلس في كرسيه محدقًا إلى الفراغ عبر الغرفة، كان ذهنه مشغولًا بالماضي.

3

النادي الاجتماعي الذي كان مهتمًا به في الطرف الشرقي من لندن ... هناك التقى بـ راشيل كونستام. يستطيع أن يراها الآن بوضوح في مخيلته. فتاة متوسطة الطول، ممتلئة القوام، ترتدي ملابس لم يكن يقدر أنها باهظة للغاية، ولكنها كانت ترتديها بشيء من عدم الاهتمام. كانت فتاة ذات وجه مستدير جادة وودودة؛ أعجبه فيها الحماسة والسذاجة وهي تتحدث عن أشياء كثيرة يجب إنجازها، وأشياء كثيرة تستحق الإنجاز! كانت تتحدث بحماسة بالغة من دون ترابط بين الموضوعات، وشعر بالانجذاب إليها. وشعر هو أيضًا بأن هناك أشياء كثيرة يجب إنجازها، وأشياء كثيرة تستحق الإنجاز، رغم أنه يتحلى بموهبة فطرية في الدعابة والسخرية التي جعلته يشك في جدوى نجاح هذه الأشياء، التي تستحق الإنجاز، كما ينبغي لها. ولكن راشيل لم تساورها أية شكوك. كانت تقول له دومًا إذا فعلت هذا، إذا فعلت ذاك، إذا حصلت مؤسسة كذا على الإعانات والمنح، فإن النتائج النافعة ستأتي تلقائيًا.

أدرك الآن أنها لم تأخذ الطبيعة البشرية في الاعتبار مطلقًا. لطالما كانت تنظر إلى الناس كحالات كأنهم مشكلات يجب التعامل معها. لم تكن ترى قط أن كل إنسان

يختلف عن الآخر، وقد يتصرف على نحو مختلف، ويتمتع بخصوصية مميزة له. تذكر أنه قال لها حينها ألا تتوقع الكثير. ولكنها كانت تتوقع الكثير دومًا، برغم أنها كانت تنكر تهمته على الفور. كانت تتوقع الكثير دومًا، ومن ثم كانت تُحبط دومًا. لقد وقع في حبها بسرعة بالغة، وتفاجأ حين اكتشف أنها ابنة لأبوين ثريين.

خططا لحياتهما معًا على أسس راقية من التفكير وليس مجرد حياة عادية وحسب. الآن بإمكانه أن يرى بوضوح ما الذي جذبه إليها في الأساس. كان ما جذبه إليها هو دفء قلبها؛ ولكن المأساة تمثلت في أن دفء قلبها لم يكن له حقًا. أجل، كانت تحبه. غير أن ما أرادته منه ومن الحياة حقًا هو إنجاب الأطفال. ولكنها لم تُرزق بالأطفال.

قاموا بزيارة الأطباء، أطباء ذائعي الصيت، وأطباء مغمورين، حتى الدجالين، وأُجبرت على قبول النتيجة في النهاية؛ إنها لا تستطيع الإنجاب مطلقًا. وشعر بالأسف عليها، بالأسف الشديد، وقد أذعن عن طيب خاطر لاقتراحها بأنه ينبغي عليهما كفالة طفل. وكانا على اتصال بجمعيات الكفالة وعندما كانا في زيارة لنيويورك اصطدمت سيارتهما بطفلة تخرج مسرعة من منزل في حي فقير من المدينة.

قفزت راشيل من السيارة وجثت على ركبتيها في الشارع إلى جوار الطفلة التي أصيبت بخدوش وحسب، ولكنها لم تجرح. كانت فتاة جميلة ذات شعر أشقر وعينين زرقاوين. أصرت راشيل على اصطحابها للمستشفى للتأكد من عدم وجود إصابات. التقت بأقارب الطفلة؛ عمة مهملة وزوج عمة ثمل بكل وضوح. كان من الواضح أنهما لا يكنان أي مشاعر للطفلة التي أخذاها للعيش معهما بعد وفاة والديها. اقترحت راشيل أن تستضيف الطفلة لبضعة أيام، فتلهفت السيدة بالموافقة.

وقالت: "لا يمكنها الاعتناء بها جيدًا هنا".

ومن ثم، أُخذت ماري إلى جناحهما في الفندق. ومن الواضح أن الطفلة استمتعت بالفراش الوثير والحمام الفاخر. اشترت لها راشيل ملابس جديدة، ثم جاءت اللحظة التي قالت فيها الطفلة:

"لا أريد أن أذهب إلى المنزل. أريد أنا أبقى هنا معك".

نظرت إليها راشيل، ثم نظرت بلهفة مفاجئة بها اشتياق وفرحة. وقالت بمجرد أن كانا على انفراد.

"دعنا نحتفظ بها. من السهل أن نرتب لذلك. سوف نكفلها وستكون طفلتنا. ستسعد تلك السيدة سعادة بالغة لو تخلصت منها".

وقد وافق على طلبها بسهولة بالغة. بدت الطفلة هادئة وحسنة السلوك ومطيعة. من الواضح أنه لم تكن أي مشاعر تجاه العمة وزوجها اللذين كانت تعيش معهما. وإن كان هذا الأمر سيجعل راشيل سعيدة، فإنهما ينطلقان تجاهه. تم أخذ مشورة المحامين، والتوقيع على الأوراق وتغيير اسم ماري أوشيكونسي إلى ماري أرجيل، وسافرت معهما

إلى أوروبا. وظن أنه أخيراً ستكون راشيل المسكينة سعيدة. وكانت سعيدة فعلًا. كانت سعيدة على نحو منفعل ومحموم، كانت مهووسة بـ ماري، تشتري لها كل أنواع الألعاب الباهظة. وكانت ماري تقبل كل شيء بلطف ووداعة. برغم ذلك، كان ليو يعتقد أن هناك دومًا شيئًا يضايقه بعض الشيء. إذعان الطفولة بسهولة، افتقارها إلى أي نوع من الحنين إلى أهلها وبيتها. تمنى أن يأتي الحب الحقيقي فيما بعد. ولكنه لم يستطع أن يرى أي علامات حقيقية لهذا الحب؛ بل ما رآه مجرد قبول للمنافع والرضا والاستمتاع بكل ما يُقدم لها. ولكن ماذا عن حبها لأمها الجديدة التي كفلتها؟ كلا لم ير شيئًا كهذا.

ومنذ ذلك الحين، رأى ليو أنه يتراجع إلى خلفية أحداث حياة راشيل أرجيل. كانت أمًا بطبيعتها لا زوجة. وفي ذلك الوقت، بعد تبني ماري، بدا كأن عاطفة تفجرت أكثر بداخلها ولم يتم إشباعها. فطفلة واحدة لا تكفيها.

ووجهت كل مشارعيها منذ ذلك الحين للأطفال. كانت تهتم بالملاجئ، والتبرعات للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، الأطفال أصحاب الإعاقات العقلية والذين يعانون الشلل وتشوهات البنية ... الأطفال دومًا. كان هذا مثيراً للإعجاب. كان يشعر دومًا بأن هذا عمل مثير للإعجاب جدًا، ولكنه صار محور حياته. وبدأ تدريجيًا ينخرط في أنشطته الخاصة. بدأ يتعمق أكثر في الخلفية التاريخية لعلم الاقتصاد، الذي كان يهتم به دومًا. وأخذ ينعزل أكثر فأكثر في مكتبته. وانشغل بالأبحاث، وكتابة دراسة قصيرة ومعدة جيدًا. كانت زوجته منشغلة وسعيدة ومتحمسة بإدارة المنزل وزيادة أنشطتها. كان لطيفًا ومتقبلًا للأمور. شجعها قائلًا: "هذا مشروع رائع للغاية، يا عزيزتي". "أجل، أجل، بالتأكيد سأشجعك على ذلك". ومن وقت لآخر، كان يتسلل منه تحذير. "يجب أن تدرسي الوضع تمامًا قبل أن تلزمي نفسك بشيء. يجب ألا تتحمسي لذلك".

وواصلت استشارته، ولكن أحيانًا كانت تقوم بهذا على نحو روتيني. ومع مرور الوقت، صارت أكثر استبدادًا. كانت تثق بأنها محقة، وأنها تعرف الأفضل. ومن ثم سحب بكياسة انتقاداته وتحذيراته العرضية.

ظن أن راشيل لا تحتاج إلى مساعدة أو حب من جانبه. كانت مشغولة وسعيدة ومتحمسة للغاية.

وكان وراء الألم، الذي لم يستطع منع نفسه عن الإحساس به، شعور غريب نحوها بالشفقة. بدا الأمر كأنه يعرف أن الطريق الذي تسلكه قد يكون محفوفًا بالمخاطر.

ومع اندلاع الحرب في عام 1939، تضاعفت أنشطة السيدة أرجيل على الفور. وبمجرد أن خطرت على ذهنه فكرة افتتاح دور رعاية أطفال الضواحي الفقيرة، تواصلت على الفور مع ذوي النفوذ والسلطة في لندن. كانت وزارة الصحة على استعداد للتعاون وبحثت عن منزل مناسب لغرضها ووجدته بالفعل. منزل حديث البناء وعصري في منطقة بعيدة بإنجلترا خالية من قصف القنابل على الأرجح. وهناك كان بإمكانها

استضافة 18 طفلًا ما بين سن الثانية والسابعة. ولم يأتِ الأطفال من بيوت فقيرة وحسب بل وتعيسة. كانوا أيتامًا أو أبناء غير شرعيين لم ترغب أمهاتهم في مغادرة المنازل معهم واللاتي مللن من الاعتناء بأبنائهن. أطفال من أسر تسيء معاملتهم وتهملهم. كان ثلاثة أو أربعة أطفال من هؤلاء الأطفال ذوي احتياجات خاصة. ومن أجل معالجة تشوهات العظام، قامت بتعيين طاقم من الخادمين، ومدلكة سويدية وممرضتين مدربتين تمامًا. ولم يُنفذ المشروع على أسس تكفل الراحة وحسب، بل تكفل الترف والرفاهية أيضًا. وذات مرة حذرها قائلًا:

"يجب ألا تنسي، يا راشيل، أن هؤلاء الأطفال سيعودون إلى البيئة التي ينتمون إليها. يجب ألا تصعبي عليهم مسألة العودة".

ردت بحماس قائلة: "لا شيء كثير على هؤلاء الصغار. لا شيء!".

حثها قائلًا: "أجل، ولكن ينبغي أن يعودوا، تذكري ذلك".

ولكنها تجاهلت ذلك. وقالت: "ربما ليس من الضروري. ربما ... سنناقش هذا في المستقبل".

وسرعان ما اقتضت الحرب حدوث تغييرات. كان يتعين تسريح الممرضات، اللاتي تململن من العناية بأطفال أصحاء في فترة يستلزم فيها تمريض المصابين من جراء الحرب، من العمل. وفي النهاية، لم يتبق سوى ممرضة واحدة كبيرة في السن وكريستين ليندستروم. اختلت الإدارة المنزلية وكانت كريستين ليندستروم تنقذ الموقف. كانت تعمل بقدر كبير من الإخلاص وإنكار الذات.

كانت راشيل أرجيل مشغولة وسعيدة. تذكر ليو أنه مرت عليهم فترات ارتباك من وقت آخر. وذات يوم، خافت راشيل على أحد الأطفال، ميكي، الذي كان يفقد وزنه ببطء، وضعفت شهيته؛ ومن ثم استدعت الطبيب. لم يجد الطبيب أي خلل ولكنه قال للسيدة أرجيل إن الطفل يشتاق للعودة إلى أسرته. ولكنها رفضت الفكرة على الفور.

قالت: "مستحيل! أنت لا تعرف المنزل الذي أتى منه. كان يُضرب ويلقى معاملة سيئة. لابد أنه كان جحيمًا بالنسبة له".

رد الدكتور ماكماستر قائلًا: "ورغم ذلك، ورغم ذلك لست مستغربًا، المهم أن نجعله يتحدث".

وذات يوم تحدث ميكي. بكى في فراشه وصاح وهو يبعد راشيل عنه بقبضته:

"أريد أن أعود إلى المنزل. أريد أن أعود إلى المنزل، إلى أمي، إلى إرني".

انزعجت راشيل وهي لا تكاد تصدق.

قالت: "ليس من المعقول أنه يرغب في العودة إلى أمه. لم تكن تعتني به. كما

كانت تضربه أغلب الوقت".

وكان ليو يقول لها بلطف: "ولكنك تعارضين الفطرة، يا راشيل. إنها أمه، وهو يحب أمه".

"ليست أمًا بأي شكل من الأشكال!".

"هو لحمها ودمها. هذا ما يشعر به. ولا شيء يمكن أن يحل محلها".

ردت عليه قائلة: "ولكن الآن، لابد أن يعتبرني أنا أمه".

رأى ليو أنه كان في إمكان راشيل المسكينة أن تشتري الكثير من الأشياء ... لا شراء الأشياء بدافع الأنانية، ولا أشياء لنفسها، كان بإمكانها أن تمنح الأطفال المنبوذين الحب والرعاية والمأوى. كانت تستطيع شراء كل شيء من أجلهم، ولكنها لا تستطيع شراء حبهم لها.

ثم انتهت الحرب. وبدأ الأطفال في العودة إلى لندن، بناءً على طلب آبائهم أو أقاربهم. ولكن لم يعودوا جميعًا. بقي بعض منهم منبوذين من أهلهم وحينئذ قالت راشيل له:

"تعرف، يا ليو، إنهم صاروا أطفالنا الآن. لقد حان الوقت الذي يمكننا أن نكون أسرة حقيقية لأنفسنا. أربع .... أو خمسة من هؤلاء الأطفال يمكنهم البقاء معنا. سوف نتبناهم، ونقدم لهم الرعاية، وسيكونون أبناءنا".

انتاب ليو شعور مبهم بعدم ارتياح ولم يكن يعرف السبب. لم يكن معترضًا على وجود الأطفال، ولكنه كان يشعر بزيف الأمر على نحو فطري؛ افتراض أنه من السهل تكوين أسرة بأساليب مصطنعة.

قال ليو: "ألا تعتقدين أن في ذلك مخاطرة ما؟".

ولكنها أجابته: "مخاطرة؟ وما المشكلة إذا كانت مخاطرة؟ فهي تستحق خوضها".

أجل، افترض أن الأمر يستحق خوضه، ولكنه لم يكن واثقًا تمامًا مثلها. وفي ذلك الوقت، كان قد ابتعد كثيرًا، منفصلًا تمامًا في أجواء باردة خاصة به، وليس له أن يعترض، وقال كما كان يقول لمرات عدة:

"افعلي ما يحلو لك، يا راشيل".

كان يملؤها الشعور بالانتصار والسعادة وتنفيذ خطتها واستشارة المحامين والتعامل مع الأمور بطريقتها العملية. ومن ثم كونت أسرة لها. ماري، الابنة الكبرى التي تبنتها من نيويورك، ميكي، الطفل الذي يتوق للعودة إلى أسرته والذي كان يبكي كل ليلة قبل نومه، يشتاق للعودة إلى منزله بالحي الفقير وإلى أمه المهملة سيئة الطباع، تينا، الفتاة السمراء كانت أمها سيئة الأخلاق وكان أبوها يعمل بحارًا. هيستر،

كانت أمها أيرلندية أنجبت طفلة وكانت تريد التخلص منها لتبدأ حياتها مرة أخرى. ثم جاكو، ذلك الفتى الصغير القبيح الذي يضحكهم بسلوكه الغريب، والذي كان يستطيع دومًا الإفلات من العقاب، ويأخذ حلوى من القائم على تنفيذ العقوبة؛ الآنسة ليندستروم. والد جاكو، كان يقضي عقوبة بالسجن وأمه هربت مع رجل آخر.

رأى ليو أن مهمة تنشئة هؤلاء الأطفال تستحق الجهد، لمنحهم امتياز توفير منزل وحب وأب وأم. أدرك ليو أن من حق راشيل أن تشعر بزهوة الانتصار. ولكن الأمور لم تنجح بالطريقة المفترضة لها... لأن هؤلاء الأطفال لم يكونوا أبناءه هو وراشيل. فبداخلهم دماء غير دماء أجداد راشيل المجتهدين، ليس بهم شيء من الطموح والحافز الذي جعل أقل فرد في أسرتها يكتسب مكانته الرفيعة في المجتمع، ليس بهم شيء من عطف ونزاهة الفكر التي يتذكر أن والده وجده وجدته يتمتعون بها. ليس بهم شيء من الذكاء الحاد الذي يتمتع به أجداده على الجانب الآخر.

كل شيء يمكن تهيئته في البيئة تمت تهيئته من أجلهم. وكان بمقدور هذه التهيئة أن تصنع الكثير، ولكنها لم تصنع شيئًا على الإطلاق. كانت هناك بذور ضعيفة أتت بهم إلى دار الرعاية في المقام الأول، وتحت الضغوط قد تطرح هذه البذور ثماراً. وقد تحقق هذا تمامًا في جاكو. جاكو ـ صاحب الشخصية الآسرة، جاكو الذكي، بنوادره، وبعادته في إقناع الآخرين بما يريد بسلاسة، كان مثالًا على الانحراف. وقد بدا هذا في وقت مبكر للغاية في سرقة أشياء تافهة، في الكذب، في كل شيء يعزو إلى أصله وتربيته السيئة. أشياء يمكن حلها بسهولة كما كانت تقول راشيل. ولكن لم يتم حلها.

كان أداؤه في الدراسة سيئًا. وتم فصله من الجامعة، ومنذ ذلك الحين توالت سلسلة طويلة من الحوادث الموجعة؛ حيث بذل هو وراشيل قصارى جهدهما في محاولة تهدئة الصبي بحبهما وثقتهما، وحاولا أن يجدا له عملًا يتناسب مع طبيعته؛ بحيث يمكنه تحقيق النجاح لو كرس نفسه لذلك. رأى ليو أنه ربما كان متساهلًا معه. ولكن كلا، سواء أكان متساهلًا أم قاسيًا، فإن النتيجة واحدة في حالة جاكو. ما كان يريده، كانت تجب تلبيته. فإن لم يستطع الحصول عليه بأية وسيلة شرعية، فإنه على استعداد الحصول عليه بأية طريقة أخرى. لم يكن بارعًا بالدرجة الكافية لينجح في ارتكاب جريمة، حتى لو جريمة بسيطة. ثم تذكر ذلك اليوم الأخير حين عاد مفلسًا، خائفًا من السجن، وطلب مالًا باعتباره حقه، مهدداً أمه. ثم رحل وهو يصيح بأنه سيعود وأنه من الأفضل لها أن تجهز له المال وإلا!

وهكذا ... ماتت راشيل. كيف بدا الماضي بعيداً بالنسبة له. كل هذه السنوات التي مضت على الحرب وكبر الأولاد والبنات. وحتى هو نفسه؟ بدت ذكريات بعيدة شاحبة. بدا كأن راشيل نزعت الطاقة والحيوية من الحياة بالنسبة له، تاركة إياه متعبًا ومنهكًا بحاجة ماسة إلى الدفء والحب.

وحتى الآن لا يسعه تذكر أول مرة أدرك مدى قرب هذه الأشياء منه. قريبة في

متناول اليد ... لم تُعرض عليه، ولكن كانت موجودة.

جويندا ... السكرتيرة المثالية الكفء، تعمل لديه، دومًا بالقرب منه تتعامل بلطف وتقدم يد العون. كان هناك شيء بها ذكره بما كانت عليه راشيل حين قابلها أول مرة. الدفء نفسه، الحماس نفسه، العاطفة نفسها. ولكن في حالة جويندا، كان الدفء والعاطفة والحماس من أجله هو. وليس من أجل الأطفال المفترض إنجابهم في يوم ما، فقط من أجله هو. كان الأمر أشبه بتدفئة يديه بالقرب من النار ... يدين باردتين وجامدتين من عدم الاستخدام. متى لاحظ لأول مرة أنها مهتمة به؟ كان من الصعب تحديد ذلك. لم يكن هناك أي اكتشافات مفاجئة.

ولكن فجأة ... ذات يوم ... أدرك أنه يحبها.

ولكن طالما أن راشيل على قيد الحياة، فليس بإمكانهما أن يتزوجا.

تنهد ليو، واعتدل في جلسته على الكرسي واحتسى فنجان الشاي البارد.

التاسع

لم يمض على رحيل كالجري سوى بضع دقائق حين استقبل الدكتور ماكماستر زائراً آخر. كان يعرف هذا الزائر جيداً وحياه بحفاوة.

"أوه، دون، أنا سعيد برؤيتك. تعال وأخبرني بما في ذهنك. هناك شيء يدور ببالك. لطالما عرفت هذا من التكشيرة التي تظهر على جبهتك بتلك الطريقة الغريبة".

ابتسم الدكتور دونالد كريج له في أسف. كان شاباً وسيماً وجاداً يتعامل بجدية مع عمله ومع كل ما يخصه. كان الطبيب العجوز المتقاعد مغرماً بشدة بخليفته الشاب برغم أنه كثيراً ما كان يتمنى لو أن دونالد كريج يتقبل الدعابة بسهولة أكبر .

رفض كريج عرض تناول عصير ودخل في الموضوع مباشرة.

قال: "أنا غاية في القلق، يا ماك".

قال الدكتور ماكماستر: "أتمنى ألا تكون هناك حالات نقص في الفيتامين". من وجهة نظره كان نقص الفيتامين دعابة رائعة. لقد أخبر أحد الجراحين البيطريين الدكتور كريج الشاب أن القطة التي يمتلكها طفل مريض كانت تعاني حالة متقدمة بالإصابة بالثعلبة".

قال دونالد كريج: "الأمر لا علاقة له بالمرضى؛ إنه أمر خاص بي".

تغيرت تعبيرات وجه ماكماستر على الفور.

"أشعر بالأسف، يا ولدي. بالأسف الشديد. هل هناك أخبار سيئة؟".

هز الشاب رأسه.

"الأمر ليس كذلك. إنه ... اسمع، يا ماك، يجب أن أتحدث مع شخص ما عن الأمر وأنت تعرفهم جميعاً، أنت تعيش هنا منذ سنوات، وتعرفهم جميعاً. ويجب أن أعرفهم أيضاً. يجب أن أعرف موقفي، ما أنا بصدد مواجهته".

ارتفع حاجبا ماكماستر الكثيفان ببطء تجاه جبهته.

قال: "دعنا نسمع المشكلة".

قال كريج: "الأمر يخص آل أرجيل - كما تعرف - أظن أن الجميع يعرفون ...

أنني أنا وهيستر أرجيل ..."

أومأ الطبيب العجوز برأسه.

ثم قال مشجعًا إياه على الحديث: "هناك توافق لطيف بينكما. هذا هو المسمى القديم الذي كنا نستخدمه، كان مسمى جيداً للغاية".

قال دونالد ببساطة: "أنا واقع في حبها بشدة. وأظن ... أوه، بل أنا متأكد ... أنها مهتمة جداً، ثم حدث كل هذا".

بدا على وجه الطبيب العجوز إدراك الأمور.

قال: "آها، أجل، العفو عن جاكو أرجيل وتبرئة اسمه، عفو جاء في وقت متأخر للغاية".

قال كريج: "أجل، هذا ما جعلني أشعر ... أعرف أنه من الخطأ تماماً أن ينتابني هذا الشعور، ولكني لا أستطيع تمالك نفسي ... كان من الأفضل لو أن ... لو أن هذا الدليل الجديد لم يخرج إلى النور".

قال ماكماستر: "أوه، لست وحدك الذي ينتابه هذا الشعور على ما يبدو. هذا الشعور، وحسب علمي، ينتاب الجميع بدايةً من رئيس الشرطة وكذلك أسرة أرجيل وحتى الرجل الذي جاء من القطب الجنوبي وقدم الدليل على البراءة"، ثم أضاف: "لقد زارني هذا المساء".

تفاجأ دونالد كريج بما سمعه.

وتساءل قائلًا: "هل زارك حقًا؟ هل قال أي شيء؟".

سأله الدكتور ماكماستر: "ما الذي تتوقع أن يقوله؟".

"هل لديه أدنى فكرة عمن ..."

هز الدكتور ماكماستر رأسه ببطء.

قال: "كلا، ليست لديه أدنى فكرة. كيف يمكنه أن ... يظهر فجأة ويلتقي بهم جميعًا لأول مرة؟"، ثم استطرد قائلًا: "يبدو أنه لا أحد يعرف شيئًا".

"لا، لا، لا أظن ذلك".

"ما الذي يزعجك كثيراً، يا دون؟".

أخذ دونالد كريج نفسًا عميقًا.

وقال: "اتصلت بي هيستر في ذلك المساء حين جاء هذا الرجل الذي يدعى كالجري. كنت أنا وهي في طريقنا إلى درايماوث بعد إجراء عملية جراحية لحضور

محاضرة عن أنماط الشخصية الإجرامية في أعمال شكسبير".

قال ماكماستر: "يبدو هذا ملائمًا على وجه الخصوص".

"ثم اتصلت بي. وقالت إنه ليس بإمكانها الحضور. قالت إن هناك أخباراً مزعجة على نحو غريب".

"آها، الخبر الذي أتى به كالجري".

"أجل، أجل، برغم أنها لم تذكر شيئًا عنه في حينها. ولكنها كانت منزعجة للغاية. بدت ... لا أستطيع أن أصف لك كيف بدت".

قال ماكماستر: "الدماء الأيرلندية تسير في عروقها".

"بدت مذعورة، مفزوعة. أوه، لا أستطيع أن أفسر السبب".

تساءل الدكتور: "حسنًا، ما الذي تتوقعه؟ لم تتم عامها العشرين بعد، أليس كذلك؟".

"ولكن ما سبب انزعاجها الشديد؟ أقول لك يا ماك، كانت خائفة بشدة من شيء ما".

قال ماكماستر: "إممم، أجل، حسنًا ... أجل ربما يكون الأمر كذلك، على ما أظن".

"أتعتقد ... ماذا تعتقد؟".

أشار ماكماستر قائلًا: "الأهم هو ما تعتقده أنت".

قال الشاب بمرارة:

"أظن، لو لم أكن طبيباً، لا ينبغي أن أفكر في أشياء كهذه. ستكون زوجتي، وزوجتي لا يمكنها ارتكاب أي خطأ. ولكن بما أن ...".

"أجل ... واصل حديثك. من الأفضل أن تبوح بما في صدرك".

"إنني أعرف شيئًا مما يدور ببال هيستر. إنها ... إنها ضحية عدم الاستقرار في سن مبكرة".

قال ماكماستر: "هذا صحيح تمامًا. هكذا نصف الأمر في أيامنا هذه".

"لم تأخذ وقتها في الاندماج بالطريقة الصحيحة. كانت تنتابها - في وقت ارتكاب الجريمة - مشاعر طبيعية تمامًا بالنسبة لفتاة مراهقة ... الكراهية الشديدة للسلطة ... محاولة الفرار من حب متسلط تسبب في الكثير من الأذى. لقد أرادت التمرد والهروب. هي نفسها من أخبرتني بذلك. هربت والتحقت بفرقة مسرحية متجولة. وفي ظل هذه

الظروف، أعتقد أن والدتها تصرفت بعقلانية شديدة. اقترحت أن تسافر هيستر إلى لندن وتلتحق بالأكاديمية الملكية للفنون المسرحية لتدرس التمثيل على النحو الصحيح طالما أنها ترغب في التمثيل. ولكن لم يكن هذا ما تريده هيستر. إن فرارها من أجل التمثيل هو مجرد لفتة دلالية. لم تكن ترغب في التدريب على التمثيل المسرحي أو ترغب بجدية في امتهان التمثيل. كانت ما ترغبه هو إثبات أن بإمكانها الاعتماد على نفسها. على أية حال، لم تحاول أسرة أرجيل إجبارها على شيء؛ بل منحوها مبلغًا كبيرًا جدًا".

قال ماكماستر: "وهي لفتة رائعة منهم".

"وهناك دخلت في علاقة حب سخيفة مع أحد أعضاء الفرقة المسرحية، كان رجلًا في منتصف العمر. وفي النهاية، اكتشفت بنفسها أنه لم يكن جادًا. وتدخلت السيدة أرجيل وتعاملت معه وعادت هيستر إلى المنزل".

قال ماكماستر: "لقد تعلمت الدرس بنفسها، كما كانوا يقولون أيام شبابي. ولكن بالطبع، المرء لا يحب أبدًا أن يتعلم الدرس بهذه الطريقة، وهكذا كانت هيستر أيضًا".

واصل دونالد كريج حديثه بحماس:

"كان يتملكها الغضب الشديد الذي كبتته بداخلها لأنه تعين عليها أن تعترف سرًا، وإن لم يكن جهرًا، بأن أمها كانت محقة تمامًا، لم تكن ممثلة جيدة والرجل الذي أغدقته بحبها لم يكن يستحق مشاعرها. وعلى أية حال، لم تكن تعبأ به. حقيقة أن "أمي تعرف أفضل" تثير غضب الشباب دومًا".

قال ماكماستر: "أجل، هذه كانت واحدة من مشاكل السيدة أرجيل المسكينة، برغم أنها لم تفكر قط في الأمر بهذه الطريقة. الحقيقة هي أنها كانت محقة دومًا تقريبًا، وكانت تعرف جيدًا بالفعل. لو كانت واحدة من السيدات اللاتي يغرقن في الديون، وينسين المفاتيح، ويفوتهن القطار ويرتكبن الحماقات التي يجب أن يتدخل الآخرون من أجل مساعدتهن، لأحبتها أسرتها أكثر من ذلك. برغم الحزن والقسوة، غير أن هناك حياة متوافرة للأولاد. ولم تكن سيدة ماهرة بالقدر الكافي لتصرف أمورها بالمكر والخداع. كانت مقتنعة بنفسها كما تعرف. سعيدة بسلطتها وحكمها على الأمور. واثقة جدًا جدًا بنفسها. وهذا شيء من الصعب جدًا على الشباب مواجهته".

قال دونالد كريج: "أوه، أعرف ذلك. أدرك كل هذا تمامًا. ولأنني أدركه جيدًا فأنا أشعر ... أنا أتساءل ..."، ثم تردد.

قال ماكماستر بلطف:

"من الأفضل أن أقوله نيابة عنك، أليس كذلك يا دون؟ أنت خائف من أن تكون فتاتك هيستر الذي استمعت الشجار بين أمها وجاكو، قد استثارها سماع هذا الشجار، وربما في فورة تمردها على السلطة، واعتقاد أن أمها تسيطر على الجميع وتعرف كل

شيء، دخلت إلى الغرفة وأمسكت بالقضيب وقتلتها. هذا هو ما تخشاه، أليس كذلك؟".

أومأ الشاب ببؤس شديد.

"ليس تمامًا. أنا لا أعتقد ذلك ... بل أشعر ... أشعر بأن هذا قد حدث. لا أعتقد أن هيستر تتمتع برباط الجأش، بالتوازن لـ ... أشعر بأنها أصغر من سنها، غير واثقة بنفسها، عرضة لنوبات الانفعال الجنوني. درست أهل البيت ولم أشعر بأن أحدًا منهم من الممكن أن يقدم على ارتكاب شيء كهذا حتى عرفت من هيستر. وحينئذ ... حينئذ لست متأكدًا".

قال الدكتور ماكماستر: "أتفهم ذلك. أجل، أتفهمه".

قال دون كريج بسرعة: "لا ألومها حقًا. لا أظن أن الفتاة المسكينة تعرف ما الذي تفعله. لا أستطيع أن أطلق عليها جريمة قتل. كانت مجرد فعلة بدافع التحدي الانفعالي، بدافع التمرد، الرغبة في الحرية، الاقتناع بأنها لن تنال الحرية أبدًا حتى ... حتى لم تعد أمها على قيد الحياة".

قال ماكماستر: "وهذا الافتراض الأخير صحيح تمامًا. هذا هو الدافع الوحيد، وهو دافع غريب نوعًا ما. ليس بالدافع الذي يراه القانون قويًا. الرغبة في التحرر؛ التحرر من تأثير شخصية أقوى. ليس لأن أحدًا منهم سيرث مبلغًا كبيرًا من المال بموت السيدة أرجيل، فلن يعتبر القانون أن أحدًا منهم لديه دافع لقتلها. ولكني أعتقد أن زمام السيطرة على المستوى المالي كانت بيد السيدة أرجيل بدرجة كبيرة ومن خلال تأثيرها في الأوصياء. أوه، أجل موتها سيحررهم تمامًا. ليس فقط هيستر، يا ولدي. بل سيحرر ليو ليتزوج من سيدة أخرى. سيحرر ماري لتعتني بزوجها بالطريقة التي تحبها، سيحرر ميكي ليعيش حياته بالطريقة التي يراها. حتى تينا الصغيرة السمراء التي تجلس في مكتبتها قد ترغب في الحرية".

قال دونالد: "كان يجب علي أن آتي وأتحدث معك. يجب أن أعرف رأيك، أن أعرف ما إذا كنت ترى ... ما إذا كان هذا صحيحًا".

"بخصوص هيستر؟".

"أجل".

قال ماكماستر ببطء: "أرى أنه قد يكون صحيحًا. لا أعرف يقينًا".

"هل تظن أن ما حدث قد حدث بالطريقة التي وصفتها؟".

"أجل، أظن أن ما تخيلته ليس مستبعدًا وهناك عنصر الاحتمال في حدوثه. ولكن الأمر ليس مؤكدًا يا دونالد".

تنهد الشاب تنهيدة مرتعدة.

"ولكن يجب أن يكون مؤكداً، يا ماك. هذا ما أشعر بضرورته. يجب أن أعرف. لو أن هيستر تخبرني، لو أنها تخبرني بنفسها ... إذن سيكون كل شيء على خير ما يرام. سنتزوج في أقرب وقت ممكن. سأعتني بها".

قال ماكماستر في جفاء: "من حسن الحظ أن رئيس المحققين هويش لا يسمعك".

قال دونالد: "أنا مواطن يلتزم بالقانون بوجه عام، ولكنك تعرف جيداً يا ماك كيف يتعاملون مع الأدلة النفسية في المحاكم. من وجهة نظري، كانت حادثة سيئة، وليست جريمة قتل بدم بارد، أو حتى جريمة قتل هوجاء وليدة اللحظة".

قال ماكماستر: "أنت واقع في حب الفتاة".

"تذكر، أني أتحدث إليك مفضياً لكَ بسري".

قال ماكماستر: "أعرف ذلك".

"كل ما أقوله لو أن هيستر تخبرني، وأعرف يقيناً، سوف نتناسى الأمر معاً. ولكنها يجب أن تخبرني. لا أستطيع أن أمضي قدماً من دون أن أعرف".

"هل تقصد، أنك لا تستطيع الزواج منها مع وجود هذا الاحتمال مسيطراً على تفكيرك؟".

"ماذا كنت ستفعل لو كنت مكاني؟".

"لا أعرف. لو حدث لي هذا، وكنت واقعاً في حب فتاة، فلابد أن أكون مقتنعاً ببراءتها".

"لا يهمني أن تكون مذنبة أو بريئة بقدر ما تهمني معرفة الحقيقة".

"وإن كانت قد قتلت والدتها، فأنت على استعداد تام للزواج منها وتعيش معها في سعادة أبدية، كما يقولون؟".

"أجل".

قال ماكماستر: "هل أنت مقتنع بما تقول؟! سوف تتساءل ما إذا كان مذاق قهوتك مراً، أو تظن أن قضيب المدفأة وزنه أثقل قليلاً من المعتاد. وسترى هي أنك تفكر في هذه الأمور. لن يصلح الأمر ..."

العاشر

"أنا متأكد، يا مارشال، أنك ستقدر أسبابي وراء طلب مجيئك إلى هنا وعقد هذا الاجتماع".

قال السيد مارشال: "أجل، بالتأكيد. الحقيقة أنك لو لم تطلب ذلك، سيد أرجيل، فكنت سأقترح أنا بنفسي مجيئي. لقد نُشر الخبر في كل الجرائد هذا الصباح ولا شك أن هذا سيؤدي إلى إعادة الاهتمام بالقضية مرة أخرى من جانب الصحافة".

قالت ماري دورانت: "لقد اتصلت بنا بعض الصحف بالفعل وطلبت مقابلتنا".

"حقًا! في رأيي هذا كان متوقعًا. ولابد لي من نصيحتكم بعدم التصريح بأي شيء. من الطبيعي أن تسعدوا وتشعروا بالامتنان ولكنكم تفضلون عدم مناقشة الأمر".

قال ليو: "رئيس المحققين هويش، الذي تولى التحقيق في القضية وقتها، طلب المجيء ومقابلتنا صباح غد".

"أجل، أجل، أخشى أنهم سيعيدون فتح القضية، رغم أنني لا أظن حقًا أن للشرطة أملًا في التوصل إلى أية نتائج ملموسة؛ فعلى أية حال، قد مر عامان وأي شيء كان الناس - أقصد الناس في القرية - يتذكرونه في وقت القضية قد نسوه الآن. يا له من أمر مثير للشفقة بطريقة أو أخرى، ولكن لا مناص منه!".

قالت ماري دورانت: "يبدو أن الأمر كله واضح تمامًا. المنزل كان مؤمنًا ضد اللصوص، ولكن إذا جاء أحدهم يستعطف أمي بخصوص مسألة خاصة أو يتظاهر بأنه صديق أو صديق أصدقائها، فلا أشك في أنها ستسمح له بالدخول. أظن أن هذا ما حدث حتمًا. وظن أبي أنه سمع جرس الباب بعد الساعة السابعة مساءً".

التفت مارشال ناحية ليو متسائلًا.

قال ليو: "أجل، أظن أنني قلت ذلك. بالطبع لا أستطيع أن أتذكر بوضوح الآن، ولكن في وقت ارتكاب الجريمة أظن أنني كنت تحت تأثير سماع صوت الباب يُفتح ويُغلق. لم أسمع صوتًا أو ما يوحي بأن هناك من يحاول الاقتحام أو يتصرف على نحو مؤذٍ. هذا ما أظن أنني سمعته".

قال السيد مارشال: "حسنًا، حسنًا، أجل أعتقد أنه ليس هناك شك في أن هذا ما حدث حتمًا. إننا نعرف جيدًا أن عددًا كبيرًا من الأشخاص عديمي الضمير الذين يدخلون إلى البيت من خلال تلفيق قصة بائسة عن حظ عثر، وما إن يتمكنوا من الدخول إلى

المنزل حتى يجهزوا على ربة المنزل ويسرقوا ما بإمكانهم أن يجدوه من أموال. أجل، أظن أننا يجب أن نفترض أن هذا هو ما حدث".

كان مارشال يتحدث بنبرة مقنعة. تنقل ببصره حول المجموعة الصغيرة المجتمعة وهو يتحدث، ليفحصهم بحرص ويصنفهم في ذهنه المرتب. ماري دورانت؛ جذابة تفتقر إلى الخيال، مطمئنة البال، متحفظة قليلًا، واثقة بنفسها تماماً. وخلفها كان يجلس زوجها على الكرسي المتحرك. قال مارشال نفسه، فيليب دورانت يا له من رجل ذكي! رجل ربما كان مقدراً له إنجاز الكثير وتحقيق نجاح عظيم لولا حكمه غير الرشيد في كل ما يتعلق بالمشروعات التجارية. رأى مارشال أن فيليب يختلف عن زوجته التي تتصرف بهدوء بالغ حيال أي شيء. كانت عيناه يقظتين تعكسان التفكير العميق؛ لأنه أدرك - بما لا يدعو إلى الشك - تداعيات الأمر برمته. وبالطبع، ربما ماري دورانت ليست بنفس قدر الهدوء الذي تبدو عليه؛ فلطالما كان في مقدورها أن تخفي مشاعرها وهي امرأة، وحين كانت فتاة صغيرة أيضاً.

وحين تحرك فيليب دورانت قليلًا بكرسيه، رمقت عيناه اللامعتان الذكيتان المحامي بشيء من الاستخفاف فيهما، بينما التفتت ماري بحدة. اندهش المحامي من نظرة الافتتان المطلق التي رمقت ماري بها زوجها. بالطبع، كان يعرف أن ماري دورانت زوجة مخلصة، ولكنه لطالما كان يراها إنسانة هادئة، لا تكاد تبدي أية عاطفة؛ لا تبدي حباً جماً أو كرهاً شديداً، ورغم ذلك اندهش من هذا الاكتشاف المفاجئ. ولكن هل حقاً هذا ما كانت تشعر به تجاه زوجها؟ أما بالنسبة لـ فيليب دورانت، فبدا أنه مهموم. رأى مارشال أن فيليب قلق بشأن المستقبل. وربما كان كذلك بالفعل!

جلس ميكي قبالة المحامي. شاب وسيم تبدو عليه المرارة. تساءل مارشال في نفسه لماذا تبدو عليه المرارة؟ ألم تجب جميع طلباته دوماً؟ لماذا تبدو عليه نظرة من يتحدى العالم على الدوام. بجانبه كانت تجلس تينا التي بدت مثل قطة سوداء صغيرة أنيقة. سمراء جداً، ذات نبرة صوت رقيقة، وعينين سوداوين كبيرتين وحركة رشيقة. تبدو هادئة، ولكن هل تخفي عاطفة جياشة خلف هدوئها هذا؟ لم يكن مارشال يعرف الكثير عن تينا. لقد عملت في الوظيفة التي اقترحتها عليها السيدة أرجيل؛ أمينة المكتبة المحلية. لديها شقة بمدينة ريدمن وكانت تعود إلى المنزل في عطلات نهاية الأسبوع. بدت ابنة مطيعة وقنوعة. ولكن من يدري؟ على أية حال، هي خارج دائرة الشك أو ينبغي أن تكون كذلك. لم تكن موجودة في المنزل في تلك الليلة، رغم أن مدينة ريدمن لا تبعد عن المنزل سوى 25 ميلًا فقط. مازال الافتراض قائماً بأن تينا وميكي خارج دائرة الشك.

حول مارشال بصره بسرعة تجاه كريستين ليندستروم، التي كانت تراقبه بنظرة فيها شيء من العداء. قال في نفسه، لنفترض أنها أصيبت بنوبة غضب شديد واعتدت على ربة عملها؟ لم يكن هذا ليدهشه حقاً. لا شيء يجعلك تندهش حقاً حين تزاول مهنة المحاماة لمدة سنوات. لعلهم يطلقون مسمى على ذلك وفق المصطلحات الحديثة.

العانس المكبوتة، الحقود، الغيور، تكتم الشكوى سواء كانت حقيقية أو مفتعلة. أوه، أجل لهذا مسمى. رأى مارشال أنه مسمى مناسب جداً برغم أنه غير لائق إلى حد ما. أجل، مناسب جداً. إنها أجنبية. ليست واحدة من الأسرة. ولكن هل لفقت كريستين ليندستروم التهمة لـ جاكو عن عمد، حين سمعت المشاجرة واستغلت الأمر لصالحها؟ كان من الصعب جداً تصديق هذا لأن كريستين ليندستروم كانت تعشق جاكو. لطالما كانت مخلصة للأولاد جميعهم. كلا، لا يستطيع أن يصدق أنها ارتكبتها. أمر مثير للشفقة لأنه ... ولكن يجب ألا يترك أفكاره تسير في هذا الاتجاه.

حول بصره إلى ليو أرجيل وجويندا فوجان. لم تتم إعلان خطبتهما، وهذا أمر صائب، قرار حكيم. لقد كتب عن الأمر وأشار إليه كثيراً. بالطبع، كان سراً معروفاً للجميع على المستوى المحلي، ولا شك أن الشرطة تعرف ذلك. ومن وجهة نظر الشرطة، كان هذا هو الحل المناسب للقضية. شواهد لا حصر لها. زوج وزوجة وامرأة أخرى. ولكن على أية حال، لم يستطع مارشال أن يصدق أن ليو أرجيل يقتل زوجته. كلا، لا يستطيع تصديق ذلك؛ فهو يعرف ليو أرجيل لسنوات عديدة، ويكن له عظيم الاحترام. رجل مثقف. رجل مرهف الحس، مولع بالقراءة العميقة وله وجهة نظر فلسفية متحفظة تجاه الحياة. ليس من نوعية الرجال الذين يقتلون زوجاتهم بقضيب حديدي. بالطبع، في وقت معين، حين يقع الرجل في الحب ... ولكن كلا! هذا مجرد ضرب من كلام الصحف. كلام صحف يُنشر في العدد الأسبوعي ويسعد القراء بقراءته في جميع أنحاء بريطانيا! ولكن، حقاً، لا يستطيع المرء أن يتخيل أن ليو ...

ماذا عن الفتاة؟ لم يكن يعرف الكثير عن جويندا فوجان. لاحظ شفتيها المكتنزتين وقوامها الملفوف. كانت واقعة في حب ليو بالفعل. أوه أجل، لابد أنها واقعة في حبه منذ فترة طويلة. تساءل في نفسه عن إمكانية الطلاق. ما الشعور الذي كان سينتاب السيدة أرجيل بخصوص الطلاق؟ في الواقع، لم تكن لديه أدنى فكرة، ولكنه لا يعتقد أن الفكرة ستروق لـ ليو أرجيل؛ فهو رجل تقليدي متحفظ. لم يعتبر جويندا فوجان عشيقة لـ ليو أرجيل؛ مما يزيد من احتمال أن جويندا فوجان رأت احتمالاً للتخلص من السيدة أرجيل مع ضمان أن الشكوك لن تدور حولها ... توقف قبل أن يستطرد في الفكرة. هل كانت لتضحي بـ جاكو من دون شعور بتأنيب الضمير؟ إنه لا يظن حقاً أنها كانت تحب جاكو كثيراً. لم يكن يروقها جاذبية جاكو؛ فالسيد مارشال يعرف جيداً أن النساء قاسيات. ومن ثم، لا يستطيع المرء أن يستبعد جويندا فوجان من دائرة الشك. ومن الصعب أن تتوصل الشرطة بعد مرور كل هذا الوقت إلى أية أدلة. لم يرِ أية أدلة ضد جويندا. كانت موجودة في المنزل في ذلك اليوم، كانت مع ليو في غرفة مكتبه، وقد تمنت له ليلة سعيدة وتركته ونزلت إلى الطابق السفلي. ولم يكن هناك أحد ليؤكد أنها تسللت إلى غرفة الجلوس الخاصة بالسيدة أرجيل لتلتقط القضيب الحديدي وتوجهت إلى السيدة الهادئة التي كانت تعكف على أوراقها على مكتبها. وبعد ذلك، تم الإجهاز على السيدة أرجيل بلا صرخة واحدة، كان كل ما على جويندا فوجان

القيام به هو أن تلقي القضيب على الأرض وتخرج من الباب الأمامي وتعود إلى منزلها، كما تفعل دوماً. لم يستطع رؤية أية احتمالات أخرى أمام الشرطة أو أي شخص آخر لاكتشاف ما إذا كانت هي من ارتكبت الجريمة.

تحولت عيناه إلى هيستر. فتاة جذابة. كلا، ليست جذابة؛ بل فتاة جميلة فعلاً. جميلة بطريقة غريبة وغير مريحة. كان يود أن يعرف من هم والداها. كان بها شيء من الجموح والطيش. أجل، يستطيع المرء استخدام كلمة "يائس" لوصفها. ما الذي يجعلها تشعر باليأس؟ لقد هربت بطريقة سخيفة لتمثل على خشبة المسرح وقد دخلت في علاقة حمقاء مع رجل بغيض، ثم أدركت خطأها، وعادت مع السيدة أرجيل واستقرت مرة أخرى. وعلى أية حال، لا يمكنك السيطرة على هيستر لأنك لا تعرف طريقة تفكيرها. لا تعرف ما الذي قد تفعله في لحظة يأس، ولكن الشرطة لن تعرف أيضاً.

في الحقيقة، قال السيد مارشال في نفسه، يبدو من المستبعد أن يكون في مقدور الشرطة القيام بأي شيء، حتى إن استقروا على المسئول. وبوجه عام، فإن الوضع كان مرضياً. مرضياً؟ حين فكر في الكلمة اندهش قليلاً. ولكن هل كان الوضع كذلك بالفعل؟ هل الوصول لهذا المأزق هو نتيجة مرضية في مجمله؟ ولكن هل كان كذلك فعلاً؟ تساءل في نفسه عما إذا كان آل أرجيل يعرفون الحقيقة بأنفسهم. ولكنه توصل إلى حكم؛ إنهم لا يعرفون الحقيقة. بخلاف أن هناك شخصاً من بينهم يعرف جيداً على الأرجح ... كلا، إنهم لا يعرفون، ولكن يشكون؟ حسناً، لو لم يشك الآن، فقريباً سيفعلون؛ لأنك لو لم تعرف الحقيقة، فلن تقاوم التساؤل ومحاولة تذكر الأحداث ... موقف غير مريح. أجل، أجل، موقف غير مريح تماماً.

لم تستغرق كل هذه الأفكار وقتاً طويلاً جداً. عاد السيد مارشال من استغراقه في أفكاره ليرى ميكي يثبت ناظريه عليه وبهما شيء من الاستهزاء.

قال ميكي: "إذن، هذا رأيك، أليس كذلك؟ شخص دخيل، غريب من الخارج، شخص شرير يقتل ويسرق ويفر هارباً بما سرق؟".

قال السيد مارشال: "يبدو أن هذا ما يجب قبوله".

استرخى ميكي في مقعده وضحك قائلاً:

"تلك هي الرواية التي نتفق عليها وسنتمسك بصحتها، أليس كذلك؟".

"حسناً، يا مايكل، أجل هذا ما يتعين عليّ أن أنصحكم به". كانت هناك نبرة تحذير واضحة في صوت السيد مارشال.

أومأ ميكي برأسه.

قال: "أفهم أن هذا ما تنصح به. أجل، أجل، أعرف أنك محق. ولكنك لا تصدق هذه الرواية، أليس كذلك؟".

سدد السيد مارشال إليه نظرة باردة للغاية. كانت هذه هي مشكلة التعامل مع أشخاص لا يتمتعون بالحس القانوني لتوخي الحرص والتكتم؛ إنهم يصرون على قول أشياء من الأفضل لهم ألا يذكروها.

قال: "وما فائدة ذلك، هذا مجرد رأيي".

كانت نبرته الحاسمة تعكس قدراً كبيراً من التوبيخ. أدار ميكي بصره حول الجمع.

تساءل قائلًا: "ماذا تعتقدون جميعاً؟ ها، يا تينا، عزيزتي، تنظرين باشمئزاز بطريقتك الهادئة، هل لديك أية أفكار؟ هل هناك روايات محظورة، تعترضين عليها؟ وأنت يا ماري؟ لم تقولي الكثير".

قالت ماري بحدة: "بالطبع، أتفق مع السيد مارشال في الرأي. ما الحلول الأخرى المتاحة؟".

قال ميكي: "فيليب لا يوافقك الرأي".

أدارت ماري رأسها بحدة لتنظر إلى زوجها. قال فيليب دورانت بهدوء: "من الأفضل أن تمسك عليك لسانك، يا ميكي. فلا فائدة من الحديث كثيراً حين تكون في مأزق؛ ونحن في مأزق فعلًا".

قال ميكي: "إذن، ليس لأحد رأي، أليس كذلك؟ حسنًا. وهو كذلك. ولكن دعونا نفكر في الأمر قليلًا حين نذهب إلى الفراش هذه الليلة. لعله من المستحسن أن نفعل. على أية حال، يرغب المرء أن يعرف موضعه. ألا تعرفين شيئًا أو اثنين يا كريستي؟ أنت عادةً تعرفين. فعلى حد ما أتذكر، كنت تعرفين دوماً ما الذي يدور، على الرغم من أنك لا تقولين شيئًا أبداً".

قالت كريستين ليندستروم بوقار:

"أعتقد، يا ميكي، أنه يجب عليك أن تمسك لسانك. السيد مارشال محق. ليس من الحكمة أن تكثر الحديث".

قال ميكي: "لعلنا نصوت على هذا الأمر أو نقترع من الأسماء اسماً. سيكون هذا ممتعاً، أليس كذلك، لنرى من يحصل على أكثر الأصوات؟".

هذه المرة ارتفع صوت كريستين ليندستروم أكثر.

قالت: "اسكت يا ميكي! لا تتصرف كصبي سخيف وأحمق كما اعتدت أن تكون. لقد كبرت الآن".

قال ميكي متفاجئًا: "لم أقل شيئًا سوى فكروا في الأمر".

قالت كريستين ليندستروم: "لابد أن نفكر في الأمر".

قالتها بنبرة مريرة.

الحادي عشر

1

حل الظلام على منزل صني بوينت.

كان المنزل يضم بين جدرانه سبعة أشخاص قد آوى كل منهم إلى فراشه، ولكن لم ينم أحد منهم جيداً ...

2

منذ أن مرض فيليب دورانت وفقد قدرته على مزاولة الأنشطة البدنية، وجد عزاءه أكثر في الأنشطة الفكرية. لطالما كان رجلًا حاد الذكاء، لقد صار الآن واعيًا بالمصادر التي تتفتح أمامه من خلال التفكير. كان يسلي نفسه أحيانًا من خلال توقع ردود أفعال من حوله على المحفزات المناسبة. لم يكن ما يقوله ويفعله استجابة تتدفق بصورة طبيعية، ولكنها استجابة محسوبة؛ لا يحفزها شيء سوى ملاحظة رد فعل الآخرين تجاهها. كان هذا نوعًا من الألعاب التي يمارسها، فعندما يتوقع رد فعل معينًا ويحدث فعلًا، يسجل لنفسه نقطة.

هكذا وجد نفسه يقضي الوقت، ربما لأول مرة في حياته، شغوفًا بملاحظة أنماط الشخصية باختلافاتها وحقائقها.

لم تكن أنماط شخصيات البشر تشغل اهتمامه من قبل كثيراً. أحب أو كره، استمتع أو شعر بالضجر من الأشخاص المحيطين له أو ممن يلتقي بهم. لطالما كان رجل أفعال، لا مفكراً. لقد استغل خياله الواسع في وضع خطط متنوعة لكسب المال. وكان لهذه الخطط أساس سليم، ولكن الافتقار إلى القدرة على إنجاز المشاريع تمامًا أدى إلى فشلها دومًا. حتى هذه اللحظة كان يعتبر الآخرين ليسوا إلا قطع شطرنج. ومنذ أن تسبب مرضه في عزله عن حياته السابقة بكل أنشطتها، اضطر إلى الاهتمام بشخصيات الآخرين.

لقد بدأ ذلك الأمر حين كان بالمستشفى عندما اضطر إلى تركيز انتباهه إلى

قصص حب الممرضات، والصراعات السرية فيما بينهن والشكاوى التافهة من العمل بالمستشفى نظراً لأنه لم يجد شيئاً آخر يشغل انتباهه. وسرعان ما صار ذلك عادة متأصلة لديه. صار شغله الشاغل في الحياة الآن الناس. الناس وحسب. دراسة الناس، واكتشاف أمور عنهم، والتعرف على شخصياتهم. يقرر بنفسه ما الذي يحفزهم ويكتشف ما إذا كان محقاً. حقاً، ربما كان هذا مثيراً للاهتمام كثيراً ...

لم يدرك قبل هذه الليلة وهو جالس في المكتبة أنه لا يعرف إلا القليل حقاً عن أسرة زوجته. من هم حقاً؟ كيف هم من الداخل، وليس المظهر الخارجي الذي يعرفه جيداً.

من الغريب أنه يعرف القليل عن هؤلاء الأشخاص، حتى عن زوجته نفسها؟

نظر إلى ماري متأملاً. إلى أي مدى يعرف ماري حقاً؟

لقد وقع في حبها لأنه أعجبه جاذبيتها وهدوؤها وطريقتها الجادة. كما أن لديها المال وهذا أمر مهم بالنسبة له أيضاً. كان ليفكر مرتين قبل أن يتزوج من فتاة مفلسة. وكانت جميع الأمور مواتية له وتزوجها وكان يمازحها وهو يناديها باسم بولي، وكان يستمتع بالنظرة المتشككة التي تسددها له حين يطلق النكات التي لم تستطع فهمها. ولكن، ما الذي عرفه حقاً عنها؟ ما الذي تفكر فيه وتشعر به؟ بالتأكيد، كان يعرف أنها تحبه حباً جماً وبإخلاص شديد. وعند التفكير في هذا الإخلاص، تحرك بداخله شعور بعدم الارتياح، ثنى كتفيه كأنه يريد أن يزيح عبئاً ثقيلاً من عليهما؛ فالإخلاص أمر رائع جداً إذا كان بمقدورك الهروب منه لمدة تسع أو عشر ساعات في اليوم. من الرائع أن ترجع إلى المنزل لتجد الإخلاص بانتظارك. ولكنه الآن محاط به، يخضع للمراقبة والرعاية والاهتمام. وهذا يجعل المرء يتوق إلى الإهمال قليلاً ... في الواقع، على المرء أن يجد طريقة للهروب. طرق ذهنية ... نظراً لأنه ليست هناك أية طرق أخرى ممكنة. يجب على المرء أن يهرب إلى عالم الخيال أو التأمل.

التأمل؛ مثل التأمل والتفكير في هوية من كان مسئولاً عن مقتل حماته. كان يكره حماته، وكانت هي تكرهه. لم تكن تريد ماري أن تتزوج منه (تساءل في نفسه: هل كانت تود أن تتزوج ماري من أي شخص بالأساس؟)، ولكنها لم تستطع منع الزيجة. لقد بدأ هو وماري حياتهم بسعادة واستقلالية ... ثم بدأت الأمور تسوء. أولاً شركة أمريكا الجنوبية ... ثم شركة إكسسوارات الدراجات ... كلا المشروعين كان فكرة جيدة ... ولكن تمويلهما لم يقدر بشكل جيد .... ثم جاء إضراب عمال السكك الحديدية الأرجنتينية الذي أكمل سلسلة المصائب. كان الحظ السيئ ملازماً له، ولكنه كان يشعر بأن السيدة أرجيل مسئولة عن ذلك بطريقة أو أخرى. ثم جاء مرضه. بدا كأن الحل الوحيد هو أن يعودا إلى منزل صني بوينت ويعيشا به حيث كان مرحباً بهما بالتأكيد. وما كان ليعبأ بذلك على وجه الخصوص. رجل مصاب بالشلل، مجرد نصف رجل، هل يشغل باله بالمكان الذي سيعيش به؟ ...ولكن ماري كانت تشغل بالها.

أوه، حسنًا، لم يكن من الضروري أن يعيشا بصفة دائمة بمنزل صني بوينت. لقد قُتلت السيدة أرجيل. وقد رفع الأمناء قيمة الإعانة المخصصة لـ ماري بموجب صندوق الائتمان وقد أعدا لنفسيهما حياة مستقلة.

لم يشعر بأي حزن بالغ لموت السيدة أرجيل. بالطبع، كان ليسعد أكثر لو أنها ماتت بسبب الإصابة بالالتهاب الرئوي أو شيء من هذا القبيل على فراشها. جرائم القتل أمر بغيض لما تجلبه من سمعة سيئة وتشهير في عناوين الصحف. ومع ذلك، وبحسابات جرائم القتل، فإن الجريمة تمت بنجاح بالغ ... فمن الواضح أن مرتكب الجريمة أصابته نوبة جنون يمكن إدراجها تحت الكثير من مصطلحات علم النفس. والفاعل ليس أخًا لـ ماري، بل إنه واحد من "أبناء التبني" ذي منبت سيئ والذي كثيراً ما يضل الطريق. ولكن الأمور لم تعد جيدة في الوقت الراهن. غداً يأتي رئيس المحققين هويش ليطرح الأسئلة بلكنته الغربية اللطيفة. يجب أن يفكر المرء في الإجابات...

كانت ماري تصفف شعرها الطويل الأشقر أمام المرآة. كان هناك شيء يضايقه في انعزالها الهادئ؛ فسألها قائلًا:

"هل جهزتِ روايتك للغد، يا بولي؟".

التفتت إليه بعينين تملؤهما الدهشة.

"رئيس المحققين هويش سيأتي. وسيسألكِ مرة أخرى عن تحركاتك في تلك الليلة؛ 9 نوفمبر".

"أوه، فهمت. لقد مضى الآن وقت طويل على الحادث. لا يكاد المرء يذكر شيئًا".

"ولكنه يستطيع، يا بولي. هذا هو المهم. يمكنه أن يتذكر. كل شيء مكتوب في مكان ما بدفاتر الشرطة الصغيرة اللطيفة".

"هل هو مكتوب حقًا؟ هل يحتفظون بمثل هذه الأشياء؟".

"على الأرجح يحتفظون بكل شيء في ثلاث نسخ لعشرات السنين! حسنًا، كانت تحركاتك بسيطة للغاية، يا بولي. لم تكن هناك أية تحركات. كنت هنا معي في هذه الغرفة. ولو كنت مكانك لن أذكر أنني غادرت الغرفة ما بين الساعة السابعة والسابعة والنصف".

قالت ماري بعقلانية: "ولكني غادرت فقط من أجل الذهاب إلى الحمام. على أية حال، الجميع يذهبون إلى الحمام".

"ولكنك لم تذكري له هذه الحقيقة في ذلك الوقت. أنا أتذكر ذلك".

"أظن أنني نسيت ذلك".

"في رأيي، ربما منعك إحساسك الغريزي لحماية ذاتك ... على أية حال، أتذكر أنني دعمتكِ في هذا الصدد. كنا نجلس معًا هنا، نلعب لعبة الورق من الساعة السادسة والنصف حتىَ سمعنا صرخة كريستي. هذه هي روايتنا التي سنلتزم بها".

"حسنًا، يا حبيبي". كانت موافقتها هادئة ... وكأن الأمر لا يشغلها.

قال في نفسه: "ألا تتمتع بأي خيال؟ ألا يمكنها أن تتنبأ أننا نمر بوقت عصيب؟".

مال إلى الأمام.

"هذا أمر مثير للاهتمام، كما تعرف ... ألا تهتمين بهوية من قتلها؟ إننا جميعًا نعرف ... وكان ميكي محقًا تمامًا في هذا الصدد ... أن القاتل هو واحد منا. ألست مهتمة بمعرفة من يكون؟".

قالت ماري: "لست أنا أو أنت".

"وهذا كل ما يشغل اهتمامك؟ بولي أنت رائعة!".

توردت وجنتاها قليلًا.

"لا أفهم ما الغريب في ذلك؟".

"كلا، أفهم أنك لا ... حسنًا. أنا مختلف عنك. أنا يحدوني الفضول".

"لا أظن أننا سنعرف أبدًا. ولا أظن أن الشرطة ستعرف أبدًا".

"ربما لا. أمامهم القليل من الأدلة ليبدأوا من عندها. ولكن موقفنا يختلف تمامًا عن موقف الشرطة".

"ماذا تقصد يا فيليب؟".

"حسنًا، إننا أعلم بأفراد هذه الأسرة. ونعرف دواخل أسرتنا ... لدينا فكرة جيدة بخصوص الدوافع. على أية حال، لابد أن لديك فكرة. لقد نشأتِ معهم جميعًا. دعينا نسمع وجهة نظرك. من الذي تظنين أنه فعلها؟".

"ليست لدي أدنى فكرة، يا فيليب".

"خمني وحسب".

قالت ماري بحدة:

"من الأفضل ألا أعرف من فعلها. ومن الأفضل ألا أفكر في الأمر من الأساس".

قال زوجها: "أنت تدفنين رأسك في الرمال مثل النعامة".

"بصراحة، لا أرى فائدة وراء ... التخمين. من الأفضل ألا أعرف، ثم يمكننا أن

نواصل حياتنا كما اعتدنا".

قال فيليب: "يا إلهي! كلا لا يمكننا. أنت مخطئة في هذا الصدد، يا فتاتي. لقد انتشر العفن بالفعل".

"ماذا تقصد؟".

"حسنًا، خذي هيستر وفتاها الشاب مثالًا ... الطبيب الشاب المتحمس الدكتور دونالد. شاب لطيف، جاد، قلق. لا يظن حقًا أنها فعلتها ... ولكنه ليس متأكدًا أنها لم تفعلها! ومن ثم سدد لها نظرات قلقة حين ظن أنها لا تلاحظه. ولكنها كانت تلاحظه تمامًا. وها أنت ذا! ربما تكون قد فعلتها ... ولعلك تعرفين أفضل مني ... ولكن إن لم تكن فعلتها، ما الذي يمكنها أن تفعله بحق السماء حيال فتاها؟ هل تقول له باستمرار: "من فضلك، لست أنا من فعلها"؟ ولكن هذا ما ستقوله على أية حال".

"حسنًا، يا فيليب. أظن أنك تتخيل أمورًا".

"وأنتِ لا يمكنكِ أن تتخيلي أي شيء، يا بولي. ثم خذي ليو المسكين مثالًا. لقد بات زواجه منَ جويندا بعيدًا عن ساحة الاهتمام. والفتاة متضايقة جدًا من هذا الأمر. ألم تلاحظي ذلك؟".

"لا أفهم السبب وراء رغبة أبي في الزواج مرة أخرى في هذه السن".

"هو يفهم تمامًا! ولكنه يفهم أيضًا أن أية إشارة إلى علاقة عاطفية تربطه بـ جويندا ستعتبر دافعًا للقتل من الدرجة الأولى. أمر خطير!".

قالت ماري: "من الرائع أن تظن للحظة أن أبي قتل أمي! مثل هذه الأمور لا تحدث".

"بلى، تحدث. اقرئي الصحف".

"ليس بين أناس مثلنا".

"جرائم القتل ليس فيها أفضلية، يا بولي. ثم هناك ميكي. هناك شيء يضايقه ويوتره. إنه فتى غريب يشعر بالمرارة. وتينا تبدو غير متأثرة، غير قلقة. ولكنها ذات وجه صغير خالٍ من التعبيرات إن جاز التعبير، ثم هناك كريستي العجوز المسكينة...".

بدا على وجه ماري النشاط والحيوية.

قالت ماري: "ربما هذا هو الحل!".

"كريستي؟".

"أجل، على أية حال هي أجنبية. وأظن أنها كانت تعاني نوبات صداع سيئة على مدار العام الماضي أو العامين الماضيين...ويبدو أن هناك احتمالًا أكبر بارتكابها

الجريمة أكثر من أي واحد منا".

قال فيليب: "المسكينة. ألا تلاحظين أن هذا ما ستقوله في نفسها؟ هذا ما نتفق عليه جميعاً بأنها هي الفاعل؟ لأنها الاحتمال المناسب؛ لأنها ليست من أفراد الأسرة. ألم تلاحظي الليلة أنها كانت قلقة بشدة؟ وإنها في موقف هيستر نفسه. ما الذي يمكنها أن تقوله أو تفعله؟ تقول لنا جميعاً: "لم أقتل صديقتي وربة عملي"؟ ما الفائدة التي قد تحملها تلك العبارة؟ ربما تكون أكثر سوءاً بالنسبة لها، أكثر من أي أحد منا ... لأنها وحدها. ستعيد في ذهنها كل كلمة قالتها، وكل نظرة غضب سددتها لأمك... تعتقد أن هذا سيأخذ ضدها. لا حيلة لها في إثبات براءتها".

قالت ماري: "أتمنى لو تهدأ، يا فيليب. على أية حال، ما بمقدورنا أن نفعله؟".

"نحاول فقط اكتشاف الحقيقة".

"ولكن ما مدى إمكانية تحقيق ذلك؟".

"ربما كانت هناك طرق. من الأفضل أن أحاول".

بدا على ماري عدم الارتياح.

"أي طرق؟".

"أوه، التصريح بأمور ... وملاحظة ردود أفعال الآخرين ... المرء يمكنه اختراع أشياء". توقف لبرهة، كأنه يفكر في شيء، ثم استطرد قائلاً: "أشياء ذات مغزى بالنسبة للشخص المذنب، ولكن ليس بالنسبة للشخص البريء ...". ثم سكت مرة أخرى، يقلب الأفكار في ذهنه. نظر إليها وقال: "ألا ترغبين في مساعدة البريء، يا ماري؟".

"كلا"، انطلقت الكلمة منها كالطلقة. توجهت إليه وجثت إلى جانب كرسيه. وقالت: "لا أريدك أن تورط نفسك في كل هذه الأمور، يا فيليب. لا تشرع في التصريح بأمور أو تنصب الشراك. دع الأمور وشأنها. أوه، دع الأمور وشأنها بحق الله!".

قال: "حسناً". وضع يده على شعرها الأشقر الناعم.

3

ظل مايكل أرجيل يقظاً يحملق في الظلام.

كان ذهنه في حالة مستمرة من التفكير مثل سنجاب في قفص، يتذكر الماضي. لماذا لا يستطيع النسيان؟ لماذا يتعين عليه أن يجر أذيال الماضي معه أينما يذهب في حياته؟ وما فائدة ذلك على أية حال؟ لماذا يتعين عليه أن يتذكر تلك الغرفة الرطبة

المبهجة في أحد أحياء لندن الفقيرة بكل هذا الوضوح، ويتذكر "فتانا ميكي". الأجواء المبهجة! المرح واللعب في الشوارع! وتشكيل عصابة ضد الأولاد الآخرين! والدته بشعرها الأشقر اللامع (الذي أدرك بحكمة الكبار الآن أنه كان مصبوغًا بصبغة رخيصة)، نوبات غضبها المفاجئة حين كانت تلتفت إليه وتوسعه ضربًا (بالطبع، أثر تناول الشراب!) ونوبات الانبساط الطائش حين تكون في حالة مزاجية رائعة. ووجبات العشاء الرائعة المكونة من السمك ورقائق البطاطس، وكانت تشدو بالأغاني ... الأغاني الشعبية الرومانسية. أحيانًا، كانا يذهبان إلى السينما. وبالطبع، كان هناك دومًا رجال يناديهم باسم "عمي" ... هكذا كان يناديهم دومًا. لقد رحل والده قبل حتى أن يراه ... ولكن أمه لم تكن تحتمل أن يمد أي "عم" يده على ميكي. كانت أمه تقول: "اترك ميكي وشأنه".

ثم اندلعت الحرب بأهوالها. مع توقع قصف هتلر للقنابل ... وصوت صفارات الإنذار. أصوات مدافع الهون المدوية. النزول إلى الأنفاق وقضاء الليالي بها. والمتعة المرتبطة بهذه الأحداث! كان الشارع بأكمله يتجمع هناك بشطائرهم وزجاجات المشروبات الغازية. وصوت قطارات الأنفاق تقطع الطريق ذهابًا وإيابًا طوال الليل. كانت تلك هي الحياة! في خضم كل هذه الأمور!

"ستعود، يا حبيبي، حين ينتهي كل هذا"، كانت أمه تقول تلك العبارة بنبرة واهنة كأن الأمر ليس حقيقيًا. لم تبد أنها مهتمة برحيله. ولكن لماذا تغادر معه أيضًا؟ الكثير من الأطفال في الشارع تم إخلاؤهم مع أمهاتهم. ولكن أمه لم تكن ترغب في الرحيل. كانت ستسافر إلى الجزء الشمالي (مع العم الحالي، العم هاري!) للعمل في إعداد الذخائر.

كان لابد له أن يعرف حينئذ، برغم من وداعها الحنون. لم تكن تهتم حقًا ... في رأيه، كانت تهتم بالشراب، هذا كل ما كانت تهتم به؛ الشراب والأعمام...

وجاء هو إلى هنا؛ أسيرًا، مسجونًا، لا يتذوق الطعام، وجبات غير مألوفة، يذهب إلى الفراش الساعة السادسة مساءً بعد تناول عشاء بسيط مكون من اللبن والبسكويت (لبن وبسكويت!)، يستلقي في فراشه مستيقظًا، يبكي، ويدس رأسه بين الأغطية، يبكي أمه وعودته إلى المنزل.

ثم جاءت تلك السيدة! أخذته ولم تسمح له بالعودة، وملأت أذنيه بالكثير من الأحاديث التافهة، ودائمًا ما كانت تجعله يلعب ألعابًا سخيفة، كانت تريد شيئًا منه عزم ألا يعطيها إياه. بغض النظر عما أرادته. ولكن كان عليه أن ينتظر. كان يتعين عليه أن يتحلى بالصبر! وذات يوم ... يوم رائع، كان سيعود إلى منزله. يعود إلى الشوارع، إلى الصبية، إلى الحافلات الفخمة، إلى الأنفاق، والسمك ورقائق البطاطس، والمرور، وقطط الشارع ... سرح بذهنه متلهفًا لقائمة من المباهج. يجب أن ينتظر. لن تستمر الحرب إلى الأبد. ها هو قد علق بذلك المكان البغيض؛ إذ يستمر قصف القنابل من كل حدب

وصوب. أُضرمت النيران في لندن وضواحيها ... يا إلهي! ألسنة اللهب تلتهم كل شيء، أناس يموتون ومنازل تُهدم.

استحضر هذه المشاهد في ذهنه بألوان زاهية.

لا يهم! حين تنتهي الحرب، سيعود إلى أمه. وستفاجأ عندما ترى ابنها قد كبر.

4

في الظلام، أطلق ميكي أرجيل زفرة طويلة.

انتهت الحرب. هُزم هتلر وموسوليني ... بعض الأطفال عادوا إلى أهاليهم. وسرعان ... ثم عادت هي من لندن وقالت له إنه سيبقى معهم في منزل صني بوينت ليكون ابنًا لها ...

لقد تساءل قائلًا: "أين أمي؟ هل قُصفت بقنبلة؟".

لو أنها ماتت على أثر القصف ... لن يكون هذا سيئًا للغاية؛ فهذا يحدث كثيرًا في وضعنا الحالي.

ولكن السيدة أرجيل قالت: "لا"، لم تُقتل. ولكن لديها بعض الأعمال الصعبة ولن تستطيع الاعتناء بطفل على نحو جيد ... مثل هذه المبررات التي تُقال لإقناعه بالوضع الحالي، هراء ... لم تكن أمه تحبه، لم تكن ترغب في عودته ... يجب أن يبقى هنا، إلى الأبد ...

بعد ذلك، كان يتسلل هنا وهناك محاولًا استراق السمع، وفي النهاية سمع شيئًا، بعض العبارات المتقطعة بين السيدة أرجيل وزوجها. "سعدت للغاية بالتخلص منه ... غير مبالية تمامًا". ... وشيئًا عن مائة جنيه. ثم عرف ... لقد باعته أمه مقابل مائة جنيه...

الذل ... الألم ... لم يتغلب على هذا الشعور قط ... وهي قد اشترته! كان يراها، على نحو غامض، تجسيدًا للسلطة؛ امرأة يشعر في حضرتها ـ في عز قوته المحدودة - بالضعف. ولكنه سيكبر، وسيكون قويًا، سيكون رجلًا. وحينئذ سيقتلها ...

لقد شعر بالارتياح بمجرد أن أخذ هذا القرار.

فيما بعد، حين التحق بالمدرسة، لم تكن الأمور سيئة للغاية. ولكنه كان يكره الإجازات ... بسببها هي. كانت تخطط كل شيء، وتدبر له كل الأمور، تمنحه هدايا على اختلاف أشكالها. بدا عليها الارتباك لأنه لا يفصح عن مشاعره. كان يكره تقبيلها له

... وفيما بعد كان يسعد بإفساد الخطط السخيفة التي تضعها له؛ العمل في مصرف! في شركة بترول! لم يكن ذلك الفتى الذي يقبل بهذا. سيذهب بنفسه ويبحث عن عمل.

وحين التحق بالجامعة، حاول أن يتتبع أمه الحقيقية. واكتشف أنها توفيت منذ بضع سنوات في حادث سيارة بصحبة رجل كان يقود السيارة وهو ثمل ...

إذن، لماذا لم ينس كل هذا؟ لماذا لم يقضِ وقتًا ممتعًا وحسب ويواصل حياته؟ لم يكن يعرف السبب.

والآن ... ما الذي سيحدث الآن؟ لقد ماتت، أليس كذلك؟ كانت تظن أنها اشترته بمائة جنيه، كانت تظن أن بإمكانها شراء أي شيء ـ منازل وسيارات، وأطفال طالما أنها لا تستطيع الإنجاب. كانت تظن أنها قادرة على كل شيء!

حسنًا، لم تكن كذلك. مجرد ضربة على الرأس بقضيب حديدي تحولت على أثرها إلى جثة هامدة مثل أية جثة أخرى! (مثل الجثة ذات الشعر الذهبي التي ماتت في حادث سيارة على طريق جريت نورث...)

لقد ماتت، أليس كذلك؟ لم يقلق؟

ما خطبه؟ أليس ... ألم يعد في إمكانه أن يكرهها لأنها ماتت؟

إذن، ذلك هو الموت...

شعر بالضياع من دون كرهه هذا ... بالضياع والخوف.

الثاني عشر

1

في غرفتها المرتبة بعناية فائقة، جدلت كريستين ليندستروم شعرها الأشقر المائل للرمادي في جديلتين وأعدت الفراش.

كانت قلقة وخائفة.

لم تكن الشرطة تحب الأجانب. لقد مكثت في إنجلترا فترة طويلة لدرجة أنها لم تعد تشعر بأنها أجنبية. ولكن ليس في مقدور الشرطة أن تعرف ذلك.

هذا الدكتور كالجري ... لماذا جاء وفعل ما فعله؟

لقد تحققت العدالة. فكرت في جاكو ... وكررت في نفسها أن العدالة أخذت مجراها.

تذكرته كما عرفته منذ أن كان صبيًا صغيرًا.

لطالما كان كاذبًا ومخادعًا دومًا! ولكنه كان جذابًا وساحرًا للغاية. كان المرء يسامحه دومًا. يحاول المرء دومًا أن يحميه من العقوبة.

كان يجيد الكذب جدًا. كانت هذه هي الحقيقة المروعة. كان يجيد الكذب لدرجة أن المرء يصدقه ... لا يسعى المرء إلى فعل شيء سوى تصديقه. جاكو الشرير القاسي.

لعل الدكتور كالجري ظن أنه يعرف ما تحدث بشأنه! ولكن الدكتور كالجري كان مخطئًا. الأماكن والتواريخ وأدلة البراءة! كان بإمكان جاكو أن يلفق أمورًا من هذا القبيل بمنتهى السهولة. لم يعرف أحد جاكو مثلما كانت تعرفه هي.

هل سيصدقها أحد لو أخبرتهم بماهية جاكو الحقيقية؟ والآن ... غدًا، ما الذي سيحدث؟ ستأتي الشرطة. وسيشعر الجميع بالحزن والشك والريبة. يتبادلون النظرات فيما بينهم ... متشككون بشأن ما يصدقون.

كانت تحبهم جميعًا بشدة ... أجل، بشدة. كانت تعرفهم أكثر مما يعرفهم أي شخص آخر، أكثر مما تعرفه السيدة أرجيل نفسها عنهم. لقد أصابت غريزة الأمومة السيدة أرجيل بالعمى. كانوا أولادها ... كانت تراهم ملكية خاصة لها. ولكن

كريستين كانت تراهم كأفراد ـ لهم شخصيتهم المستقلة؛ بعيوبها ومميزاتها. ولو أنها أنجبت أبناءً، ربما لشعرت حيالهم بغريزة التملك. ولكن غريزة الأمومة لم تستحوذ عليها مثلما هي الحال مع السيدة أرجيل. كانت كريستي ستوجه حبها بالأساس إلى الزوج الذي لم تحظ به مطلقًا.

كان يصعب عليها فهم السيدات من نوعية السيدة أرجيل؛ مهووسة بالكثير من الأطفال الذين لم تنجبهم، وكانت تعامل زوجها كما لو أنه غير موجود! رجل صالح، رجل لطيف للغاية، لا يوجد مثله. يلقى الإهمال ويتم تهميشه. كانت السيدة أرجيل مشغولة بنفسها لا تلاحظ ما يحدث في محيطها. تلك السكرتيرة ... فتاة جميلة المظهر وامرأة كاملة الأنوثة. حسنًا، لم يكن الوقت قد فات بالنسبة لـ ليو...أم أن الوقت قد فات الآن؟ الآن، مع شبح الجريمة يطل برأسه من القبر الذي دُفن فيه، هل سيجرؤ هذان الاثنان على الاقتران ببعض أبدًا؟

تنهدت كريستين بتعاسة. ما الذي سيحدث لهم جميعًا؟ لـ ميكي، الذي أضمر في نفسه كراهية مرضية تجاه أمه بالتبني؟ ولـ هيستر، غير الواثقة بنفسها، والمتمردة. هيستر التي كانت بصدد أن تجد السلام والأمان مع طبيب شاب لطيف متحفظ. ولـ ليو وجويندا، لديهما الدافع، أجل تجب مواجهة هذه الحقيقة، هناك فرصة لهما، وهذا ما يدركانه حتمًا. ولـ تينا، تلك الفتاة الأشبه بقطة صغيرة ملساء الشعر. ولتلك الفتاة الأنانية القاسية، ماري، التي لم تكن تبدي أية عاطفة لأحد حتى تزوجت.

فكرت كريستي بأنها ذات مرة كانت تشعر بالحب والإعجاب تجاه صاحبة عملها؛ ولكنها لا تستطيع أن تتذكر بالضبط متى بدأت تشعر بالكره تجاهها، متى بدأت تصدر الأحكام عليها وتكتشف نواقصها. تثق بنفسها بشدة، خيرة، مستبدة ... نموذج حي على الأم التي تعرف كل شيء على نحو أفضل من الجميع. رغم أنها لم تكن أمًا أبدًا! لو كانت قد أنجبت طفلًا، لجعلها هذا متواضعة.

ولكن لماذا تواصل التفكير في راشيل أرجيل؟ لقد ماتت راشيل أرجيل.

يجب أن تفكر في نفسها ... وفي الآخرين.

وفيما قد يحدث غدًا.

2

فزعت ماري دورانت من نومها.

كانت تحلم .. تحلم أنها طفلة، عادت إلى نيويورك مرة أخرى.

يا له من أمر غريب! لم تفكر في تلك الأيام منذ سنوات.

أدهشه حقًا أن بإمكانها أن تتذكر أي شيء على الإطلاق. كم كان عمرها؟ خمسة؟ ستة؟

كانت تحلم بأنها أُخذت من الفندق وعادت إلى المسكن. كان الزوجان أرجيل مسافرين إلى إنجلترا ولم يأخذاها معهما. مُلِئَ قلبها بالغضب والحنق للحظة أو لحظتين إلى أن أدركت أن ذلك لم يكن سوى حلم.

كم كان هذا رائعًا؛ أُخذت في سيارة، وركبت مصعد الفندق وصعدت للطابق الثامن عشر. الجناح الكبير، ذلك الحمام الرائع، اكتشاف الأشياء الموجودة في ذلك العالم ... لو كنت غنيًا! لو كان بإمكانها أن تبقى هناك، لو كان بإمكانها أن تحتفظ بكل هذا ... إلى الأبد...

في الواقع، لم تكن هناك أية صعوبة على الإطلاق. كل ما كان يتعين عليها هو إبداء الحب، لم يكن هذا سهلًا بالنسبة له؛ لأنها لم تكن عاطفية بطبيعتها، ولكنها استطاعت أن تمثل. وها هي قد حصلت على حياة مستقرة! أب وأم ثريين، ملابس، سيارات، سفن، طائرات، خدم قائمين على خدمتها، دمى وألعاب غالية الثمن. قصة خيالية تتحقق على أرض الواقع ...

من المؤسف أن يتواجد كل هؤلاء الأطفال في ذلك المكان أيضًا. بالطبع، كان هذا بسبب الحرب. أم أن هذا كان سيحدث على أية حال؟ عاطفة الأمومة التي لا يُشبعها شيء! كان يشوبها شيء غير طبيعي. شيء حيواني للغاية.

لطالما كانت تشعر دومًا ببعض الازدراء تجاه أمها بالتبني. يا لها من امرأة غبية! على أية حال؛ لاختيارها الأطفال الذين وقع عليهم الاختيار؛ فهم أطفال فقراء معدمون! ذوو ميول إجرامية مثل جاكو، مضطربون مثل هيستر، قساة مثل ميكي، ومخلطو الأنساب مثل تينا! لا عجب في أن ينتهي بهم المطاف جميعًا بصورة سيئة. على الرغم من أنها لا تستطيع أن تلومهم حقًا على تمردهم. هي نفسها قد تمردت. تذكرت لقاءها بـ فيليب، الطيار الشاب المفعم بالحيوية. ورفض أمها للزواج به. "زيجة متعجلة. انتظري حتى تنتهي الحرب". ولكنها لم تكن ترغب في الانتظار. كانت تتمتع بإرادة قوية مثلما كانت أمها، وكان أبوها يؤيدها. تزوجا، وسرعان ما انتهت الحرب بعد زواجهما.

كانت تريد الاستئثار بـ فيليب لنفسها ... أن تهرب بعيدًا عن سيطرة أمها. لقد تلقت الهزيمة على يد القدر، لا على يد أمها. أولًا، فشل الخطط المالية التي وضعها فيليب، ثم الضربة القاضية ... الإصابة بالشلل. وبمجرد أن استطاع فيليب أن يغادر المستشفى جاءا إلى منزل صني بوينت. بدا أنه لا مفر من المكوث في هذا المنزل. بدا فيليب نفسه أنه يعتقد أنه لا مفر من ذلك. لقد خسر أمواله كلها ولم تكن إعانتها من

صندوق الائتمان كبيرة. طلبت مبلغًا أكبر، ولكن جاء الرد أنه من الحكمة أن يقيما في منزل صني بوينت في اللحظة الراهنة. ولكنها كانت تريد الاستئثار بـ فيليب، لنفسها تمامًا، ولم تكن ترغب في أن يكون آخر "أبناء" راشيل أرجيل. لم تكن ترغب في إنجاب طفل لها ... لم تكن تريد سوى فيليب.

ولكن بدا فيليب أنه موافق تمامًا على فكرة الانتقال إلى صني بوينت.

قال: "هذا أيسر لك؛ فهناك دومًا أناس يترددون على المكان، كنوع من التسلية. بالإضافة إلى أنني أرى دومًا أن صحبة والدك أمر رائع للغاية".

لماذا لم يكن يرغب في أن يمكث معها وحدها مثلما أرادت هي ذلك؟ لماذا يتوق إلى صحبة الآخرين ... صحبة أبيها، صحبة هيستر؟

شعرت ماري بموجة عارمة من الغضب تتملكها. كانت أمها تعترض طريقها كما هو المعتاد وتفرض رأيها.

ولكنها لم تعترض طريقها ... لقد توفيت.

والآن، تُفتح القضية مرة أخرى. يا إلهي! لماذا، لماذا؟

ولماذا يحاول فيليب أن يشغل باله بالأمر هكذا؟ يطرح الأسئلة، يحاول أن يكتشف، يتدخل فيما لا يعنيه؟

ينصب الشراك....

أي نوع من الشراك؟

3

راقب ليو أرجيل ضوء الصباح يملأ جنبات الغرفة ببطء بضوء رمادي خافت.

كان يفكر في كل شيء بحرص بالغ.

كان الأمر واضحًا تمامًا له ... بصدد مواجهته هو وجويندا.

استلقى وهو يفكر في الأمر برمته مثلما سيفكر فيه رئيس المحققين هويش. دخلت راشيل غرفته لتخبره بأن جاكو ... بهمجيته وتهديداته. لقد ذهبت جويندا ببراعة إلى الغرفة الأخرى، وحاول هو تهدئة راشيل، لقد أخبرها بأنها محقة تمامًا لاتباع الشدة مع جاكو، فمساعدته في الماضي لم تفده ... فعاجلًا أو آجلًا يجب أن يتحمل نتائج أفعاله. وخرجت وقد هدأت خواطرها.

ثم عادت جويندا إلى الغرفة، وجمعت الخطابات التي سيتم إرسالها وسألته ما إذا كان بمقدورها القيام بأي شيء آخر، كانت نبرة صوتها توحي بما هو أكثر مما تقصده الكلمات الفعلية، فشكرها وقال إنه لا يحتاج لأي شيء آخر. تمنت له ليلة سعيدة وخرجت من الغرفة. على طول الرواق ثم نزولًا إلى الطابق السفلي مروراً بالغرفة التي كانت تجلس بها راشيل على مكتبها ثم خروجًا من المنزل من دون أن يراها أحد تخرج ...

كان هو نفسه يجلس وحده بمكتبه، ولم يكن هناك أحد ليؤكد أنه ترك غرفته ونزل إلى غرفة راشيل في الطابق السفلي.

كان الأمر هكذا ... فرصة مناسبة لكليهما.

والدافع قوي لأنه في ذلك الوقت كان قد وقع في حب جويندا، وهي كانت تبادله الحب.

لم يكن هناك أحد في إمكانه إثبات براءة أي منهما أو تورطهما.

4

على بعد ميل، كانت جويندا مستلقية في فراشها يجافي النوم عينيها.

كانت يداها مشدودتين، كانت تفكر في مدى كرهها لـ راشيل أرجيل.

والآن، في الظلام، كانت راشيل أرجيل تقول لها: "تظنين أن بإمكانك أن تأخذي زوجي بمجرد أن أموت. ولكنك لا تستطيعين... لا تستطيعين. لن تأخذي زوجي أبداً".

5

كانت هيستر تحلم. لقد حلمت بـ دونالد كريج قد تركها فجأة عند حافة الهاوية. كانت تبكي من الخوف، وعلى الجانب الآخر، رأت آرثر كالجري يقف وهو يمد يده إليها.

صاحت وهي تؤنبه قائلةً:

"لماذا فعلت بي هذا؟".

فأجابها قائلًا: "ولكني جئت لمساعدتك..."

ثم استيقظت.

6

كانت تينا مستلقية بهدوء في الغرفة الصغيرة الفارغة، تتنفس بلطف وانتظام، ولكن كان النوم يجافيها.

كانت تفكر في السيدة أرجيل، من دون امتنان، من دون استياء ... بحب بكل بساطة؛ لأن السيدة أرجيل كانت تمتلك الطعام والشراب والدفء والدمى وسبل الراحة. كانت تحب السيدة أرجيل، وكانت تشعر بالأسف على موتها...

لكن الأمر لم يكن بهذه البساطة.

لم يكن الأمر يمثل أهمية حين كان جاكو هو ...

أما الآن؟

الثالث عشر

تطلع رئيس المحققين هويش إليهم جميعًا بهدوء وأدب. وعندما تحدث، كانت نبرة صوته تنم عن الاعتذار.

قال: "أعرف أن هذا الأمر مؤلم جدًا لكم جميعًا؛ الاضطرار إلى تذكر الأحداث كلها مرة أخرى. ولكن حقًا ليس أمامنا خيار آخر في هذا الصدد. أتوقع أنكم رأيتم الخبر، أليس كذلك؟ كان هذا منشوراً في كل الصحف الصباحية".

قال ليو: "العفو العام".

قال هويش: "دومًا ما ينزعج الناس من اللغة القانونية. المفارقة التاريخية مثل الكثير من المصطلحات القانونية. ولكن معناه واضح تمامًا".

قال ليو: "هذا يعني أنكم ارتكبتم خطأ".

اعترف هويش ببساطة: "أجل، لقد ارتكبنا خطأ"، وأضاف بعد دقيقة من الصمت قائلًا: "بالطبع، لا مفر من ارتكاب الخطأ في ظل غياب شهادة الدكتور كالجري".

قال ليو ببرود:

"لقد أخبركم ابني، حين ألقي القبض عليه، بأن أحدهم قام بتوصيله في تلك الليلة".

"أوه، أجل. لقد أخبرنا بذلك. لقد بذلنا أفضل ما لدينا للتحقق من صحة ما قاله ... ولكن لم نستطع التوصل إلى أية تأكيدات تثبت روايته للأحداث. أدرك تمامًا، سيد أرجيل، أنك تشعر بالمرارة البالغة حيال الأمر برمته. أنا لا أخلق المبررات والأعذار. كل ما يتعين علينا كضباط شرطة فعله هو جمع الأدلة. وتعرض الأدلة على النائب العام وهو الذي يقرر إن كانت هناك قضية أم لا. في حالة هذه القضية، أقر النائب العام بوجود قضية. إن كان ممكنًا، أود أن أطلب منكم أن تتناسوا المرارة بقدر الإمكان وتسترجعوا الحقائق والتواريخ مرة أخرى".

قالت هيستر بحدة: "ما فائدة ذلك الآن؟ من ارتكب الجريمة فر هاربًا ولن تجدوه أبدًا".

التفت رئيس المحققين هويش إليها.

قال بلطف: "ربما كان الأمر كذلك ... وربما لم يكن. لعلك تندهشين من

الأوقات التي نلقي فيها القبض على المجرم ... أحياناً يكون هذا بعد مرور عدة سنوات على ارتكاب الجريمة. الأمر يتطلب الصبر ... الصبر وعدم الاستسلام مطلقاً".

أدارت هيستر وجهها وسرت رعشة في جسد جويندا كأن تياراً بارداً قد عصف بها. استشعر خيالها الخصب التهديد وراء الكلمات الهادئة.

قال هويش: "الآن، إذا سمحت"، ونظر إلى ليو في ترقب قائلًا: "سنبدأ بك، سيد أرجيل".

"ما الذي تريد أن تعرفه بالضبط؟ لابد أنك احتفظت بشهادتي الأصلية؟ سأكون أقل دقة الآن على الأرجح. لقد تفلتت التواريخ الدقيقة من ذهني".

"أوه، إننا ندرك ذلك. ولكنّ هناك دوماً احتمالًا بأن قد تخرج حقيقة ما إلى الضوء، شيء ما تم التغاضي عنه وقتها".

تساءل فيليب: "هل من المحتمل أن يرى المرء الأمور من منظور أفضل عند النظر إليها بعد مرور فاصل زمني يمتد لسنوات؟".

قال هويش، وهو يلتفت إلى فيليب مبدياً بعض الاهتمام: "أجل، هناك احتمال بذلك".

ثم قال في نفسه: "يا له من شاب ذكي! أتساءل ما إذا كان قد كونّ أية فكرة عن هذا الأمر ...".

سأل هويش ليو قائلًا: "الآن، سيد أرجيل، إذا ما استرجعت تسلسل الأحداث. كنت قد تناولت الشاي؟".

رد ليو: "أجل. تناولنا الشاي في غرفة الطعام الساعة الخامسة كما هو معتاد. كنا جميعاً موجودين في الغرفة في انتظار تقديم الشاي مع توقع قدوم السيد والسيدة دورانت. ولكن جاءت السيدة دورانت لتأخذ الشاي لنفسها وزوجها ليتناولاه في غرفة الجلوس الخاصة بهما في الدور العلوي".

قال فيليب: "كنت وقتها عاجزاً أكثر مما أنا عليه الآن. كنت قد خرجت من المستشفى توّاً".

التفت هويش إلى ليو قائلًا: "حسنًا. كنتم جميعًا ... ؟"

رد ليو: "أنا وزوجتي وابنتي هيستر والآنسة فوجان والآنسة ليندستروم".

"ثم؟ فقط عبر بطريقتك".

"بعد تناول الشاي، عدت إلى هنا أنا والآنسة فوجان. كنا نراجع فصلًا من كتابي الذي يتناول اقتصاديات القرون الوسطى. ذهبت زوجتي إلى غرفة المعيشة والمكتب

الخاصين بها، الموجودين بالطابق الأرضي. كان لديها الكثير من المشاغل كما تعرف. كانت تراجع بعض الخطط لبناء ملعب للأطفال والتي كانت تعتزم أن تقدمها إلى مجلس المدينة".

"هل سمعت ابنك جاك عند وصوله؟".

"كلا. لم أعلم بقدومه. لقد سمعت ـ سمع كلانا ـ جرس الباب الأمامي. لم نكن نعرف من الطارق".

"في رأيك، من كان الطارق، سيد أرجيل؟".

بدا على ليو بعض الاهتمام.

وقال ليو بكل بساطة: "كنت مستغرقًا في دراسة القرن الخامس عشر، لا القرن العشرين. لم أفكر في الأمر على الإطلاق. ربما كان شخصًا ما أو شيئًا ما. زوجتي والآنسة ليندستروم وهيستر وربما أي واحد من الخدم غير المقيمين معنا موجودون في الطابق السفلي. لم يتوقع أحد مني أن أذهب أنا لفتح الباب".

"وبعد ذلك؟".

"لا شيء. حتى جاءت زوجتي بعد مرور فترة طويلة".

"كم مر من الوقت؟".

قطب ليو جبينه.

"في وقتنا هذا لا أستطيع أن أخبرك بالوقت تحديدًا. لابد أنني أخبرتكم بالوقت المحدد. نصف ساعة ... لا أكثر ... ساعة إلا ثلثًا".

قالت جويندا: "انتهينا من تناول الشاي بعد الخامسة والنصف. أظن أن السيدة أرجيل جاءت إلى المكتبة في السابعة إلا الثلث".

"وماذا قالت؟".

تنهد ليو، وتحدث بجفاء.

"لقد تحدثنا في هذا الأمر عدة مرات. قالت إن جاكو جاءها، وإنه يواجه مشكلة، وإنه كان عنيفًا وعدائيًا، طلب المال وقال إنه إذا لم يحصل على المال فورًا، فإنه سيلقى به في السجن. وإنها رفضت إعطاءه مليمًا. وكانت قلقة بشأن ما إذا كان ما فعلته صائبًا أم لا".

"هلا سألتك سؤالًا سيد أرجيل. حين طلب الفتى المال، لماذا لم تستدعك زوجتك؟ لماذا أخبرتك فيما بعد وحسب؟ ألم يبد هذا غريبًا بالنسبة لك؟".

"كلا، ليس غريبًا".

"بدا بالنسبة لي أن ذلك هو التصرف الطبيعي. لم تكن ... على خلاف معه؟".

"أوه، لا. بكل بساطة اعتادت زوجتي أن تتعامل مع جميع القرارات العملية وحدها من دون مساعدة. كثيراً ما كنت تستشيرني وتطلب رأيي مقدماً، وعادة ما كانت تناقش القرارات معي فيما بعد. وبخصوص هذا الموضوع بالذات، لقد تحدثت، أنا وهي، معاً بجدية بالغة بشأن مشكلة جاكو ... بشأن أفضل شيء نقوم به. حتى ذلك الوقت، لم نكن قد وفقنا في التعامل مع الصبي. لقد دفعت مبالغ كبيرة عدة مرات لحمايته من تداعيات تصرفاته، ولقد قررنا أنه إذا حدث هذا مرة أخرى، فسيكون أفضل شيء هو أن يتعلم جاكو درساً قاسياً".

"ومع ذلك، تضايقت؟".

"أجل، كانت متضايقة. لو كان أقل عنفاً وتهديداً، أظن أنها كانت لتنهار وتساعده مرة أخرى، ولكن توجهه هو ما جعلها تتمسك بقرارها".

"هل كان جاكو قد ترك المنزل حينها؟".

"أوه، أجل".

"هل علمت ذلك بنفسك، أم أن السيدة أرجيل قد أخبرتك به؟".

"لقد أخبرتني. قالت إنه خرج وهو يسب ويهدد بعودته وقال إنه من الأفضل أن تحضر له مبلغاً من الآن".

"هل كنت ... وهذا مهم ... هل كنت منزعجاً من فكرة عودة الصبي؟".

"بالطبع لا، كنا قد اعتدنا على ما يمكنني تسميته بتبجح جاكو".

"لم يخطر على بالك قط أنه قد يعود ويعتدي عليها".

"كلا. لقد أخبرتك بذلك حينئذ. كنت مذهولاً".

قال هويش برقة: "ويبدو أنك كنت محقاً تماماً. لم يكن هو من قام بالاعتداء عليها. السيدة أرجيل تركتكَ ... متى بالضبط؟".

"هذا أتذكره. لقد استرجعنا هذه النقطة كثيراً. قبل الساعة السابعة ... السابعة إلا سبع دقائق".

التفت هويش إلى جويندا.

"هل تؤكدين ما أقوله؟".

"أجل".

"ثم سار الحوار كما حكى السيد أرجيل تواً؟ ليست لديكِ إضافة في هذا الصدد؟

ليس هناك شيء نسيته؟".

"لم أسمع الحوار بأكمله. بعد أن أخبرتنا السيدة أرجيل بطلبات جاكو، ظننت أنه من الأفضل لي أن أنسحب؛ إذ ربما يستشعران الحرج ليتحدثا بصراحة أمامي. ذهبت إلى هناك" ـ وأشارت إلى الباب الموجود عند نهاية غرفة
المكتبة ـ "إلى الغرفة الصغيرة التي أقوم فيها بالكتابة على الآلة الكاتبة. وعدت عندما سمعت السيدة أرجيل تغادر الغرفة".

"وكان هذا الساعة السابعة إلا سبع دقائق".

"السابعة إلا خمس دقائق بالضبط، أجل".

"وبعد ذلك ماذا حدث، يا آنسة فوجان؟".

"سألت السيد أرجيل إن كان يرغب في استكمال العمل، ولكنه قال إن حبل أفكاره قُطع. وسألته إذا ما كان هناك شيء آخر يمكنني القيام به، ولكنه أجاب بالنفي. ومن ثم، جمعت أشيائي وغادرت".

"متى؟".

"السابعة وخمس دقائق".

"نزلت إلى الطابق السفلي وخرجت من الباب الأمامي؟".

"أجل".

"كانت غرفة المعيشة الخاصة بالسيدة أرجيل إلى يسار الباب الأمامي مباشرة، أليس كذلك؟".

"بلى".

"هل كان الباب مفتوحًا؟".

"لم يكن مغلقًا ... كان مواربًا قليلًا".

"لم تدخلي الغرفة أو تلقي تحية المساء عليها؟".

"لم أفعل".

"ألا تفعلين ذلك عادة؟".

"بلى. من السخيف أن أقاطعها عما كانت تفعله، فقط لألقي عليها تحية المساء".

"لو كنت قد دخلت إلى الغرفة ... فلربما كنت ستكتشفين جثة السيدة أرجيل".

هزت جويندا كتفيها.

"أظن ذلك... ولكني أتصور ... أقصد أننا جميعًا تصورنا أنها قُتلت في وقت لاحق. من الصعب أن يتمكن جاكو من ..."

سكتت.

"مازلت تعتقدين أن جاكو هو من قتلها. ولكن الأمر اختلف الآن. إذن، لعلها كانت موجودة في الداخل متوفاة؟".

"أظن ... أجل".

"لقد غادرت المنزل وعدت إلى بيتك مباشرة؟".

"أجل. لقد اتصلت بي صاحبة البيت حين وصلت".

"تمامًا. ولم تلتق بأحد في طريقك .. بالقرب من المنزل؟".

قطبت جويندا جبينها وقالت: "لا أظن ذلك... لا. لا أستطيع أن أتذكر الآن ... كان الجو باردًا ومظلمًا وهذا الطريق مجرد طريق مسدود. لا أظن أنني التقيت بأحد إلى أن وصلت إلى مقهى رد ليون. كان هناك العديد من الأشخاص".

"هل مرت بجانبك أية سيارة؟".

تفاجأت جويندا من السؤال.

وقالت: "أوه، أجل، أتذكر أن سيارة مرت بجانبي. لقد لطخت تنورتي، وقد اتسخت بالوحل فغسلتها حين عدت إلى البيت".

"ما نوع هذه السيارة؟".

"لا أتذكر. لم ألاحظ. مرت بجانبي عند مدخل شارعنا. ربما كانت متجهة لأيٍّ من المنازل الموجودة في الشارع".

التفت هويش إلى ليو مرة أخرى.

"قلت إنك سمعت جرس الباب بعد أن غادرت زوجتك الغرفة بقليل؟".

"حسنًا ... أظن أنني سمعت. لم أكن متأكدًا تمامًا".

"متى كان هذا؟".

"ليست لديّ أدني فكرة. لم أنظر إلى الساعة".

"ألم تظن أن ابنك جاك ربما قد عاد مرة أخرى؟".

"لم أظن ذلك. لقد عدت ... العمل مرة أخرى".

"نقطة أخرى، سيد أرجيل. هل كانت لديك أدنى فكرة عن زواج ابنك".

"لم تكن لديّ فكرة على الإطلاق".

"ولم تكن أمه تعرف أيضًا، أليس كذلك؟ ألم تظن أنها كانت تعرف ولكنها لم تخبرك؟".

"أنا متأكد تمامًا أنها لم يكن لديها علم بهذا الموضوع. كانت صدمة كبرى بالنسبة لي حين ظهرت زوجته اليوم التالي. لم أستطع أن أصدق حين دخلت الآنسة ليندستروم هذه الغرفة وهي تقول: "هناك شابة في الطابق السفلي ... فتاة تقول إنها زوجة جاكو. لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا". كانت منزعجة للغاية، أليس كذلك يا كريستي؟".

قالت كريستي: "لم أستطع تصديق ذلك. طلبت منها أن تكرر ما قالته مرتين؛ ثم صعدت إلى السيد أرجيل. بدا ذلك أمرًا لا يمكن تصديقه".

قال هويش لـ ليو: "فهمت أنك كنت كريمًا للغاية معها".

"لقد فعلت ما كان بوسعي. لقد تزوجت مرة أخرى، كما تعرف. أنا سعيد جدًا لأجلها. يبدو زوجها شخصًا لطيفًا ومستقرًا". أومأ هويش برأسه. ثم التفت إلى هيستر.

"الآن، آنسة أرجيل، أخبرني مرة أخرى، ماذا فعلتِ بعد تناول الشاي في ذلك اليوم؟".

قالت هيستر في عبوس: "لا أتذكر الآن. كيف يمكنني أن أتذكر؟ لقد مر عامان على هذا. لعلني كنت أفعل أي شيء".

"في الواقع، أظن أنك كنت تساعدني الآنسة ليندستروم في غسيل فناجين الشاي".

قالت كريستي: "هذا صحيح تمامًا"، ثم أضافت قائلة: "وبعد ذلك، صعدت إلى غرفة نومك. كنت بصدد الخروج في وقت لاحق، أتذكرين؟ كنت ذاهبة لحضور عرض هواة لمسرحية في انتظار جودو على مسرح درايماوث".

بدت هيستر متجهمة وغير متعاونة.

قالت لـ هويش: "كل شيء مسجل لديك. لماذا نعيد الأمر مرة أخرى؟".

"لأنكِ لا تعرفين أبدًا ما الذي يمكن أن يفيدنا. الآن، آنسة أرجيل، متى غادرت المنزل؟".

"الساعة السابعة ... أو نحو ذلك".

"هل سمعتِ المشادة التي حدثت بين والدتكِ وأخيكِ جاك؟".

"كلا، لم أسمع أي شيء. كنت في الدور العلوي".

"ولكنك رأيتِ السيدة أرجيل قبل مغادرة المنزل؟".

"أجل، كنت أريد مبلغًا من المال. وكنت في طريقي إلى الخارج. وتذكرت أن سيارتي كادت تخلو من الوقود. وكان يتعين عليّ التزود بالوقود في طريقي إلى درايماوث. ومن ثم حين هممت بالخروج، عدت إلى أمي وطلبت منها مبلغًا من المال ـ فقط جنيهين ـ كان هذا هو المبلغ الذي أحتاج إليه".

"وأعطتك المال؟".

"بل أعطتني إياه كريستي".

بدت الدهشة على هويش نوعًا ما.

"لا أتذكر أن هذا ذُكر في المحضر الأصلي".

قالت هيستر في تحدّ: "حسنًا، هذا ما حدث. دخلت وقلت أريد مبلغًا من المال، وسمعتني كريستي من الرواق، وصاحت بأن لديها بعض المال وستعطيني إياه. كانت هي في طريقها إلى الخروج. وقالت أمي: "أجل، خذي المبلغ من كريستي"".

قالت الآنسة ليندستروم: "كنت ذاهبة إلى الجمعية النسائية معي بعض الكتب عن تنسيق الزهور. كنت أعرف أن السيدة أرجيل مشغولة ولا تريد أن يقاطعها أحد".

قالت هيستر بنبرة متضايقة:

"ما فائدة معرفة هوية الشخص الذي أعطاني المال؟ أنت تريد أنت تعرف متى كانت آخر مرة رأيت فيها أمي على قيد الحياة. كانت هذه آخر مرة. كانت تجلس على مكتبها تدرس الكثير من الخطط. وقلت لها أريد مبلغًا من المال، ثم نادت كريستي من الخارج وقالت إنها ستعطيني المبلغ. أخذت منها المبلغ ثم دخلت إلى غرفة أمي مرة أخرى، وتمنيت لها ليلة سعيدة، وقالت لي إنها تتمني لي مشاهدة ممتعة، وطلبت مني توخي الحذر في أثناء القيادة. إنها تقول ذلك دومًا، ثم خرجت إلى المرآب وأخرجت السيارة".

"والآنسة ليندستروم".

"أوه، خرجت بمجرد أن أعطتني المال".

قالت كريستين ليندستروم بسرعة: "مرت بي هيستر بسيارتها بمجرد أن وصلت إلى نهاية شارعنا. لابد أنها خرجت بعدي مباشرة. صعدت التلة باتجاه الشارع الرئيسي في حين انعطفت أنا يساراً ناحية القرية".

فتحت هيستر فمها كأنها بصدد أن تقول شيئًا ولكنها أغلقته على الفور مرة أخرى.

تساءل هويش في نفسه؛ هل تحاول كريستين ليندستروم أن تؤكد أن هيستر لم يكن لديها متسع من الوقت لارتكاب الجريمة؟ أليس من المحتمل أن هيستر بدلًا من أن تتمنى للسيدة أرجيل ليلة سعيدة دخلت في جدال معها ... شجار، وفي النهاية ضربتها

هيستر؟

التفت إلى كريستين بهدوء وقال:

"الآن، آنسة ليندستروم، دعينا نستمع إلى ما تتذكرينه".

كانت قلقة. فركت يديها في قلق.

"تناولنا الشاي، وحملنا الفناجين. ساعدتني هيستر، ثم صعدت إلى الطابق العلوي ثم جاء جاكو".

"هل سمعته؟".

"أجل. فتحت له الباب. قال إنه فقد مفاتيحه. وتوجه مباشرة إلى أمه. وقال لها على الفور: "أنا في ورطة، يجب أن تخرجيني منها". لم أسمع أكثر من ذلك. عدت إلى المطبخ. كانت هناك أشياء أعدها للعشاء".

"هل سمعته يغادر؟".

"أجل، بالتأكيد. كان يصيح. خرجت من المطبخ. كان يقف في الرواق الأمامي ... غاضباً للغاية ... يصيح أنه سيعود مرة أخرى، وأنه من الأفضل لوالدته أن تجهز له المال وإلا! هذا ما قاله "وإلا!" كان هذا تهديده".

"ثم؟".

"خرج وهو يصفق الباب. وخرجت السيدة أرجيل إلى الرواق. كانت شاحبة ومتضايقة للغاية. قالت لي: "هل سمعتِ؟" قلت: "هو يواجه مشكلة؟".

"أومأت برأسها، ثم صعدت إلى الطابق العلوي إلى مكتبة السيد أرجيل. أعددت المائدة لتناول العشاء، ثم صعدت الطابق العلوي لأحضر أغراضي للخروج. كانت الجمعية النسائية تقيم مسابقة تنسيق الزهور في اليوم التالي. كان هناك بعض الكتب التي تتناول تنسيق الزهور لدينا وكنا قد وعدناهم بها".

"أخذت الكتب إلى الجمعية... متى عدتِ إلى المنزل؟".

"في حوالي الساعة السابعة والنصف على الأرجح. فتحت الباب بمفتاحي. وتوجهت على الفور إلى غرفة السيدة أرجيل...لأعطيها خطاب شكر ومذكرة ... كانت جالسة على المكتب، ورأسها بين يديها. وكان القضيب الحديدي ملقى على الأرض ... وأدراج المكتب مفتوحة. ظننت أن هناك لصاً. لقد تعرضت إلى اعتداء. وكنت محقة. الآن، تدركون أنني كنت محقة! كانت سرقة ... شخص من الخارج!".

"شخص سمحت له السيدة أرجيل بنفسها بالدخول؟".

قالت كريستين في تحدٍّ: "ولم لا؟ كانت لطيفة ... لطيفة جداً دوماً. ولم تكن

تخشى ... الناس أو الأشياء. بالإضافة إلى أنها لم تكن وحدها في المنزل. كان معها آخرون، زوجها، جويندا، ماري. كان كل ما يتعين عليها أن تفعله هو أن تصرخ".

أشار هويش قائلًا: "ولكنها لم تصرخ".

"كلا؛ لأنه، أيًا كان ذلك الشخص، لابد أنه أخبرها بشيء مقنع للغاية. كانت تسمع دائمًا. ومن ثم، جلست مرة أخرى على مكتبها ... ربما لتبحث عن دفتر الشيكات الخاصة بها .... لأنه لم يكن يساورها الشك ... ومن ثم انتهز فرصة لانتشال القضيب الحديدي وضربها. ربما لم يكن يقصد قتلها. كان يريد فقط أن يفاجئها ويأخذ أموالها ومجوهراتها ويفر هاربًا".

"ولكنه لم يبحث كثيرًا ... فقط عبث ببعض الأدراج".

"لعله سمع صوتًا في المنزل ... وفقد السيطرة على أعصابه، أو اكتشف أنه قتلها، ومن ثم فر بسرعة".

مالت إلى الأمام.

كان في عينيها الخوف والرجاء.

"لابد أن الأمر كذلك ... لابد!".

كان مهتمًا بإصرارها. هل كانت تخشى على نفسها؟ كان بإمكانها أن تقتل ربة عملها، ثم تخرج الأدراج لتضفي احتمالًا بفكرة وقوع حادث سرقة. لا يمكن لتقرير الطب الشرعي أن يقرب وقت الوفاة إلا ما بين الساعة السابعة والسابعة والنصف.

ثم أذعن قائلًا: "يبدو أن الأمر كذلك حتمًا". تنفست الصعداء رغمًا عنه. واعتدلت في جلستها، ثم التفت هويش إلى الزوجين دورانت.

"لم يسمع كلاكما شيئًا أيضًا، أليس كذلك؟".

"لم نسمع شيئًا".

قالت ماري: "أخذت صينية الشاي إلى غرفتنا بالطابق العلوي. هو مكان منعزل عن باقي المنزل. بقينا هناك حتى سمعنا أحدهم يصرخ. كانت كريستين. لقد وجدت أمي ميتة".

"لم تغادرا الغرفة قط حتى ذلك الحين؟".

"بلى. كنا نلعب الورق". التقت عيناها بعينيه.

تعجب فيليب من شعوره بأنها مرتبكة قليلًا. لقد فعلت بولي ما أخبرها به. لعله إتقانها للتصرف والهدوء وعدم التعجل والقناعة التامة.

قال في نفسه: "بولي، حبيبتي، يا لك من كاذبة بارعة!".

قال فيليب: "وأنا، أيها المفتش العالم، كنت حينها وما زلت الآن، غير قادر على الحركة تمامًا".

قال رئيس المحققين بنبرة مرحة: "ولكنك تحسنت كثيرًا، أليس كذلك سيد دورانت؟ في أحد الأيام سنراك تسير على قدميك مرة أخرى".

"الموضوع سيستغرق وقتًا طويلًا".

التفت هويش إلى فردي الأسرة اللذين جلسا من دون أن يصدرا أي صوت. جلس ميكي عاقدًا ذراعيه وعلى وجهه تعبير ساخر بعض الشيء. كانت تينا، الصغيرة والجميلة، مستلقية في كرسيها، تقلب بصرها من وقت لآخر بين وجوه الحاضرين.

قال: "أعرف أن كليكما لم يتواجد في المنزل. ولكن لعلكما تذكرانني بما كنتما تفعلانه في تلك الليلة؟".

قال ميكي مبرزًا نبرته الساخرة أكثر: "هل تحتاج إلى أن نذكرك حقًا؟ يمكنني قول ما قلته بالفعل. كنت في الخارج أجرب سيارة. مشكلة فرامل. أخذت أفحصها طويلًا. ومن درايماوث إلى تل مينشين، مرورًا بطريق مور عائدًا مرة أخرى إلى إيبسلي. لسوء الحظ أن السيارات لا تتحدث، لا يمكنها أن تدلي بشهادتها".

أخيرًا، أدارت تينا رأسها. كانت تحدق إلى ميكي مباشرة. كان وجهها خاليًا من التعبيرات.

"وأنت، آنسة أرجيل؟ تعملين بالمكتبة في مدينة ريدمين؟".

"أجل. تغلق المكتبة أبوابها الساعة الخامسة والنصف. اشتريت بعض الأشياء من شارع هاي ستريت، ثم ذهبت إلى المنزل. لدي شقة - شقة صغيرة - بمنطقة موركومب مانشينز. طهوت العشاء الخاص بي وقضيت أمسية هادئة بالاستماع إلى أسطوانات الفونغراف".

"لم تخرجي من المنزل على الإطلاق؟".

كانت هناك لحظة صمت قبل أن تجيب:

"كلا، لم أخرج".

"هل أنت متأكدة تمامًا بخصوص ذلك، آنسة أرجيل؟".

"أجل، متأكدة".

"لديك سيارة، أليس كذلك؟".

"بلى".

قال ميكي: "لديها سيارة صغيرة جدًا، قديمة ومتهالكة وكثيرة الأعطال".

قالت تينا بهدوء وجدية: "أجل، لديّ سيارة صغيرة".

"أين تحتفظين بها؟".

"في الشارع. ليس لديّ مرآب. هناك شارع جانبي إلى جوار الشقة. وكثير من السيارات تصطف هناك".

"وليس ... وليس لديك شيء مفيد يمكنك أن تخبرينا به؟".

لم يكن هويش يعرف سبب إصراره على ذلك.

"لا أظن أن عندي ما يمكنني أن أقوله لك".

سدد لها ميكي نظرة سريعة.

تنهد هويش.

ثم قال ليو: "أخشى أن يكون ما قلناه غير مفيد، يا رئيس المحققين ".

"أنت لا تعرف مطلقًا، سيد أجريل. على ما أظن أنك تدرك أنها واحدة من أغرب القضايا، أليس كذلك؟".

"أنا؟ .... لست متأكدًا من متابعتي إياك".

قال هويش: "المال. المال الذي سحبته السيدة أرجيل من البنك من بينها الورقات من فئة الخمسة جنيهات ومكتوب على ظهرها السيدة بوتيلبيري، 17 بانجور روود. ومن الأدلة القوية في هذه القضية أن الأوراق المالية التي وُجدت مع جاك أرجيل حين أُلقي القبض عليه. أقسم بأنه حصل على الأموال من السيدة أرجيل، ولكن السيدة أرجيل أخبرتك أنت والآنسة فوجان أنها لم تعطِ جاكو أية أموال. ... إذن كيف حصل على هذه النقود؟ ليس بإمكانه أن يعود إلى هنا ... وهذا ما أوضحته شهادة الدكتور كالجري. إذن، لابد أن هذه النقود كانت معه حين غادر المنزل. من الذي أعطاها إليه؟ هل أعطته إياها؟".

التفت مباشرة إلى كريستين ليندستروم التي احمرت وجنتاها بارتباك.

"أنا؟ كلا، بالطبع، لا. كيف يمكنني أن أفعل ذلك؟".

"أين كانت تحتفظ السيدة أرجيل بالمال الذي سحبته من البنك؟".

قالت كريستين: "عادةً ما تحتفظ به في درج مكتبها".

"وتغلقه بالمفتاح؟".

فكرت كريستي ثم قالت:

"كانت تغلق الدرج على الأرجح قبل أن تأوي إلى الفراش".

نظر هويش إلى هيستر.

"هل أخذتِ المال من الدرج وأعطيته إلى أخيكِ؟".

"لم أعرف أنه جاء من الأساس. وكيف يمكنني أن آخذ المال من دون معرفة أمي؟".

قال هويش: "بإمكانك أن تأخذيه بكل سهولة حين صعدت أمك إلى المكتبة لتستشير أبيكِ".

تساءل في نفسه إن كان بإمكانها أن تفهم وتتجنب الشرك.

ولكنها وقعت في الشرك على الفور.

وقالت: "ولكن جاكو كان قد غادر بالفعل حينها. أنا ..." توقفت في فزع.

قال هويش: "أرى أنك تعرفين متى غادر أخوك بالضبط".

قالت هيستر بسرعة وحماس:

"أنا ... أنا ... عرفت الآن ... لم أكن أعرف حينها. كنت في غرفتي بالطابق العلوي، كما قلت لك. لم أسمع أي شيء على الإطلاق. وعلى أية حال، لن أرغب في إعطاء جاكو المال".

قالت كريستين: "وأخبرتك"، كان وجهها مشربًا حمرةً ويبدو عليها السخط، "لو أنني أعطيت المال لـ جاكو ... فإنه سيكون من مالي الخاص! ما كنت لأسرق!".

قال هويش: "متأكد أنك لن تفعلي. ولكن تلاحظين إلى أين يقودنا ذلك. السيدة أرجيل، برغم ما قالته لك"، نظر إلى ليو واستطرد قائلًا: "لابد أنها أعطته المال بنفسها".

"لا أستطيع تصديق ذلك. لماذا لم تخبرني لو أنها فعلت ذلك؟".

"ليست أول أم تتهاون مع ابنها وتتردد في الاعتراف بذلك".

"أنت مخطئ، يا هويش. لم تعتد زوجتي التهرب مطلقًا".

قالت جويندا فوجان: "أظن أنها فعلتها هذه المرة. في الواقع، لابد أنها فعلتها ... كما يقول رئيس المحققين ، هذه هي الإجابة الوحيدة".

قال هويش برفق: "وعلى أية حال، يجب أن نعيد النظر إلى القضية برمتها من وجهة نظر مختلفة الآن. في الوقت الذي تم إلقاء القبض على جاك أرجيل، ظننا أنه كان يكذب. ولكن الآن، لقد اكتشفنا أنه قال الحقيقة بشأن توصيل كالجري له بسيارته، ومن ثم فإننا نفترض أنه قال الحقيقة أيضًا بشأن المال. لقد قال إن والدته أعطته إياه. ومن ثم، فهي قد فعلت على الأرجح".

ساد الصمت ... صمت غير مريح.

نهض هويش وقال: "حسنًا، شكرًا لكم. أخشى أن أقول لكم إن القضية ينقصها الأدلة بسبب مرور كل هذا الوقت عليها، ولكن لا يستطيع أحد أن يجزم".

اصطحبه ليو إلى الباب. وحين عاد إليهم تنهد قائلًا: "حسنًا، لقد انتهى كل هذا حتى اللحظة الراهنة".

قالت كريستين: "لن يعرفوا أبدًا".

صاحت هيستر: "ما فائدة كل هذا بالنسبة لنا؟".

توجه إليها والدها قائلًا: "عزيزتي. اهدئي يا طفلتي. لا تتوتري هكذا. الوقت كفيل بمعالجة كل شيء".

"ليس كل شيء. ماذا سنفعل؟ أوه، ماذا سنفعل؟".

قالت كريستي وهي تضع يدها على كتف هيستر: "هيستر، تعالي معي".

ركضت هيستر خارج الغرفة: "لا أريد أحدًا". بعد دقيقة سمعوا الباب الأمامي يُصْفَق.

قالت كريستي: "ما هذا؟ إن هذا يضرها".

قال فيليب دورانت متأملًا: "لا أظن أن هذا صحيح حقًا".

تساءلت جويندا: "ما هو غير الصحيح؟".

"إننا لن نعرف أبدًا الحقيقة ... أشعر بوخز في أناملي".

أشرق وجهه - الأشبه بوجه شرير ومزعج - بابتسامة غريبة.

قالت تينا: "من فضلك يا فيليب كن حذرًا".

نظر إليها في دهشة.

"تينا الصغيرة. وماذا تعرفين عن الأمر برمته؟".

قالت تينا بحرص بالغ وبوضوح شديد: "أتمنى ألا أعرف أي شيء".

الرابع عشر

1

قال رئيس الشرطة: "لا أظن أنك توصلت لشيء؟".

قال هويش: "لا شيء محدد، يا سيدي. ومع ذلك ... الوقت لم يضع هباءً".

"دعني أسمع كل شيء".

"حسنًا، كانت المواعيد والافتراضات الأساسية واحدة. كانت السيدة أرجيل على قيد الحياة قبل الساعة السابعة، تحدثت إلى زوجها وجويندا فوجان، ثم رأتها هيستر أرجيل بعد ذلك في الطابق السفلي. لا يمكن أن يتعاون ثلاثة أشخاص على تضليلنا. كان جاكو أرجيل محقًا فيما قال، وهذا يعني أنها ربما تكون قد قتلت على يد زوجها، في أي وقت ما بين السابعة وخمس دقائق والسابعة والنصف، أو على يد جويندا فوجان الساعة السابعة وخمس دقائق وهي في طريقها إلى الخارج، أو على يد هيستر قبل هذا الوقت، أو على يد كريستين ليندستروم حين عادت إلى المنزل فيما بعد ... قبل السابعة والنصف. إصابة دورانت بالشلل دليل على براءته، ولكن براءة زوجته تتوقف على شهادته وحديثه. ربما كان بإمكانها أن تنزل إلى الطابق السفلي وتقتل والدتها إن أرادت ذلك بين الساعة السابعة والسابعة والنصف إن كان زوجها على استعداد للتستر عليها. رغم أنني لا أعرف السبب الذي يدفعها لارتكاب هذه الجريمة. في الواقع، وعلى حد فهمي، هناك شخصان فقط لديهما دافع حقيقي لارتكاب الجريمة. ليو أرجيل وجويندا فوجان".

"هل تظن أن واحداً منهما ... أو كليهما معًا؟".

"لا أظن أنهما كانا معًا. كما فهمت، كانت جريمة من وحي اللحظة ... ليست مدبرة. السيدة أرجيل دخلت المكتبة، وأخبرتهما بتهديدات جاكو ومطالباته للمال. ولنفترض أن في وقت لاحق، نزل ليو أرجيل إلى الطابق السفلي وتحدث إليها بشأن جاكو أو أي شيء آخر. كان المنزل هادئًا، وليس هناك أحد قريب في المكان. دخل إلى غرفة الجلوس الخاصة بها. هناك كانت تجلس، معطية ظهرها إليه، على المكتب. وكان القضيب الحديدي، كما ألقاه جاكو على الأرض بعد أن هددها. أحيانًا ينهار هؤلاء الرجال المكبوتون الهادئون. لقد أخذ القضيب من على الأرض مستخدمًا منديلًا حتى لا يترك بصمة أصابعه وهوى به على رأسها وأجهز عليها، ثم فتح درجًا أو درجين ليوحي

بأن الجاني كان يبحث عن المال. ثم صعد إلى الطابق العلوي مرة أخرى حتى يكتشفها أحدهم. أو لنفترض أن جويندا فوجان في طريقها إلى الخارج دخلت إلى الغرفة وتملكتها رغبة جامحة. هكذا، سيكون جاكو كبش الفداء المثالي، وسيمهد لها الطريق للزواج من ليو أرجيل".

أطرق الميجور فيني متأملًا، ثم قال:

"أجل. ربما يكون الأمر كذلك. وبالتأكيد سيحرصان على عدم إعلان خطبتهما بسرعة؛ ليس قبل أن يُدان جاكو المسكين بالجريمة. أجل، هذا يبدو معقولًا تمامًا. تُرتكب الجرائم بطرق متشابهة جدًا. زوج وطرف ثالث، زوجة وطرف ثالث ... النمط التقليدي المألوف. ولكن ما الذي يمكننا أن نفعله إزاء هذا الأمر، يا هويش؟ ما الذي يمكننا أن نفعله إزاء هذا الأمر؟".

قال هويش ببطء: "لا أعرف، يا سيدي، ما الذي يمكننا القيام به. لعلنا نتأكد ... ولكن أين الأدلة؟ ليس هناك ما يدعمنا أمام المحكمة".

"لا ... لا. ولكنك متأكد، يا هويش؟ متأكد في قرارة نفسك؟".

قال رئيس المحققين هويش في حزن: "لست متأكدًا مثلما أتمنى أن أكون".

"أوه! ولِمَ لا؟".

"شخصية ذلك الرجل ... أقصد السيد أرجيل".

"ليس الشخصية التي ترتكب جريمة قتل؟".

"ليس الأمر كذلك بالضبط ... ليس الأمر متعلقًا بجريمة القتل. الأمر متعلق بالصبي. لا أراه يتعمد تلفيق الجريمة للصبي".

"تذكر أنه ليس ابنه. لعله لا يهتم كثيرًا بشأن الصبي ... لعله مستاء من الحب الذي أغدقته به زوجته".

رد هويش: "ربما كان الأمر كذلك. ومع ذلك، يبدو أنه يحب الأولاد جميعهم حبًا جمًا. يبدو مغرمًا بهم".

قال فيني مفكرًا: "بالتأكيد. كان يعرف أن الصبي لن يتم شنقه ... لعل هذا يحدث فارقًا".

"أوه، ربما تكون محقًا، يا سيدي. لعله كان يظن أن قضاء عشر سنوات في السجن - وهي أقل عقوبة للسجن مدى الحياة - لن يضر الصبي".

"وماذا عن الشابة ... جويندا فوجان؟".

قال هويش: "لو أنها فعلتها، لا أظن أنها ستعاني تأنيب الضمير حيال جاكو. النساء

يتسمن بالقسوة".

"على أية حال، أنت مقتنع تمامًا بحصر الشبهات في هذين الاثنين؟".

"أجل، مقتنع تمامًا".

تساءل رئيس الشرطة في إصرار: "لا أكثر من ذلك؟".

"لا. هناك شيء ما يحدث. في الخفاء، إن جاز التعبير".

"وَضّح الأمر أكثر، يا هويش".

"ما أود حقًا معرفته هو رأي أفراد الأسرة أنفسهم. رأيهم في بعضهم".

"أوه، فهمتك الآن. أنت تتساءل ما إذا كانوا يعرفون الجاني بالفعل؟".

"أجل، لا أستطيع أن أتخذ قراراً في هذا الصدد. هل يعرفون جميعًا؟ وهل يوافقون جميعًا على التكتم على الأمر؟ لا أظن ذلك. لعلهم جميعًا لديهم آراء مختلفة. هناك السيدة السويدية ... إنها متوترة للغاية. منفعلة وعصبية. ربما هذا لأنها ارتكبت الجريمة. إنها في السن التي تفقد فيه النساء صوابهن قليلًا بطريقة أو أخرى. قد تكون خائفة على نفسها. لديّ انطباع معين، وربما أكون مخطئًا فيه، لعلها فعلتها من أجل شخص آخر".

"ليو؟".

"لا، لا أظن أنه ليو، لقد يئست من الأمر. أظن أنها فعلتها من أجل الصغيرة ... هيستر".

"هيستر؟! هل هناك أي احتمال بأن تكون هيستر هي الجاني؟".

"ليس هناك دافع ظاهري. ولكنها شخصية انفعالية، لعلها شخصية غير متوازنة قليلًا".

"وربما تعرف ليندستروم أكثر مما نعرف نحن عن الفتاة".

"أجل، ثم إن هناك الصغيرة السمراء التي تعمل في مكتبة المقاطعة".

"لم تكن متواجدة في المنزل في تلك الليلة، أليس كذلك؟".

"نعم، ولكني أعتقد أنها تعرف شيئًا. ربما تعرف من فعلها".

"تخمين؟ أم معرفة؟".

"إنها قلقة. لا أظن أنه مجرد تخمين".

واستطرد قائلًا: "وهناك الفتى الآخر. ميكي. لم يكن متواجداً أيضًا، ولكنه خرج

بسيارة، ولم يكن معه أحد. قال إنه كان يجرب سيارة ناحية المروج وتلة مينشين. ليس لدينا شيء سوى أقواله. كان بإمكانه أن يقود السيارة ويأتي إلى المنزل ويقتلها ثم يرحل مرة أخرى. لقد قالت جويندا فوجان شيئًا لم تذكره في شهادتها الأصلية. قالت إن سيارة مرت بها، عند مدخل الشارع الخاص. هناك أربعة عشر منزلًا في هذا الشارع، ومن ثم ربما كانت السيارة في طريقها إلى أي منزل من هذه المنازل ولن يتذكر أحد بعد مرور عامين ... ولكن هذا يعني وجود احتمال بأن هذه السيارة كانت سيارة ميكي".

"ولماذا يرغب في قتل أمه بالكفالة؟".

"ليس هناك سبب نعرفه ... ولكن ربما يكون هناك سبب بالفعل".

"ومن بإمكانه أن يعرف؟".

قال هويش: "ربما الجميع يعرفون؛ ولكنهم لن يخبرونا. أقصد أنهم لن يخبرونا إلا بغير قصد منهم".

قال الميجور فيني: "الآن أدركت نيتك الخبيثة. من الذي ستعمل عليه؟".

"أظن ليندستروم. إذا استطعت أن أهاجم خطوط دفاعها، كما أنني آمل اكتشاف ما إذا كانت تحمل ضغينة تجاه السيدة أرجيل".

أضاف قائلًا: "وهناك الرجل العاجز. فيليب دورانت".

"ماذا عنه؟".

"حسنًا، أظن أن لديه بعض الأفكار بشأن الأمر. لا أظن أنه سيرغب في مشاركتنا إياها، ولكن لعلني أستطيع معرفة الطريقة التي يفكر بها. إنه رجل ذكي، والحق يُقال إنه دقيق الملاحظة. ربما قد لاحظ شيئًا أو شيئين مثيرين للاهتمام".

2

"هيا يا تينا دعينا نخرج لنستنشق بعض الهواء".

نظرت تينا إلى ميكي في ريبة وقالت: "هواء؟ ولكن الجو بارد، يا ميكي". ارتعشت قليلًا.

"أعتقد أنك تكرهين الهواء المنعش، يا تينا. ولهذا السبب تستطيعين تحمل حبستك في تلك المكتبة طوال اليوم".

ابتسمت تينا.

وقالت: "لا أعبأ بالحبسة في فصل الشتاء. الجو في المكتبة لطيف ودافئ".

نظر إليها ميكي.

"وهناك تجلسين تتكومين على نفسك مثل هرة صغيرة تلتمس الدفء أمام المدفأة. ولكن من المفيد أن تخرجي. هيا، يا تينا. أريد أن أتحدث إليك. أريد أن ... أوه، أريد استنشاق الهواء المنعش، وأنسى كل هذه التحقيقات اللعينة".

قامت تينا من مقعدها بحركة متكاسلة ورشيقة مثل الهرة التي قارنها بها ميكي توًا.

في الرواق، لفت نفسها بمعطف صوفي ذي ياقة فرو ثم خرجا معًا.

"ألن ترتدي معطفًا، يا ميكي؟".

"نعم. إنني لا أشعر بالبرد على الإطلاق".

قالت تينا في لطف: "جررر! كم أكره هذا البلد في فصل الشتاء، أود أن أسافر إلى الخارج. أود أن أسافر إلى مكان تسطع فيه الشمس دائمًا؛ حيث يكون الجو نديًا ورطبًا ودافئًا".

قال ميكي: "لقد عرضوا عليّ وظيفة في الخليج العربي لدى واحدة من شركات البترول. الوظيفة عبارة عن متابعة لوسائل النقل".

"هل ستسافر؟".

"كلا، لا أظن ذلك ... ما فائدتها؟".

توجها إلى خلف المنزل واتخذا طريقًا متعرجًا بين الأشجار يفضي في نهايته إلى ضفة النهر. وفي منتصف الطريق كان هناك كوخ صيفي صغير في منأى عن الرياح. لم يجلسا على الفور، ولكن ظلا واقفين أمامه، يحدقان إلى النهر.

قال ميكي: "المكان جميل هنا، أليس كذلك؟".

تطلعت تينا إلى المنظر الطبيعي بعينين غير مباليتين.

قالت: "أجل، أجل، ربما هو كذلك".

قال ميكي وهو ينظر إليها بحب: "ولكنك لا تعرفين حقًا، أليس كذلك؟ أنت لا تدركين الجمال، يا تينا، لم تدركيه قط".

قالت تينا: "لا أتذكر طوال السنوات التي عشناها هنا أنك استمتعت بجمال هذا المكان. كنت دومًا غاضبًا، تشتاق إلى العودة إلى لندن".

قال ميكي باقتضاب: "كان هذا مختلفاً. لم أكن أنتمي إلى هذا المكان".

قالت تينا: "هل هذا ما يهم حقًا؟ أنت لا تنتمي لأي مكان".

قال ميكي بنبرة متفاجئة: "أنا لا أنتمي لأي مكان، ربما هذا صحيح. يا إلهي! يا لها من فكرة مخيفة يا تينا! هل تذكرين تلك الأغنية القديمة؟ الأغنية التي اعتادت كريستي أن تغنيها لنا. شيء بخصوص حمامة. أيتها الحمامة الجميلة، أيتها الحمامة الأسيرة، أيتها الحمامة ذات الصدر الأبيض. هل تذكرينها؟".

هزت تينا رأسها بالنفي.

"ربما كانت تغنيها لك، ولكني .. كلا، لا أتذكرها".

واصل ميكي كلامه ما بين نبرة حديث ونبرة دندنة.

"أوه، يا أعز الفتيات، لست هنا. ليس لي مكان، ولا دور، متعمق أكثر في البحار لا الشواطئ، ولكني بداخل قلبك". نظر إلى تينا وقال: "أظن أن هذا قد يكون صحيحاً".

وضعت تينا يدها الصغيرة على ذراعه.

وقالت: "تعال، يا ميكي، نجلس هنا بعيداً عن الرياح. الجو ليس بارداً جداً هنا".

وبينما كان يمتثل لرغبتها، استطردت قائلة:

"هل تفرض على نفسك الحزن دوماً؟".

"فتاتي العزيزة، أنت لا تفهمين شيئًا عن هذا الأمر".

قالت تينا: "بلى، أفهم الكثير. لماذا لا يمكنك نسيانها، يا ميكي؟".

"أنساها؟ عمن تتحدثين؟".

قالت تينا: "عن أمك".

قال ميكي بمرارة: "أنساها! هل هناك فرصة لنسيانها بعد كل ما حدث صباح هذا اليوم ... بعد التحقيقات! إذا ما قُتل أحدهم، فإنهم لن يدعوك "تنسينها"!".

قالت تينا: "لا أقصد ذلك. أقصد أمك الحقيقية".

"لماذا أفكر فيها؟ لم أرها مطلقاً منذ أن كنت في السادسة من عمري".

"ولكن أنت تفكر فيها فعلًا، يا ميكي. طوال الوقت".

"هل أخبرتك بذلك من قبل؟".

قالت تينا: "أحيانًا يدرك المرء هذه الأشياء".

التفت ميكي ونظر إليها.

"يا لك من مخلوقة رقيقة وهادئة، يا تينا. مثل قطة صغيرة سوداء. أود أن أمسد على فرائك الآن. قطة لطيفة! قطة صغيرة وجميلة!"، مسد بيده على كم معطفها.

ابتسمت تينا له وهي لا تزال جالسة بلا حراك. قال ميكي:

"لم تكرهينها، أليس كذلك يا تينا؟ كنا نكرهها جميعًا".

قالت تينا: "كان هذا قاسيًا". هزت رأسها بحماس بعض الشيء. ثم استطردت قائلة: "انظر ماذا منحتك إياه، ما منحته لنا جميعًا. المنزل، الدفء، الإحسان، الطعام الجيد، الألعاب، الخدم يعتنون بك ويحمونك ...".

قال ميكي في نفاد صبر: "أجل، أجل، صحون الكريمة والكثير من التدليل. هذا كل ما تريدينه أيتها القطة الصغيرة، أليس كذلك؟".

قالت تينا: "كنت ممتنة لذلك، ولم يكن أحد منكم ممتنًا".

"ألا تفهمين، يا تينا، لا يستطيع المرء أن يكون ممتنًا حين يفرض عليه ذلك؟ هذا يجعل الأمور تسوء أحيانًا، أقصد واجب الشعور بالامتنان. لم أكن راغبًا في المجيء إلى هنا. لم أكن راغبًا في الحصول على سبل الراحة والترف. لم أكن راغبًا في البعد عن منزلي".

أشارت تينا قائلة: "ربما كنت لتقصف بقنبلة. ربما كنت لتقتل".

"وما المشكلة في ذلك؟ لم أكن أبالي بمقتلي. كنت سأُقتل في مكاني وسط أهلي؛ حيث أنتمي. ها نحن قد عدنا إلى النقطة نفسها. ليس هناك شيء أسوأ من عدم الانتماء. ولكنك لا تهتمين بشيء سوى الأشياء المادية، أيتها القطة الصغيرة".

قالت تينا: "ربما هذا صحيح نوعًا ما. ربما لهذا السبب لا ينتابني الشعور الذي ينتابكم جميعًا. لا أشعر بذلك الاستياء الغريب الذي يبدو على معظمكم، يا ميكي. كان من السهل بالنسبة لي أن أشعر بالامتنان لأنني - كما ترى - لم أرغب في أن أكون على طبيعتي. أردت أن أكون إنسانة أخرى. ولقد جعلتني إنسانة أخرى. لقد جعلتني كريستينا أرجيل ومنحتني بيتًا وحبًا، وأمنًا، وأمانًا. أحببت أمي لأنها أعطتني كل هذه الأشياء".

"وماذا عن أمك الحقيقية؟ ألم تفكري فيها قط؟".

"ولم ينبغي أن أفعل؟ لا أكاد أتذكرها. أتذكر أن عمري لم يتعد السنوات الثلاث حين جئت إلى هنا. كنت أخاف ... أفزع منها دومًا. كل هذه المشاحنات الصاخبة مع البحارة، وهي نفسها ... على ما أظن؛ حيث إنني كنت أبلغ من العمر ما يكفي لأتذكر أنها كانت ثملة معظم الوقت". كانت تينا تتحدث بنبرة موضوعية مذهولة. ثم استطردت قائلة: "كلا، أنا لا أفكر فيها أو أتذكرها. كانت السيدة أرجيل هي أمي. وهذا هو بيتي".

قال ميكي: "الأمر سهل للغاية بالنسبة لك، يا تينا".

"ولماذا يمثل لك صعوبة؟ لأنك أنت من جعله صعبًا! أنت لم تكن تكره السيدة أرجيل، يا ميكي، بل كنت تكره أمك الحقيقية. أجل، أعرف أن ما أقوله صحيح. وإن كنت قد قتلت السيدة أرجيل، وربما تكون فعلتها حقًا، فأنت أردت أن تقتل أمك الحقيقية".

"تينا! ما الذي تتحدثين عنه بحق الله؟".

واصلت تينا بنبرة هادئة: "والآن، لم يعد هناك من تكرهه. وهذا يجعلك تشعر بالوحدة، أليس كذلك؟ ولكن يجب أن تتعلم أن تعيش بدون كره، يا ميكي. ربما يكون صعبًا، ولكن يمكنك أن تفعل هذا".

"لا أعرف ما الذي تتحدثين عنه. ما الذي تقصدينه بقولك إنني ربما أكون قتلتها؟ تعرفين جيدًا أنني لم أكن متواجدًا هنا في ذلك اليوم. كنت أجرب سيارة أحد العملاء على طريق مور، بالقرب من تل مينشين".

قالت تينا: "حقًا؟".

قامت من مقعدها وسارت إلى الأمام حتى وقفت عند تلة مرتفعة من عندها تستطيع رؤية النهر في الأسفل.

جاء ميكي خلفها متسائلًا: "ما الذي تنظرين إليه، يا تينا؟".

أشارت تينا إلى الضفة المقابلة.

"من هذان الاثنان؟".

حدق ميكي بنظرة يملؤها الفضول.

قال: "أظن أنهما هيستر والطبيب دون كريج. ولكن تينا، ما الذي تقصدينه؟ بحق الله لا تقفي عند الحافة هكذا".

"لماذا؟... هل تريد أن تدفعني إلى الأمام؟ يمكنك أن تفعل ذلك. أنا ضئيلة البنية كما تعرف".

قال ميكي بصوت أجش:

"لماذا تقولين إنني ربما كنت متواجدًا هنا في تلك الليلة؟".

لم ترد عليه تينا. والتفتت وسارت عائدة إلى الطريق المؤدي إلى المنزل.

"تينا!".

قالت تينا بنبرة هادئة ورقيقة:

"أنا قلقة، يا ميكي. أنا قلقة جداً على هيستر ودون كريج".

"لا تقلقي بشأنهما".

"ولكني قلقة فعلًا بشأنهما. أخشى أن تكون هيستر حزينة جداً".

"لسنا بصدد الحديث عنهما".

"ولكني أتحدث عنهما وأهتم بأمرهما".

"هل تعتقدين، يا تينا، أنني كنت هنا في تلك الليلة التي قُتلت فيها أمنا؟".

لم ترد تينا.

"إنك لم تقولي شيئًا حينئذ".

"ولم ينبغي أن أفعل؟ ليس من الضروري أن أقول. أقصد أنه من الواضح جداً أن جاكو قد قتلها".

"والآن من الواضح أيضًا أن جاكو لم يقتلها".

أومأت تينا مرة أخرى برأسها.

تساءل ميكي: "ثم؟ ثم؟".

لم ترد عليه، وواصلت السير عائدة إلى الطريق المؤدي إلى المنزل.

3

على الضفة المقابلة، كانت هيستر تجر قدميها على الرمال.

قالت: "لا أرى شيئًا يستحق الحديث عنه".

قال دون كريج: "يجب أن تتحدثي عن الأمر".

"لا أرى السبب ... التحدث عن شيء لن يفيد أبدًا ... لن يحسن هذا من الوضع مطلقًا".

"لعلك تخبريني على الأقل بما حدث صباح اليوم".

قالت هيستر: "لا شيء".

"ماذا تقصدين ... بلا شيء؟ لقد جاءت الشرطة، أليس كذلك؟".

"بلى، جاءوا".

"حسنًا، إذن، هل استجوبوكم جميعًا؟".

ردت هيستر: "أجل، استجوبونا".

"ما نوعية الأسئلة؟".

قالت هيستر: "الأسئلة المعتادة. الأسئلة نفسها التي سبق أن طروحها من قبل. أين كنتم وماذا فعلتم ومتى رأينا أمنا على قيد الحياة آخر مرة. حقًا، يا دون لا أريد أن أتحدث عن هذا الأمر. لقد انتهى كل شيء".

"لم ينتهِ يا عزيزتي. هذه هي النقطة الأساسية".

قالت هيستر: "لا أرى سبب اهتمامك بالأمر. لا شأن لك بهذا".

"عزيزتي، أريد أن أساعدك. ألا تفهمين ذلك؟".

"حسنًا، الحديث عن الأمر لا يساعدني. أنا أود أن أنسى. إلا إذا كنت ستساعدني على النسيان، فهذا سيحدث فارقًا".

"عزيزتي هيستر ليس من المفيد التهرب من المشاكل. يجب أن تواجهيها".

"كنت أواجهها، كما قلت، صباح اليوم".

"هيستر، أنا أحبك. أنت تعرفين ذلك، أليس كذلك؟".

قالت هيستر: "أظن ذلك".

"ماذا تقصدين بأنك تظنين ذلك؟".

"مواصلة الحديث في هذه النقطة مراراً وتكراراً".

"ولكن يجب أن أفعل ذلك".

"لا أرى سببًا لهذا. لست شرطيًا".

"من كان آخر شخص رأى أمك على قيد الحياة؟".

قالت هيستر: "أنا".

"أعرف ذلك. كان هذا قبل الساعة السابعة، أليس كذلك، قبل أن تخرجي لمقابلتي؟".

قالت هيستر: "قبل أن أخرج إلى درايماوث .... إلى المسرح".

"حسنًا، كنت في المسرح، أليس كذلك؟".

"بلى، بالتأكيد كنت هناك".

"كنت تعرفين حينها أنني أحبك، يا هيستر؟".

قالت هيستر: "لم أكن متأكدة. لم أكن متأكدة حينئذ أنني بدأت أحبك".

"ليس لديك أدنى سبب للتخلص من والدتك، أليس كذلك؟".

قالت هيستر: "نعم، ليس تمامًا".

"ماذا تقصدين بقولك هذا؟".

قالت هيستر بنبرة فيها إقرار بواقع: "كثيرًا ما كنت أفكر في قتلها. اعتدت أن أقول "أتمنى لو تموت، أتمنى لو تموت" وأحيانًا أضيف: "اعتدت أن أحلم بأني أقتلها"".

"بأية طريقة تقتلينها في حلمك؟".

لدقيقة لم يعد دون كريج يتحدث معها كحبيب، بل كطبيب شاب مهتم بالنقطة التي تتحدث فيها.

قالت هيستر بنبرة مرحة: "أحيانًا أطلق عليها النار، وأحيانًا أخرى أضربها على رأسها".

امتعض وجه الدكتور كريج.

قالت هيستر: "كان هذا مجرد حلم. عادة ما أكون عنيفة جدًا في الأحلام".

أخذ الشاب يديها بين يده وقال: "اسمعي، يا هيستر. يجب أن تخبريني بالحقيقة. يجب أن تثقي بي".

قالت هيستر: "لا أفهم ماذا تقصد".

"الحقيقة يا هيستر. أريد الحقيقة. أنا أحبك ... وسأقف بجانبك. إن ... إن كنت قد قتلتها ... أظن أن بإمكاني البحث عن الأسباب. لا أعتقد أنها ستكون غلطتك. هل تفهمين ذلك؟ بالتأكيد، لن أتوجه إلى الشرطة أبدًا لأبلغ عنك. سيكون الأمر بيني وبينك فقط. لن يعاني شخص آخر. سيموت الموضوع بسبب الافتقار إلى الأدلة. ولكن يجب أن أعرف". شدد على كلمته الأخيرة بقوة.

نظرت إليه هيستر. كانت عيناها واسعتين خاليتين من الارتباك.

قالت: "ماذا تريدني أن أقوله؟".

"أريدك أن تخبريني بالحقيقة".

"تعتقد أنك تعرف الحقيقة بالفعل، أليس كذلك؟ تعتقد أنني ... أنني قتلتها".

"هيستر، حبيبتي، لا تنظري إليّ هكذا". أمسك بكتفيها وهزها برفق. واستطرد قائلًا: "أنا طبيب. أعرف الأسباب وراء ذلك. أعرف أن الناس لا يستطيعون دومًا تحمل المسئولية عن تصرفاتهم. أعرف من تكونين ... رقيقة ومحبوبة ذات جوهر نقي. سوف أساعدك. سأعتني بك. وسنتزوج وسنكون سعداء. لن تشعري أبدًا بالضياع والاضطهاد والرفض. التصرفات التي نقدم عليها أحيانًا تنبع من أسباب لا يفهمها معظم الناس".

قالت هيستر: "هذا أشبه بما كنا نقوله عن جاكو، أليس كذلك؟".

"انسي جاكو. أنا أفكر فيكِ. أحبك جدًا، يا هيستر، ولكن يجب أن أعرف الحقيقة".

قالت هيستر: "الحقيقة؟".

ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة بطيئة.

"من فضلك، يا حبيبتي".

التفتت هيستر ونظرت إليه.

"ها هي جويندا تنادي. لابد أن وقت الغداء قد حان".

"هيستر!".

"هل ستصدقني لو قلت لك إنني لم أقتلها؟".

"بالتأكيد، سأ... سأصدقك".

قالت هيستر: "لا أظن أنك ستفعل".

ابتعدت في حدة عنه وبدأت تركض في الطريق المؤدي إلى المنزل. شرع في اللحاق بها، ولكنه تراجع.

قال دونالد كريج: "أوه، تبًا، تبًا!".

الخامس عشر

قال فيليب دورانت بنبرة متضايقة تبدي الانفعال: "ولكني لا أريد العودة إلى المنزل الآن".

"لكن، فيليب، لم يعد هناك سبب للبقاء هنا. أقصد أننا جئنا لمقابلة السيد مارشال ومناقشة الأمر، وانتظرنا استجواب الشرطة. ولكن الآن، ليس هناك شيء يمنعنا من العودة إلى المنزل على الفور".

قال فيليب: "أظن أن أباك سعيد جداً ببقائنا بعض الوقت. إنه يحب أن يجد من يلعب معه الشطرنج في المساء. أشهد له بأنه بارع جداً في لعبة الشطرنج. أظن أنني لست لاعباً سيئاً، ولكني لا أستطيع التغلب عليه أبداً".

قالت ماري باقتضاب: "يستطيع أبي أن يجد شخصاً آخر ليلعب معه الشطرنج".

"ماذا ... هل يطلب أحداً من الجمعية النسائية؟".

قالت ماري: "وعلى أية حال، يجب أن نعود إلى المنزل. غداً موعد السيدة كاردين لتلميع النحاس".

قال فيليب وهو يضحك: "بولي، ربة المنزل المثالية! على أية حال السيدة فلانة - أياً كان اسمها - يمكنها أن تلمع النحاس في غيابك، أليس كذلك؟ أو إن لم تستطع، أرسلي لها برقية وأخبريها بأن تتركه ليصدأ حتى الأسبوع المقبل".

قالت ماري: "أنت لا تفقه شيئاً في الأعمال المنزلية، يا فيليب، ولا تفهم مدى صعوبتها".

رد فيليب: "لا أرى أن أياً منها صعب ما لم تجعلها هكذا. على أية حال، أريد أن نمكث هنا".

تساءلت ماري: "ولكن لماذا؟".

رد فيليب: "إنه موحش جداً، وبائس جداً... وكل ما يحدث هنا. جريمة القتل وكل شيء".

وواصل قائلاً: "هيا، يا بولي، لا تقولي لي إنك قلقة بشأن أمور كهذه. أنا متأكد أنك لم تنزعجي من جريمة القتل. كلا، أنت ترغبين في العودة إلى المنزل لأنك ترغبين في الاعتناء بالنحاس وتنظيف المكان والتأكد من أن العثة لم تخترق معطفك

الفرو ..."

قالت ماري: "العثة لا تخترق المعاطف الفرو في الشتاء".

"حسنًا، أنت تعرفين ماذا أقصد، يا بولي. الفكرة العامة... ولكنك تفهمين على أية حال ... أرى أن الأمور هنا ممتعة أكثر".

بدت على ماري الصدمة والألم: "ممتعة أكثر من أن نكون في بيتنا؟".

نظر فيليب إليها سريعًا.

"آسف، يا حبيبتي. إنني لم أحسن التعبير. طبعًا ليس هناك ما هو أجمل من بيتنا، وأنت تجعلينه جميلًا حقًا. مريحًا، مرتبًا، جذابًا. كما تلاحظين ... سيكون الأمر مختلفًا تمامًا لو ... لو أنني كنت كما سابق عهدي. أقصد، لو أن لديّ كثيرًا من الأشياء لأقوم بها طوال اليوم، لو أنني منشغل بجدول أعمالي. فسيكون من المثالي أن أعود إلى منزلنا، أحدثك عن كل شيء حدث في أثناء اليوم. ولكن الوضع مختلف الآن كما تلاحظين".

قالت ماري: "أوه، أعرف أن الأمر مختلف من هذه الناحية. لا تظن أنني نسيت هذا الأمر قط، يا فيليب. أنا أهتم. أهتم كثيرًا".

قال فيليب: "أجل"، ثم تحدث وهو يكاد يصر على أسنانه قائلًا: "أجل، أنت تبالغين في الاهتمام لدرجة أن هذا أحيانًا يجعلني أهتم أكثر. كل ما أريده هو التسلية ... كلا"، وأشاح بيده ،"لا تخبريني أن بإمكاني التسلية من خلال حل أحاجي الصور والانشغال بالتقنيات الحديثة للعلاج الطبيعي وانتظار من يأتي لإعطائي العلاج وقراءة عدد لا نهائي من الكتب. أرغب بشدة في الانشغال بشيء ما! وهنا، في هذا المنزل، هناك شيء يشغل المرء".

التقطت ماري أنفاسها وقالت: "فيليب، أنت لم تزل منشغلًا بـ ... بتلك الأفكار الخاصة بك؟".

قال فيليب: "لعبة تخمين شخصية الجاني؟ جريمة القتل، جريمة القتل، من ارتكب جريمة القتل؟ أجل، يا بولي، لست مستبعدة. أرغب بشدة في معرفة من الجاني".

"ولكن لماذا؟ كيف يمكنك أن تعرف؟ إذا اقتحم شخص المنزل أو وجد الباب مفتوحًا ...".

تساءل فيليب: "ما زلت تشغلين نفسك بنظرية الغريب؟ لن يخيل عليّ هذا الأمر، كما تعلمين. لقد حاول مارشال أن يجمل الأمر. ولكنه في الحقيقة كان يحاول أن يساعدنا على حفظ ماء الوجه. لا أحد يصدق تلك النظرية الجميلة. هذا ليس صحيحًا".

قاطعته ماري قائلة: "إذن يجب أن تتأكد، إذا لم تكن النظرية الصحيحة - إذا كان الأمر كما قلت أنت، الجاني من بيننا ـ إذن أنا لا أريد أن أعرف. لماذا يجب أن أعرف؟

أليس من .. أليس من الأفضل ألا نعرف؟".

نظر إليها فيليب دورانت متسائلًا.

"تدفنين رأسك في الرمال، يا بولي؟ ألا يتملكِ الفضول بالفطرة؟".

"لقد أخبرتك بأنني لا أريد أن أعرف! أظن أن هذا مفزع. أريد أن أنسى الأمر ولا أريد أن أفكر فيه".

"ألم تكوني مهتمة بوالدتك بالقدر الذي يجعلك تريدين معرفة من قتلها؟".

"وما فائدة ذلك، ما فائدة معرفة من قتلها؟ على مدار عامين كنا مقتنعين تمامًا بمقتلها على يد جاكو".

قال فيليب: "أجل، كنا جميعًا مقتنعين بطريقة رائعة".

نظرت إليه في تشكك.

"لا ... لا أعرف حقًا ماذا تقصد، يا فيليب".

"ألا تفهمين يا بولي أن هذا الأمر يمثل لي تحديًا بطريقة أو أخرى؟ تحديًا لذكائي؟ لا أقصد أنني كنت متحمسًا لوفاة والدتك بصفة خاصة أو أنني كنت مغرمًا بها بصفة خاصة. لم أكن. لقد فعلت كل ما بوسعها لتمنعكِ من الزواج بي، ورغم ذلك لم أحمل تجاهه أية ضغينة لأنني نجحت في تنفيذ خطة زواجي بك. أليس كذلك، يا فتاتي؟ نعم، ليست الرغبة في الانتقام، ولا حتى الشغف بتحقيق العدالة. أظن أنها ... أجل، الفضول بالأساس، رغم أن هناك جانبًا أفضل من ذلك".

قالت ماري: "هذه أمور ما ينبغي لك أن تقحم نفسك فيها. ليس من المفيد أن تقحم نفسك في هذه الأمور. أوه، فيليب، رجاءً، رجاءً لا تفعل. لنعد إلى البيت وننس الأمر برمته".

قال فيليب: "حسنًا، يمكنك أن تدفعني بالكرسي المتحرك إلى أي مكان تشائين، أليس كذلك؟ ولكني أريد البقاء هنا. ألا ترغبين أحيانًا أن أفعل ما أود أن أفعله؟".

قالت ماري: "أريدك أن تحظى بكل شيء تريده في الدنيا".

ضحك قائلًا: "أنت لا تريدين حقًا، يا حبيبتي. أنت ترغبين في الاعتناء بي مثل طفل صغير بين ذراعيكِ، تعرفين ما هو أفضل بالنسبة لي كل يوم وبكل طريقة ممكنة".

قالت ماري وهي تنظر إليه متشككة:

"لا أعرف أبدًا متى تكون جادًا ومتى تكون غير ذلك".

قال فيليب دورانت: "بعيدًا عن الفضول، يجب أن يكتشف أحدهم الحقيقة، كما تعلمين".

"لماذا؟ ما فائدة ذلك؟ إيداع شخص آخر في السجن. أظن أنها فكرة بغيضة".

قال فيليب: "أنت لا تفهمين تمامًا. لم أقل إنني سأسلم الشخص أيًا ما يكون (وإن اكتشفت من هو) إلى الشرطة. لا أظن أنني سأفعل. بالتأكيد هذا يتوقف على الظروف. وعلى الأرجح ليس من المفيد تسليمه إلى الشرطة؛ لأنني لا أظن أنه قد يكون أية أدلة حقيقية".

قالت ماري: "إذن لو أنه ليست هناك أي أدلة حقيقية، فكيف ستكتشف أي شيء؟".

قال فيليب: "لأن هناك طرقًا عديدة لاكتشاف الأمور، لمعرفتها بوضوح وحسم. وأعتقد أن هذا صار ضروريًا كما تعرفين. الأمور لا تسير على خير ما يرام في هذا المنزل وقريبًا جدًا ستسوء الأمور أكثر".

"ماذا تقصد؟".

"ألم تلاحظي شيئًا، يا بولي؟ ماذا عن أبيكِ وجويندا فوجان؟".

"ماذا عنهما؟ لماذا يرغب والدي أن يتزوج مرة أخرى في هذه السن ..."

قال فيليب: "أستطيع فهم ذلك. على أية حال، لم يحظ والدك بزيجة عادلة. الآن، سنحت له فرصة ليعيش السعادة الحقيقية. سعادة خريف العمر، إن أردت تسميتها كذلك، ولكنها سنحت له. أو هلا قلنا إنه سعيد حقًا. الأمور تسير على خير ما يرام بينهما الآن".

قالت ماري بنبرة غامضة: "أظن أن الأمر كله ..."

قال فيليب: "بالضبط، الأمر كله، الأمر يبعدهما عن بعض كل يوم أكثر. وهناك سببان لذلك على الأرجح. الشك أو الشعور بالذنب".

"الشك في من؟".

"حسنًا، لنفترض أنه شك كل منهما في الآخر. أو الشك من جهة والشعور بالذنب من جهة أخرى والعكس صحيح ... أو كما تشائين تسميتها".

بدا على الفور القليل من الحيوية على أسلوب ماري وقالت: "لا تتصرف هكذا، يا فيليب، أنت تربكني. إذن، أنت تظن أنها جويندا؟ ربما أنت محق. أوه، ستكون نعمة عظيمة لو كانت جويندا هي الجاني".

"جويندا المسكينة. لأنها ليست من الأسرة، هل تقصدين ذلك؟".

قالت ماري: "أجل، أقصد أنه لن يكون الجاني واحدًا من بيننا".

قال فيليب: "هذا كل ما يهمك في الأمر، أليس كذلك؟ كيف سيؤثر ذلك فينا؟".

قالت ماري: "بالطبع".

قال فيليب في ضيق: "بالطبع، بالطبع، المشكلة عندك يا بولي أنكِ تفتقرين إلى الخيال. لا يمكنك أن تضعي نفسك في مكان أحد".

تساءلت ماري: "ولماذا أفعل؟".

قال فيليب: "أجل، ولماذا تفعلين؟ أظن أنني إن كنت صادقًا لقلت من أجل قضاء الوقت. ولكن يمكنني أن أضع نفسي مكان والدكِ، أو مكان جويندا، وإن كان بريئين، فيا له من جحيم! يا له من جحيم أن تجد جويندا نفسها على بعد ذراع من حلمها؛ أن تعرف في قرارة نفسها أنها لن تستطيع الزواج من الرجل الذي تحبه بعد كل هذا. ثم ضعي نفسك مكان والدك. إنه يعرف، ولا يمكنه أن يتجاهل، أن الفتاة التي أحبها لديها فرصة لارتكاب جريمة قتلَ ولديها دافع أيضًا. إنه يأمل ألا تكون قد فعلتها، ألا تكون قد فعلتها، إنه يظن أنها لم تفعلها، ولكنه غير متأكد. والأدهى من ذلك أنه لن يتأكد أبدًا".

قالت ماري: "في هذه السن ..."

قاطعها فيليب في نفاد صبر: "أوه، في هذه السن، في هذه السن، ألا تدركين أن الأمر أسوأ بالنسبة لرجل في هذه السن؟ إنه آخر حب في حياته. وليس من المحتمل أن يحظى بحب آخر. حب متعمق في داخله. ثم انظري إلى الأمر من زاوية أخرى". واستطرد قائلًا: "افترضي أن ليو خرج من غياهب عالمه المنعزل الذي استطاع العيش فيه لوقت طويل جدًا. افترضي أنه هو من أجهز على زوجته بالضرب؟ بإمكان المرء أن يشعر بالأسف على الرجل المسكين، أليس كذلك؟ كلا"، ثم أضاف متأملًا: "يمكنني حقًا أن أتصور ولو للحظة أنه لم يفعل شيئًا كهذا؛ ولكني أشك أن الشرطة ستتصور الشيء نفسه. الآن، بولي، لنسمع وجهات نظرك. من الجاني في رأيك؟".

قالت ماري: "وكيف يمكنني أن أعرف؟".

قال فيليب: "حسنًا، ربما لا يمكنك أن تعرفي، ولكن ربما لديك فكرة جيدة جدًا ... إذا فكرتِ".

"قلت لك إنني أرفض التفكير في الأمر تمامًا".

"أتساءل عن السبب ... أهو مجرد نفور؟ أم أنه - ربما - لأنك تعرفين بالفعل؟ ربما أنت متأكدة تمامًا في قرارة نفسك الهادئة المطمئنة ... متأكدة للحد الذي لا ترغبين في التفكير بالأمر، أم أنك لا تريدين أن تخبريني؟ أتظنين أنها هيستر؟".

"بحق الله، لماذا تريد هيستر أن تقتل أمي؟".

قال فيليب متأملًا: "ليس هناك سبب حقيقي، أليس كذلك؟ ولكن كما تعرفين أن المرء يقرأ عن أشياء كهذه في الصحف. ابن أو ابنة يتم الاعتناء به جيدًا إلى حد التدليل، ثم ذات يوم يحدث شيء صغير وسخيف. يرفض أحد الوالدين المحبين ذهاب

الابن إلى السينما أو شراء حذاء جديد أو الخروج مع الأصدقاء. ليس من الضروري أن يكون شيئًا ذا أهمية بالغة، ولكنه يضرم الشرار، وفجأة تنتاب الفتى المراهق نوبة جنونية ويمسك بفأس أو مطرقة أو قضيب حديدي وعلى الأرجح هذا ما حدث. هناك أمور يصعب تفسيرها ولكنها تحدث. إنها ذروة سلسلة طويلة من الأحداث تؤدي إلى الثورة المكبوتة. وهذا النمط يليق بـ هيستر. كما تلاحظين مشكلة هيستر أن المرء لا يدري ما يدور في رأسها الجميل. بالطبع، هي ضعيفة وهي تكره كونها في حالة ضعف. ووالدتك كانت من نوعية الشخصيات اللاتي يجعلن هيستر تشعر بالضعف. أجل"، قال فيليب وهو يميل إلى الأمام بحماس: "أظن أن بإمكاني صياغة قضية كاملة ضد هيستر".

صاحت ماري: "أوه، هلا توقفت عن الحديث في هذا الموضوع!".

قال فيليب: "أوه، سأتوقف عن الحديث. لن يفيدني الحديث بأي شيء. أليس كذلك؟ على أية حال، يجب أن يقرر المرء نمط الجريمة ويطابق ذلك النمط بكل شخصية من الشخصيات المعنية المختلفة. وحين تتوصلين إلى الطريقة الذي تم بها الأمر، حينئذ تنصبين الشراك وتلاحظين ما إن كانوا سيقعون فيها".

قالت ماري: "هناك أربعة أشخاص فقط في البيت. أنت تتحدث كما لو أن هناك دستة أشخاص أو أكثر. أتفق معك أن أبي لا يمكن أن يكون قد ارتكبها، ومن غير المنطقي أن تظن أن هيستر بإمكانها أن تفعل شيئًا كهذا لأية أسباب حقيقية. ويتبقى لنا كريستي وجويندا".

تساءل فيليب بنبرة ساخرة: "أيهما تفضلين؟" .

قالت ماري: "لا يمكنني تخيل أن كريستي تفعل شيئًا كهذا. هي دومًا صبورة جدًا ودمثة الخلق. مخلصة جدًا لأمي. أظن أنها ربما تتصرف بغرابة فجأة. المرء يسمع عن مثل هذه الأشياء، ولكنها لم تَبْدُ قط غريبة الأطوار".

قال فيليب متأملًا: "كلا، يمكنني قول إن كريستي امرأة عادية جدًا، امرأة تحب الحياة الطبيعية للنساء. وهي تشبه جويندا نوعًا ما، فقط جويندا جميلة وجذابة، بينما كريستي العجوز قبيحة. لا أظن أن أي رجل سينظر في وجهها مرتين. ولكنها تود منه أن يفعل. كان سيروقها أن تحب وتتزوج. فمن السيئ تمامًا أن تولد امرأة تفتقر إلى الجمال والجاذبية، وخاصة إذا لم يعوض ذلك بأية موهبة خاصة أو ذكاء. الحقيقة أنها مكثت هنا طويلًا. كان يجب أن تغادر المنزل بعد انتهاء الحرب، وتواصل عملها كمدلكة. لعلها تصطاد أحد المرضى من الأغنياء كبار السن".

قالت ماري: "أنت مثل جميع الرجال. تظن أن النساء لا يفكرن في شيء سوى الزواج".

ابتسم فيليب.

قال: "مازلت أعتقد أنه الخيار الأول لدى جميع النساء. بالمناسبة ألا تحظى تينا بأية أصدقاء رجال؟".

قالت ماري: "لا أعرف شيئًا عن هذا. ولكنها لا تتحدث كثيراً عن نفسها".

"بلى إنها فأر صغير هادئ، أليس كذلك؟ ليست فاتنة تمامًا ولكنها جميلة جدًا. أتساءل ماذا تعرف عن هذا الموضوع؟".

قالت ماري: "لا أظن أنها تعرف أي شيء".

قال فيليب: "حقًا؟ ولكني أظن غير ذلك".

قالت ماري: "أوه، أنت تتخيل أشياء".

"أنا لا أتخيل هذا. أتعرفين ماذا قالت هذه الفتاة؟ قالت إنها تمنت ألا تعرف أي شيء. يا لها من طريقة فضولية للتصريح بالأمر. أراهن أنها تعرف شيئًا حقًا؟".

"أي نوع من الأشياء؟".

"ربما شيء له علاقة بالموضوع، ولكنها لا تدرك تمامًا تلك العلاقة. أتمنى لو أستطيع معرفة هذا الأمر منها".

"فيليب!".

"لا فائدة، يا بولي. لديّ مهمة في الحياة. لقد أقنعت نفسي بأن التركيز في الأمر هو للصالح العام. الآن، من أين أبدأ؟ أظن أنني سأبدأ من كريستي أولًا؛ فهي إنسانة بسيطة من عدة أوجه".

قالت ماري: "أتمنى .... أو كم أتمنى أن تتخلى عن هذه الفكرة المجنونة وتعود إلى البيت. كنا سعداء جدًا. كل شيء كان يسير على خير ما يرام ...". توقفت عن الكلام وهي تعطيه ظهرها.

قال فيليب: "بولي! هل تهتمين بالأمر جدًا؟ لم أدرك أنك متضايقة للغاية".

التفتت إليه ماري وفي عينيها نظرة أمل.

"إذن، هل ستعود إلى البيت وتنسى الأمر برمته؟".

قال فيليب: "لا أستطيع نسيانه. لا يمكنني فعل شيء سوى الاستمرار في القلق والتفكير والارتباك. على أية حال، دعيني أبقَ هنا حتى نهاية الأسبوع، يا ماري، ثم بعد ذلك، سنرى".

السادس عشر

تساءل ميكي قائلًا: "هل تمانع مكوثي قليلًا، يا أبتي؟".

"كلا، بالطبع لا. أنا سعيد بذلك. ألن تعارض شركتك؟".

قال ميكي: "كلا. لقد اتصلت بهم. لن تتعين عليّ العودة قبل عطلة نهاية الأسبوع. لقد كانوا كرماء بخصوص هذا. ستمكث تينا خلال عطلة نهاية الأسبوع أيضًا".

توجه إلى النافذة، وأطل منها، ثم سار عبر الغرفة ويداه في جيبه محدقًا إلى أرفف الكتب، ثم تحدث بنبرة صوت مخنوق ومرتبك.

قال: "تعرف، يا أبتي، إني أقدر كل شيء فعلته من أجلنا. لقد رأيت مؤخرًا ... حسنًا، لقد رأيت كم كنت ناكرًا للجميل على الدوام".

قال ليو أرجيل: "لم يطلب أحد قط منك الامتنان. أنت ابني، يا ميكي. لطالما اعتبرتك ابنًا لي".

قال ميكي: "يا لها من طريقة غريبة لمعاملة ابنك! إنك لم تحاول قط أن تسيطر عليّ أو تفرض رأيك".

ابتسم ليو أرجيل ابتسامة صغيرة.

وقال: "هل تظن أن هذا هو الدور الوحيد للأب؟ أن يسيطر على أبنائه؟".

قال ميكي: "لا، لا أظن أن الأمر هكذا"، ثم استطرد وهو يتحدث بسرعة قائلًا: "لقد كنت أحمق. أجل، أحمق. كان هذا فكاهيًا نوعًا ما. أتعرف ما الذي أود القيام به، ما الذي أفكر فيه؟ أفكر في الالتحاق بوظيفة في شركة بترول في منطقة الخليج العربي. هذا ما كانت أمي تريد مني أن أفعله ... العمل في شركة بترول. ولكن لم أقبل ذلك حينها! فغادرت على الفور وانطلقت بطريقتي الخاصة".

قال ليو: "كنت في سن أردت فيها أن تختار بنفسك، وكنت تكره فكرة أن يختار أحد أي شيء لك. أنت تتصرف دومًا بهذه الطريقة، يا ميكي. إذا رغبنا في شراء سترة حمراء لك، تصر أنت على السترة الزرقاء، ولكنك ترغب في السترة الحمراء على الأرجح".

قال ميكي ضاحكًا: "هذا صحيح تمامًا. لطالما كنت صبيًا يصعب إرضاؤه".

قال ليو: "هذا هو حال الشباب. يفعل ما يحلو له. يخافون اللجام، السرج، السيطرة. إننا جميعاً ينتابنا هذا الشعور في فترة من فترات حياتنا، ولكن يجب أن نستفيق من هذا في النهاية".

قال ميكي: "أجل، أظن أن الأمر كذلك".

قال ليو: "أنا سعيد جداً أنك توصلت إلى هذه الفكرة من أجل المستقبل. لا أظن - كما تعرف - أن العمل كمندوب مبيعات سيارات يجذب العملاء هو وظيفة مناسبة لك تماماً. لا بأس بها، ولكنها لن تقودك إلى أي مكان".

قال ميكي: "أنا أحب السيارات؛ وأحب أن أحقق أفضل شيء من هذه المهنة. يمكنني القيام بمفاوضات حين اضطر إلى ذلك. أثرثر وأثرثر، كل ما يستلزمه التملق والمداهنة لإقناع العملاء، ولكني لا أستمتع بالحياة؛ فعلى أية حال، هذه الوظيفة متعلقة بوسائل النقل. مراقبة جودة خدمات السيارات. وظيفة مهمة جداً".

قال ليو: "أنت تعرف أن في أي وقت قد ترغب في تمويل أي مشروع لحسابك تظن أنه يستحق الجهد المبذول، فإن المال موجود ومتاح لك. أنت تعرف أمر صندوق الائتمان. أنا على استعداد تام للتصرف في أي مبلغ ضروري طالما أن تفاصيل المشروع تم عرضها وحظيت بالقبول. سنحصل على رأي الخبراء في هذا الشأن. ولكن المال موجود، ومتاح لك إذا أردته".

"شكراً، يا أبتي، ولكني لا أريد أن أتطفل عليك".

"ليس هناك تطفل، يا ميكي، المال يخصك أنت. بالتأكيد سيتم تسليمه إليك مثل الآخرين. كل ما أمتلكه هو سلطة التوزيع، الموعد والكيفية. ولكنه ليس مالي ولن أتفضل عليك به؛ فهو مالك".

قال ميكي: "بلى، هو مال أمي حقًا".

قال ليو: "لقد تأسس الصندوق قبل عدة سنوات".

قال ميكي: "لا أريد هذا المال! لا أريد أن أقربه! لا أستطيع! لا أستطيع، في ظل الوضع القائم". توردت وجنتاه فجأة حين التقت عيناه بعيني والده. قال في حيرة: "لم أقصد ... لم أقصد أن أقول هذا".

قال ليو: "لماذا لا يمكنك الاقتراب منه. لقد تبنيناك. أقصد أننا تحملنا كامل المسئولية تجاهك، من ناحية الأمور المالية وغيرها. كان الأمر مرتبًا لنتخذك ابنًا لنا ونعيلك جيداً طوال حياتك".

كرر ميكي قائلًا: "أريد أن أعتمد على نفسي".

"أجل، أرى أنك تفعل ذلك ... على نحو جيد للغاية، يا ميكي، ولكن إذا غيرت

رأيك، تذكر أن المال في انتظارك".

"شكرًا، يا أبتي. جميل منك أن تتفهم موقفي، أو حتى لو لم تتفهمه، جميل منك أن تتركني أتصرف بطريقتي. أود أن أعبر بطريقة أفضل. كما تلاحظ، لا أريد أن أستغل ... لا أستطيع أن أستغل ... أوه، تبًا! من الصعب للغاية أن أتحدث عن هذا الأمر".

كان هناك صوت طرقات قوية على الباب.

قال ليو أرجيل: "أظن أنه فيليب. هلا فتحت له الباب، يا ميكي".

عبر ميكي الغرفة ليفتح الباب، جاهد فيليب لدفع كرسيه المتحرك ليدخل الغرفة. حيا الاثنين بابتسامة مبهجة.

سأل ليو: "هل أنت مشغول، يا سيدي؟ إن كنت كذلك، أخبرني. سأبقى ساكنًا ولن أقاطعك وسأتصفح الكتب الموجودة على الرف".

قال ليو: "كلا، ليس لدي شيء أقوم به هذا الصباح".

تساءل فيليب: "جويندا ليست هنا؟".

رد ليو: "لقد اتصلت بي وأخبرتني بأنها تعاني صداعًا ولا تستطيع المجيء اليوم". كان صوته خاليًا من التعبيرات.

قال فيليب: "فهمت".

قال ميكي: "حسنًا، سأذهب وأبحث عن تينا. سأخرج في تمشية معها. تلك الفتاة تكره الهواء الطلق".

غادر الغرفة بخطوات خفيفة وواسعة.

تساءل فيليب: "هل حدث تغيير مؤخرًا في شخصية ميكي أم أنني مخطئ؟ ليس ناقمًا على العالم كما هو معتاد، أليس كذلك؟".

قال ليو: "لقد كبر. لقد استغرق وقتًا طويلًا ليكبر".

قال فيليب: "حسنًا، لقد اختار وقتًا غريبًا للفرحة. جلسة أمس مع الشرطة لم تكن مبشرة، ألا تظن ذلك؟".

قال ليو بهدوء: "من المؤلم بالتأكيد أن يُعاد فتح القضية مرة أخرى".

قال فيليب وهو يشق طريقه على طول أرفف الكتب ليسحب كتابًا أو اثنين من دون قصد معين: "فتى مثل ميكي، هل يمكن أن يكون لديه ضمير حي؟".

"هذا سؤال غريب، يا فيليب".

"لا، ليس تمامًا. إنني أتساءل بخصوصه وحسب. كما لو أنه أصم. البعض لا يشعر

بتأنيب الضمير أو الذنب أو الندم على تصرفاته. لم يشعر جاكو بهذا".

قال ليو: "كلا، لم يشعر جاكو بالتأكيد".

قال فيليب: "وأتساءل بخصوص ميكي". ثم صمت لبرهة وواصل كلامه بنبرة محايدة قائلًا: "هل تمانع أن أسألك سؤالًا، يا سيدي؟ ما الذي تعرفه عن خلفيات الأبناء الذين تبنيتهم؟".

"لماذا تريد أن تعرف، يا فيليب؟".

"أظن أن الأمر مجرد فضول. المرء يتساءل - كما تعرف - عن دور عامل الوراثة في مثل هذه الأمور".

لم يجبه ليو. راقبه فيليب بعينين يملؤهما الاهتمام.

ثم قال: "لعلني أضايقك بهذه الأسئلة".

قال ليو وهو يقوم من مقعده: "حسنًا، على أية حال، ولم لا تسألني؟ أنت فرد من الأسرة. إنها أسئلة ذات صلة بالموضوع، ولا يمكن للمرء أن ينكر ذلك. ولكن تبني الأبناء - كما قلت - لم يتم بالأسلوب المعتاد. زوجتك، ماري، تم تبنيها بالطريقة القانونية والرسمية، ولكن الأبناء الآخرين جاءوا إلينا بطريقة غير رسمية. كان جاكو يتيمًا وسلمته إلينا جدته. وقد قُتلت في القصف وبقي هو معنا. كان الأمر بمنتهى البساطة. كان ميكي ابنًا غير شرعي، ولم تكن أمه تهتم بشيء سوى الرجال. كانت تريد مبلغ 100 جنيه مقابل الاستغناء عنه وقد حصلت على المبلغ. لم نعرف مطلقًا ماذا حدث لأم تينا. لم تراسل الطفلة قط، ولم تأتِ لتستردها بعد الحرب، وكان من المستحيل تتبع مسارها ومعرفة مكانها".

"وهيستر؟".

"كانت هيستر ابنة غير شرعية أيضًا. كانت أمها ممرضة شابة أيرلندية تعمل في مستشفى. تزوجت من جندي أمريكي بعد أن جاءت إلينا هيستر. توسلت إلينا أن نحتفظ بالطفلة. ولم تقترح أنها ستخبر زوجها بأي شيء بخصوص طفلتها. سافرت إلى الولايات المتحدة مع زوجها في نهاية الحرب ولم نسمع عنها أي شيء".

قال فيليب: "جميعها قصص مأساوية. جميعهم صغار منبوذون".

قال ليو: "أجل، هذا ما جعل راشيل تحبهم حبًا جمًا. كانت تصر على أن تشعرهم بالحب، أن توفر لهم منزلًا حقيقيًا، وأن تكون لهم أمًا حقيقية".

قال فيليب: "يا له من عمل طيب!".

رد ليو: "ولكن ... ولكن لم يسر الأمر بالضبط كما تمنته فعلًا. كانت مؤمنة بأن رابطة الدم ليست مهمة. ولكن رابطة الدم مهمة فعلًا، كما تعرف. هناك عادة شيء في

أبناء المرء الحقيقيين، شيء من المزاج، شيء من الشعور الذي تدركه وتفهمه من دون أن تعبر عنه بكلمات. لن تحظى برابطة تجاه الأطفال الذين تتبناهم. المرء ليس لديه معرفة فطرية بالأمور التي تدور في ذهنهم. بالتأكيد، أنت تحكم عليهم بنفسك بأفكارك بمشاعرك، ولكن من الحكمة أن تدرك أن هذه الأفكار والمشاعر قد تختلف اختلافًا كبيرًا عن أفكارهم ومشاعرهم".

قال فيليب: "أظن أنك تفهم ذلك".

قال ليو: "لقد حذرت راشيل بشأن هذا، ولكن بالطبع لم تصدقني. لم تكن تريد أن تصدقني. كانت تريد أن تجعلهم أبناءً لها".

قال فيليب: "في رأيي، أنت لا تعرف الكثير عن تينا. ربما أن أحد والديها ليس أبيض البشرة. هل تعرف من والدها؟".

قال ليو بجفاء: "كان بحارًا على ما أظن. ربما بحار هندي. لم تستطع والدتها أن تحدد هويته".

قال فيليب: "المرء لا يعرف كيف يكون رد فعلها على الأمور، أو فيما تفكر. إنها مقلة جدًا في الحديث"، ثم توقف فيليب للحظة ثم أطلق سؤالًا: "ما الذي تعرفه ولا تقوله بخصوص هذا الأمر؟".

رأى يد "ليو أرجيل" تتوقف عن التقليب في الأوراق. ساد الصمت للحظة، ثم قال ليو: "لماذا تعتقد أنها لا تقول كل شيء تعرفه؟".

"هيا، يا سيدي الأمر واضح تمامًا، أليس كذلك؟".

قال ليو: "ليس واضحًا بالنسبة لي".

قال فيليب: "إنها تعرف شيئًا ما. شيئًا مدمرًا بخصوص شخص معين، ألا تظن ذلك؟".

"أظن يا فيليب ـ إذا سمحت لي بأن أقول هذا ـ إنه ليس من الحكمة أن تخمن أشياء غير صحيحة. يسهل على المرء أن يتخيل حدوث أشياء".

"هل تحذرني من الخوض في الموضوع، يا سيدي؟".

"أهو حقًا من شأنك، يا فيليب؟".

"تقصد أنني لست شرطيًا؟".

"أجل، هذا ما أقصده. يجب أن تؤدي الشرطة واجبها. يتعين عليهم أن يحققوا في الأمر".

"ولا تريد أن تحقق في الأمر بنفسك؟".

قال ليو: "ربما أكون خائفاً مما سأتوصل إليه".

تشبثت يدا فيليب بالكرسي وهو يقول برقة:

"لعلك تعرف من الجاني. أليس كذلك يا سيدي؟".

"نعم".

تفاجأ فيليب بسرعة رد ليو وحماسه.

قال ليو وهو يضع يديه على المكتب. وفجأة تخلى عن شخصيته الرقيقة، الضعيفة المنعزلة التي يعرفها فيليب جيداً: "كلا، لا أعرف من الجاني! أتسمعني؟ لا أعرف. وليست لديّ أدنى فكرة. ولا .. ولا أريد أنا أعرف".

السابع عشر

سأل فيليب: "وماذا تفعلين، حبيبتي هيستر؟".

كان فيليب على كرسيه المتحرك يدفع نفسه عبر الرواق، بينما كانت هيستر تميل خارج النافذة ونصف جسدها بالخارج. أجفلت وأدخلت رأسها.

قالت: "هذا أنت".

سألها فيليب: "هل تراقبين الطبيعة أم تفكرين في الانتحار؟".

نظرت إليه في تحدٍّ.

"ما الذي جعلك تقول شيئًا كهذا؟".

قال فيليب: "من الواضح أن هذا الأمر في ذهنك. ولكن بصراحة، يا هيستر، إن كنت تفكرين في هذه الخطوة، فهذه النافذة غير مناسبة. السقوط من هذا الارتفاع ليس كافيًا. فكري كم كان بغيضًا أن تكسري ذراعك أو أقدامك، بدلًا من أن تحظي بنعمة النسيان التي تتوقين لها".

"اعتاد ميكي أن يتسلق شجرة المغنولية من هذه النافذة. كانت هذه هي طريقته السرية للدخول إلى البيت والخروج منه. لم تعرف أمي ذلك قط".

"هناك أشياء لا يعرفها الآباء أبدًا! يستطيع المرء أن يؤلف كتابًا عن هذا الموضوع. ولكن إن كنت تفكرين في الانتحار يا هيستر، من الأفضل أن تقفزي من فوق مكان قريب من الكوخ الصيفي".

"أين المكان المطل على النهر مباشرة؟ أجل، قد يصطدم المرء بالصخور الموجودة بالأسفل!".

"المشكلة بالنسبة لك، يا هيستر، أنك تبالغين في تخيلاتك جدًا. معظم الناس يرضون بحبس أنفسهم بأفران الغاز أو يتعاطون كمية هائلة من الحبوب المنومة".

قالت هيستر على نحو غير متوقع: "أنا سعيدة أنك موجود هنا. هل تمانع أن أتحدث معك في بعض الأمور؟".

قال فيليب: "حسنًا، في الحقيقة، ليس أمامي الكثير لأفعله في هذه الأيام. تعالي إلى غرفتي وسنتحدث كثيراً". ترددت هيستر، بينما استطرد هو قائلًا: "ماري في الطابق

السفلي، ذهبت لتحضر لي طبقًا لذيذًا من صنيع يديها الجميلتين".

قالت هيستر: "لن تفهم ماري".

وافقها الرأي قائلًا: "كلا، لن تفهم ماري أبدًا".

دفع فيليب نفسه على كرسيه وسارت هيستر إلى جانبه. فتحت باب غرفة الجلوس ودفع نفسه على الكرسي المتحرك إلى داخل الغرفة. وتبعته هيستر.

قالت هيستر: "ولكنك تفهم. لماذا؟".

"حسنًا، يأتي وقت، حين يفكر المرء في أمور كهذه ... حين حدث هذا الشيء أول مرة لي، مثلًا، وعرفت أنني ربما أكمل بقية حياتي عاجزًا ...".

قالت هيستر: "أجل، لابد أن هذا الأمر مروع. مروع. وكنت طيارًا، أليس كذلك؟ كنت تطير".

قال فيليب: "أحلق فوق العالم بأسره على ارتفاع عالٍ جدًا، كنسر يحلق في السماء".

قالت هيستر: "أنا غاية في الأسف. حقًا أنا آسفة. كان ينبغي عليّ أن أفكر في الأمر أكثر، وأكون أكثر تعاطفًا!".

قال فيليب: "الحمد لله أنكِ لم تكوني هكذا. ولكن على أية حال، لقد انتهت هذه المرحلة الآن. المرء يتعود أي شيء، كما تعلمين. هناك شيء لا تقدرينه يا هيستر في تلك اللحظة. ولكنك ستقدرينه فيما بعد. ما لم تفعلي شيئًا متهورًا وسخيفًا جدًا. الآن، هيا أخبريني بالأمر كله. ما المشكلة؟ أظن أنكِ تشاجرت مع صديقك، الطبيب الشاب الرزين. أليس كذلك؟".

قالت هيستر: "لم تكن مشاجرة. كان الأمر أسوأ من مشاجرة".

قال فيليب: "سيكون كل شيء على خير ما يرام".

قالت هيستر: "كلا، لن يكون. لا يمكن أن يكون ... أبدًا".

"أنت متطرفة جدًا في تعبيراتك. كل شيء إما أسود أو أبيض بالنسبة لك، يا هيستر، أليس كذلك؟ ليس هناك وسط".

قالت هيستر: "لا يسعني سوى أن أكون كذلك. لطالما كنت كذلك. كل شيء أظن أن بإمكاني القيام به أو رغبت في القيام به يسير دومًا على نحو خطأ. كنت أريد أن أحظى بحياة خاصة، أن أكون ذات شأن، أن أنجز شيئًا. ولكن لم أنجز شيئًا على الإطلاق. لم أجد القيام بأي شيء. كثيرًا ما أفكر في قتل نفسي. منذ أن كنت في الرابعة عشرة من عمري".

راقبها فيليب باهتمام. قال بصوت هادئ كأنه يقر حقيقة:

"بالطبع، كثير من الناس يقتلون أنفسهم ما بين سن الرابعة عشرة والتاسعة عشرة. إنها فترة في الحياة تكون الأمور في غير نصابها الصحيح. تلاميذ المدارس يقتلون أنفسهم لأنهم يظنون أنه ليس بإمكانهم اجتياز الاختبارات، والفتيات يقتلن أنفسهن لأن أمهاتهن لا يسمحن لهن بالذهاب إلى السينما. إنها فترة يبدو فيها كل شيء بألوان زاهية ومبهرجة. الفرح أو اليأس. الاكتئاب أو السعادة الجامحة. ويتعافى المرء من هذه المرحلة. المشكلة بالنسبة لك يا هيستر أنك تستغرقين وقتًا أطول عن معظم الناس للتعافي من هذه المرحلة".

قالت هيستر: "كانت أمي دومًا محقة. كل الأشياء التي لم تسمح لي بالقيام بها وكنت أرغب أنا في القيام بها. كانت محقة بشأنها وكنت أنا مخطئة. لم أستطع تحمل الأمر، ببساطة لم أستطع تحمل الأمر! ظننت أنني يجب عليّ التحلي بالشجاعة. يجب عليّ أن أنطلق بطريقتي الخاصة. يجب أن أختبر نفسي. وكل شيء سار بطريقة خاطئة. فشلت فشلًا ذريعًا في التمثيل".

قال فيليب: "بالطبع، لم تجيدي التمثيل. لم تحظي بالتدريب. لا يمكنك أن تقومي بدور البطولة المطلقة، كما يقولون في أوساط المسرح. أنت منشغلة جدًا بالمبالغة في أحداث حياتك، يا فتاتي. وأنت الآن تبالغين في الأمور".

قالت هيستر: "ثم ظننت أنني سأحظى بعلاقة غرامية حقيقية، لا مجرد قصة سخيفة صبيانية. رجل أكبر مني. كان متزوجًا، وكانت حياته تعيسة جدًا".

قال فيليب: "موقف تقليدي واستغله بلا شك".

"ظننت أنها قد ... أوه، إنها قد تكون علاقة عاطفية عظيمة. لن تسخر مني، أليس كذلك؟"، صمتت لبرهة ونظرت إلى فيليب بارتياب.

قال فيليب برق: "كلا، أنا لا أسخر منك، يا هيستر، يمكنني أن أرى تمامًا أن هذا الموقف كان جحيمًا حتمًا بالنسبة لك".

قالت هيستر بمرارة: "لم تكن علاقة عاطفية عظيمة، كانت مجرد علاقة رخيصة. لم يكن هناك شيء صحيح مما قاله عن حياته أو زوجته. لقد ... لقد ألقيت بنفسي بين يديه. كنت غبية، وسخيفة، غبية حقيرة".

قال فيليب: "يجب أن تتعلمي شيئًا من التجربة. ليس هناك أذى أُلحق بك، كما تعلمين، يا هيستر. على الأرجح لقد ساعدتك هذه التجربة على النضوج، أو ربما تساعدكِ إن سمحت لها بذلك".

قالت هيستر بنبرة بها استياء: "كانت أمي ذات ... ذات كفاءة بالغة فيما يتعلق بكل شيء. لقد تدخلت وسويت كل شيء وأخبرتني إن كنت أرغب في التمثيل فمن الأفضل

أن ألتحق بكلية للتمثيل المسرحي وأتقن التمثيل بطريقة صحيحة. ولكني لم أكن أرغب حقًا في التمثيل، وعرفت مع مرور الوقت أنني لا أجيده. ومن ثم، عدت إلى المنزل. وماذا عساي أن أفعل غير ذلك؟".

قال فيليب: "أشياء كثيرة على الأرجح. ولكن كان هذا أسهلها".

قالت هيستر بحماسة: "أوه، أجل. أنت تجيد فهمي. أنا ضعيفة للغاية، كما ترى. إنني أريد دومًا أن أفعل الشيء السهل. وإذا تمردت عليه، فإن هذا يكون بطريقة سخيفة لا تؤتي ثمارها حقًا".

قال فيليب برقة: "أنت غير واثقة من نفسك، أليس كذلك؟".

قالت هيستر: "ربما هذا لأنني متبناة. لم أعرف حقيقة الأمر حتى بلغت السادسة عشرة من عمري تقريبًا. كنت أعرف أن الآخرين تم تبنيهم ثم سألت ذات يوم ... ووجدت أنني متبناة أيضًا. هذا جعلني أشعر بمرارة شديدة، كما لو أنني لا أنتمي لأي مكان".

قال فيليب: "يا لك من فتاة فظيعة تبالغين في أحداث حياتك!".

قالت هيستر: "لم تكن أمي. لم تكن تفهم أبدًا أي شعور ينتابني. كانت تعاملني بتدليل بالغ وحنان وتخطط من أجلي. أوه! كنت أكرهها. إنه شعور بغيض، أعرف أنه شعور بغيض، ولكني أكرهها!".

قال فيليب: "في الحقيقة، أنت تعرفين أن معظم البنات يمر عليهن فترات قصيرة يكرهن فيها أمهاتهن. ليس هناك شيء مستغرب بخصوص هذا الأمر".

قالت هيستر: "كنت أكرهها لأنها كانت محقة. إنه لشيء بغيض أن يكون الناس محقين دومًا. أوه، فيليب، كل شيء رهيب جدًا. ما الذي سأفعله؟ ما الذي يمكنني أن أفعله؟".

قال فيليب: "تزوجي ذلك الشاب اللطيف واستقري بحياتكِ. كوني الزوجة الصالحة لطبيب. أم أن هذا ليس كافيًا بالنسبة لك؟".

قالت هيستر بنبرة حزينة: "إنه لا يريد أن يتزوجني الآن".

تساءل فيليب: "هل أنت متأكدة؟ هل قال لك ذلك؟ أم أنك تتخيلين ذلك وحسب؟".

"إنه يظن أنني قتلت أمي".

قال فيليب: "أوه"، ثم صمت لبرهة وسألها: "وهل فعلتِ؟".

دارت حوله.

ثم سألته: "لماذا تسأل هذا السؤال؟ لماذا؟".

قال فيليب: "ظننت أنه من المثير أن أعرف. كلام فيما بيننا كأسرة واحدة، لن يخرج إلى السلطات".

قالت هيستر: "إن كنت قد قتلتها، فهل تعتقد أنني سأخبرك؟".

وافقها فيليب الرأي قائلًا: "سيكون أكثر حكمة ألا تخبريني".

قالت هيستر: "أخبرني أنه يعرف إنني قد قتلتها. أخبرني بأنني لو أنني فقط أعترف، لو أنني أعترف له، فسيكون كل شيء على خير ما يرام، وسنتزوج، وإنه سيعتني بي. وإنه ... لن يسمح لهذا الأمر أن يفرق بيننا".

أطلق فيليب صفيرًا.

ثم قال: "حسنًا، حسنًا، حسنًا".

تساءلت هيستر: "ما الفائدة؟ ما الفائدة من وراء إخباره بأنني لم أقتلها؟ لن يصدقني، أليس كذلك؟".

قال فيليب: "يجب أن يفعل، إذا أخبرته بذلك".

قالت هيستر: "لم أقتلها. هل تفهم؟ لم أقتلها. لم أقتلها. لم أقتلها". سكتت فجأة ثم قالت: "هذا يبدو غير مقنع".

شجعها فيليب قائلًا: "عادةً ما تبدو الحقيقة غير مقنعة".

قالت هيستر: "إننا لا نعرف. لا أحد يعرف. إننا جميعًا نشك في بعضنا. ماري تشك في. وكريستين. إنها كريمة جدًا معي، تحميني جدًا. إنها تظن أنني ارتكبتها؟ ما الفرص القائمة أمامي؟ من الأفضل، أفضل كثيرًا أن أذهب إلى حافة النهر وألقي نفسي من هناك ..."

"بالله عليكِ، لا تكوني حمقاء، يا هيستر. هناك أشياء أخرى لتقومي بها".

"أية أشياء أخرى؟ كيف يمكن أن يكون ذلك؟ لقد فقدت كل شيء. كيف يمكنني الاستمرار في العيش يومًا تلو آخر؟" نظرت إلى فيليب وقالت: "أنت تعتقد أنني متهورة، وغير متزنة. حسنًا، ربما أكون قد قتلتها. ربما شعور بالندم يتملكني. ربما لا يمكنني أن أنسى ... هنا". وضعت يدها على قلبها بطريقة درامية.

قال فيليب: "لا تكوني حمقاء". ومد ذراعه وجذبها إليه.

كادت أن تسقط هيستر على كرسيه، فقبلها.

قال لها: "ما تحتاجين إليه، يا فتاتي، هو زوج؛ ليس ذلك الفتى الرزين ـ دونالد كريج ـ الذي لا يشغله سوى طب النفس ومصطلحاته. أنت سخيفة

وحمقاء ... وجميلة جداً يا هيستر".

فُتح الباب. تسمرت ماري دورانت عند المدخل. جاهدت هيستر لتقف مستقيمة وابتسم فيليب لزوجته ابتسامة خجلة.

قال: "إنني أحاول أن أبهج هيستر، يا بولي".

قالت ماري: "أوه".

دخلت ماري بعناية، ووضعت الصينية على طاولة صغيرة. ثم قربت الطاولة منه. لم تلتفت إلى هيستر. نقلت هيستر بصرها بارتياب بين أختها وزوجها.

قالت هيستر: "أوه، حسنًا. ربما من الأفضل أن أذهب و....أذهب و....."، لم تكمل عبارتها.

خرجت من الغرفة وأغلقت الباب خلفها.

قال فيليب: "إن هيستر تفكر في الانتحار. كنت أحاول أن أثنيها عن تفكيرها هذا".

لم تُجبْه ماري.

مد يده إليها، ولكنها ابتعدت عنه.

"بولي، هل أغضبتكِ؟ أغضبتكِ جداً؟".

لم ترد عليه.

قالت ماري دورانت:

"سيبرد حساؤك لو لم تشربه".

وخرجت وتوجهت إلى غرفة النوم، وأغلقت الباب خلفها.

الفصل الثامن عشر

"هناك شابة في الطابق السفلي تريد مقابلتك، يا سيدي".

بدت على كالجري الدهشة وهو يقول: "شابة؟" لم يستطع التفكير في هوية الزائرة المحتملة. نظر إلى الأوراق المبعثرة على مكتبه وقطب جبينه. جاء صوت الخادم مرة أخرى بنبرة خافتة متحفظة.

"شابة حقيقية، يا سيدي، شابة لطيفة للغاية".

"أوه، حسنًا. إذن، أحضرها".

غالبته نفسه على الابتسامة بداخله. لقد خاطبت تلك النبرة الخافتة المتحفظة والتوكيد في صوت الخادم الحس الفكاهي لديه. تساءل في نفسه عن هوية الزائرة التي تريد مقابلته. كان متفاجئًا تمامًا حين رن جرس الباب وحين ذهب ليفتحه وجد نفسه قبالة هيستر أرجيل.

صاح في اندهاش كامل قائلًا: "أنت!"، ثم قال: "تفضلي، تفضلي". جذبها إلى الداخل وأغلق الباب.

من الغريب أن انطباعه عنه كاد يشبه الانطباع الذي أخذه عنها أول مرة قابلها. كانت ترتدي ملابس من دون الالتفات لتقاليد الأزياء اللندنية. لم تكن ترتدي قبعة، وكان شعرها الأسود يحيط بوجهها في شكل فوضوي. ومن أسفل المعطف الصوفي الثقيل برزت تنورة خضراء اللون وسترة. بدت كأنها جاءت توًا لاهثة من تمشية في المروج.

قالت هيستر: "من فضلك، من فضلك، يجب أن تساعدني".

أجفل وهو يقول: "أساعدك؟ كيف؟ بالطبع، سأساعدك إن كان بإمكاني".

قالت هيستر: "لم أعرف ماذا أفعل. لم أعرف إلى من ألجأ؛ ولكن يجب أن يساعدني أحدهم. لا أستطيع المواصلة، وأنت الشخص المناسب لذلك. لقد بدأت الأمر برمته".

"هل تواجهين مشكلة ما؟ مشكلة عويصة؟".

قالت هيستر: "إننا جميعًا نواجه مشكلة. ولكن المرء يتعامل بأنانية بالغة، أليس كذلك؟ أقصد أنني أفكر في نفسي".

قال برفق: "اجلسي، يا عزيزتي".

أزاح الورق عن كرسي ذي مسند وأشار إليها لتجلس، ثم توجه إلى خزانة موجودة في الزاوية.

قال: "يجب أن تتناولي مشروبًا - كوبًا من العصير. هل هذا يناسبك؟".

"كما تحب. لا أبالي".

جلست هيستر مسترخية على الكرسي وعلى وجهها النحيل تعبير غريب يبرز جمالها وقلة حيلتها مما جعله يتأثر بحالتها.

قال برفق وهو يضع الكوب إلى جوارها وقد ملأه: "لا تقلقي. الأمور ليست بقدر السوء الذي تبدو عليه، كما تعلمين".

قالت هيستر: "يقول الناس هذا، ولكنه غير صحيح. أحيانًا تكون الأمور أسوأ مما تبدو عليه". احتست الشراب ثم قالت بنبرة فيها اتهام: "كنا بخير حتى جئت أنت. كنا بخير تمامًا. ثم، ثم بدأ كل شيء".

قال آرثر كالجري: "لن أتظاهر بأنني لم أفهم ما تقصدينه. لقد اندهشت تمامًا حين قلتِ لي أول مرة ذلك، ولكن الآن أنا أفهم جيدًا ماذا ... ماذا جلبته معلوماتي إليكم".

قالت هيستر: "لطالما كنا نظن أن جاكو كان ..."، ثم صمتت فجأة.

"أعرف، يا هيستر، أعرف. ولكن يجب أن تتخطى هذا الأمر. ما كنت تعيشين فيه هو أمان مزيف. لم يكن حقيقيًا، كان مجرد وهم ...مجرد تمثيل. أحيانًا كان هذا يمثل أمانًا ولكنه ليس حقيقيًا، لا يمكن أن يكون أبدًا أمانًا حقيقيًا".

قالت هيستر: "أنت تقول إن المرء يجب أن يتحلى بالشجاعة، وليس من المفيد التمسك بشيء لأنه زائف وسهل؟" صمتت لبرهة ثم قالت: "أنت لديك الشجاعة! لقد أدركت ذلك. لقد أتيت وأخبرتنا بنفسك بالحقيقة. لم تكن تعرف الشعور الذي سينتابنا، وكيف سيكون رد فعلنا. كان تصرفًا شجاعًا منك. أنا معجبة بالشجاعة لأنني لست شجاعة".

قال كالجري بلطف: "أخبريني، أخبريني ما المشكلة الآن. هل بخصوص أمر خاص، أليس كذلك؟".

قالت هيستر: "رأيت حلمًا. كان هناك شخص ما ... شاب ... طبيب..."

قال كالجري: "مفهوم، صديق لك أو ربما أكثر من مجرد صديق؟".

قالت هيستر: "أظن أننا كنا أكثر من مجرد أصدقاء ... وهو يظن كذلك أيضًا.

ولكن كما تلاحظ، بعد أن أُثير كل هذا ...".

تساءل كالجري: "ماذا؟".

قالت هيستر: "إنه يعتقد أنني ارتكبتها". خرجت الكلمات منها بسرعة. واستطردت قائلة: "أو ربما أنه لا يعتقد أنني ارتكبتها ولكنه غير متأكد. لا يستطيع أن يتأكد. ربما ... أستطيع أن أتفهم أنه يعتقد ... أنني أكثر شخص محتمل قيامه بهذا. ربما أكون كذلك. وربما أننا نشك في بعضنا. وأظن أنه يجب أن يساعدنا أحدهم للخروج من هذه الورطة التي وقعنا بها، وفكرت فيك بسبب حلم. كما تلاحظ، كنت تائهة ولم أستطع إيجاد دونالد. لقد تركني وكان هناك شيء أشبه بوادٍ شاسع وعظيم ... هاوية. أجل، تلك هي الكلمة الصحيحة. هاوية. تبدو عميقة جداً، أليس كذلك؟ عميقة جداً ولا يمكن رأبها. وكنت أنت تقف على الناحية الأخرى تمد يدك لي وتقول: "أريد أن أساعدك"". تنفست بعمق وواصلت قائلة: "ولذا، جئت إليك. لقد هربت وجئت إلى هنا لأنه يجب عليك أن تساعدني. إن لم تساعدنا، لا أعرف ما الذي سيحدث. يجب أن تساعدنا. لقد بدأت كل هذا. لعلك تقول إن لا حيلة لك في هذا. لقد أخبرتنا ... لقد أخبرتنا بحقيقة ما حدث ... والأمر ليس من شأنك. ستقول ..."

قاطعها كالجري قائلًا: "كلا، لن أقول أي شيء من هذا القبيل. الأمر من شأني، يا هيستر. أنا متفق معك. حين تبدئين شيئًا ما، يجب أن تكمليه حتى النهاية. أشعر بكل شيء بالقدر نفسه الذي تشعرين به".

توردت وجنتا هيستر: "أوه!". بدت جميلة كما هي عادتها وقالت: "إذن، لست وحدي! هناك شخص ما".

"أجل، يا عزيزتي، هناك شخص ما ... بقيمته. لم أكن ذا قيمة كبيرة، ولكني أحاول ولن أتوقف أبداً عن محاولة المساعدة". جلس وقرب كرسيه منها أكثر. وقال لها: "الآن، أخبريني بكل شيء. هل الأمر سيئ للغاية؟".

قالت هيستر: "إنه واحد من بيننا، كما تلاحظ. إننا جميعًا نعرف ذلك. لقد جاء السيد مارشال وتظاهرنا بأن شخصًا غريبًا دخل المنزل حتمًا، ولكنه كان يعرف أن الأمر ليس كذلك. إنه واحد من بيننا".

"وفتاكِ .... ما اسمه؟".

"دون. دونالد كريج. إنه طبيب".

"دون يعتقد أنه أنتِ الجاني؟".

قالت هيستر: "هو يخشى أن أكون أنا الجاني". وفركت يديها بطريقة درامية. نظرت إليه وقالت: "لعلك تعتقد أنني أنا الجاني أيضًا؟".

قال كالجري: "أوه، كلا. أوه، كلا، أعرف تمامًا أنكِ بريئة".

قالت هيستر: "أنت تقول هذا كما لو أنك واثق تمامًا".

قال كالجري: "أنا متأكد تمامًا".

"ولكن لماذا؟ كيف يمكنك أن تثق إلى هذا الحد؟".

"بسبب ما قلته لي حين غادرت المنزل بعد أن أخبرتكم جميعًا بالخبر. هل تذكرين؟ ما قلته عن البريء. ما كنتِ لتقولي هذا ... ما كنت لتشعري بذلك ... لو لم تكوني بريئة".

صاحت هيستر قائلة: "أوه، أشعر بالارتياح! أشعر بالارتياح لأنني وجدت شخصًا يشعر بذلك حقًا!".

قال كالجري: "إذن، يمكننا الآن أن نناقش الأمر بهدوء، أليس كذلك؟".

قالت هيستر: "بلى. لقد ... لقد اختلف الأمر تمامًا الآن".

قال كالجري: "دعيني أسأل هذا السؤال من باب الاهتمام وحسب، وضعي في اعتبارك أنك تعرفين حقيقة شعوري حيال الأمر الآن، لماذا يظن أحدهم ولو لدقيقة أنك قد تقتلين أمك بالتبني؟".

قالت هيستر: "لعلني فعلت ذلك. كثيرًا ما كنت أرغب في ذلك. أحيانًا ما يفقد المرء صوابه من شدة الغضب. المرء يشعر بالفشل الشديد ... بقلة الحيلة. كانت أمي هادئة جدًا وراقية جدًا وتعرف كل شيء وكانت محقة في كل شيء. أحيانًا كنت أقول في نفسي: "أوه! أود أن أقتلها"" نظرت إليه وقالت: "هل تفهم؟ هل شعرت من قبل بشيء كهذا حين كنت صغيرًا في السن؟".

الكلمات الأخيرة جعلت كالجري يشعر بألم مفاجئ، الألم نفسه الذي انتابه حين قال له ميكي في الفندق بدرايماوث: "تبدو أكبر من سنك!" "حين كنت صغيرًا في السن؟" هل بدا أن هذا كان قبل وقت طويل للغاية بالنسبة لـ هيستر؟ استرجع الذكريات. تذكر نفسه وهو في سن التاسعة من عمره يتشاور مع طفل صغير في حديقة مدرسته الابتدائية، متسائلًا بسذاجة عن أفضل طريقة للتخلص من المعلم ووربرو. لقد تذكر حالة العجز التي تنتابه مع نوبة الغضب التي كانت تجتاحه حين كان المعلم ووربرو يسخر من تعليقاته هو بالذات. ظن أن هذا ما كانت تشعر به هيستر أيضًا. ولكن بغض النظر عما كان هو والصغير - ماذا كان اسمه؟ - بورش، أجل بورش هو اسم الفتى ـ برغم أنه تشاور وخطط هو وبورش، فإنهما لم يأخذا أية خطوات فعلية لتنفيذ خطة التخلص من المعلم ووربرو.

قال لـ هيستر: "كان ينبغي أن تتخلصي من هذا النوع من المشاعر قبل عدة سنوات. بالطبع، يمكنني تفهم طبيعة هذه المشاعر".

قالت هيستر: "كان لأمي تأثير فيّ. لقد بدأت أفهم الآن، كما تلاحظ، كانت

غلطتي. أتمنى لو أنها عاشت لفترة أطول قليلًا، حتى أكبر قليلًا، وأكون أكثر استقرارًا، و...لعلنا نكون صديقتين. لعلني أسعد بمساعدتها ونصيحتها.
ولكن ... ولكني لم أستطع احتمال هذا لأنك كما ترى يجعلني هذا أشعر بالعجز الشديد والغباء الشديد. كل شيء فعلته صار في الاتجاه الخطأ ويمكنني أن أدرك بنفسي أن الأشياء التي فعلتها كانت أشياء غبية. ولقد فعلتها لأنني أردت أن أتمرد، أردت أن أثبت نفسي. ولم أكن شيئًا. كنت بلا شخصية. أجل، هذه هي الكلمة المناسبة. الكلمة المناسبة تمامًا. بلا شخصية. لم آخذ شكلًا محددًا. كنت أجرب شخصيات ... شخصيات ... شخصيات أناس آخرين كنت معجبة بهم. ظننت أنني إذا هربت وصعدت على خشبة المسرح، و..."

"بأنك قد تحققين ذاتك، أو أنك على أية حال، تشعرين بأهميتك؟".

قالت هيستر: "أجل، أجل هذه هي الحال بالضبط. وبالطبع، الآن أدرك أنني كنت أتصرف كطفلة سخيفة. ولكنك لا تعرف، دكتور كالجري، كم أتمنى لو أن أمي على قيد الحياة. لأن هذا ظلم بين ... ظلم بين واقع عليها، أقصد. لقد قامت بالكثير من أجلنا وأعطتنا الكثير. ولم نرد لها شيئًا. والآن، لقد فات الأوان". صمتت لبرهة وقالت بفورة حماسية مفاجئة: "ولهذا السبب قررت أن أتوقف عن التصرف بسخافة وطفولية، وسوف تساعدني، أليس كذلك؟".

"لقد قلت لك إنني سأفعل أي شيء في الدنيا لأساعدك".

ابتسمت له ابتسامة متعجلة ولطيفة.

قال لها: "أخبريني ما الذي حدث بالضبط".

قالت هيستر: "فقط ما ظننت أنه حدث. إننا جميعًا نشك في بعضنا ونتساءل ولا نعرف الحقيقة. أبي يشك في جويندا ويظن أنها ربما تكون قد فعلتها. وهي تشك في أبي وليست متأكدة. لا أظن أنهما سيتزوجان الآن. لقد أفسد هذا كل شيء. وتينا تظن أن ميكي له علاقة بالأمر. لا أعرف السبب لأنه لم يكن متواجدًا في تلك الليلة. وكريستين تظن أنني فعلتها وتحاول حمايتي. وماري - أختي الكبيرة التي لم تلتقِ بها - ماري تظن أن كريستين قد فعلتها".

"ومن الفاعل برأيك، يا هيستر؟".

بدت هيستر متفاجئة: "أنا؟".

قال كالجري: "أجل، أنتِ. أظن، أنك تعرفين، من المهم أن تعرفي شيئًا كهذا".

أشاحت هيستر بيدها وقالت منتحبة: "لا أعرف. لا أعرف وحسب. أنا - يا له من شيء بغيض أن أصرح به ـ ولكني خائفة من الجميع. يبدو كأن وراء كل شخص وجهًا آخر. إمممم ... وجه شرير لا أعرفه. لست متأكدة من أن أبي هو أبي، وكريستين

تقول لي دومًا يجب ألا أثق بأحد ... ولا حتى بها. وأنظر إلى ماري وأشعر كأنني لا أعرف شيئًا عنها. وجويندا ... لطالما كنت أحب جويندا. كنت سعيدة بأن أبي كان سيتزوج بـ جويندا. ولكن الآن، لم أعد واثقة بـ جويندا. أراها شخصًا مختلفًا، قاسية و...حقودة. لا أعرف حقيقة الآخرين. هناك شعور بغيض بالتعاسة".

قال كالجري: "أجل، يمكنني تصور شيء كهذا".

قالت هيستر: "هناك قدر كبير من التعاسة؛ لأنني لا أتمالك نفسي بالشعور بأن القاتل أيضًا ينتابه شعور بالتعاسة. وربما يكون هذا أسوأ ما في الأمر على الإطلاق ... هل تظن أن هذا محتمل؟".

قال كالجري: "أجل، هذا شيء بغيض؛ ولذلك أظن أن شخصية القاتل لابد أن تكون واحدة من اثنين. إما أن يكون شخصًا لا يندم على قتل شخص آخر، من نوعية الأشخاص الذين يرددون في أنفسهم: "حسنًا، بالطبع، من المؤسف أن أفعل شيئًا كهذا، ولكن كان ضروريًا من أجل مصلحتي. على أية حال، لم تكن غلطتي. أنا ... كان يتعين عليّ القيام بذلك"، أو ..."

قالت هيستر: "ماذا؟ ما النوع الثاني من شخصية القاتل؟".

"تذكري أنني أخمن وحسب، أنا لا أعرف، ولكن أظن لو أنك تنتمين للنوع الثاني من شخصية القاتل، لن تستطيعي استكمال حياتك بسبب الشعور بالتعاسة مما ارتكبته. فإما أن تعترفي بجريمتك أو تعيدي كتابة القصة لإقناع نفسك بها. تلقين باللوم على شخص آخر، وتقولين: "ما كان لي أن أفعل ذلك لولا..." أن حدث هذا أو ذاك. "لست قاتلة لأنني لم أقصد القيام بذلك. لقد حدث هذا وحسب، كان هذا قدرًا وليس عمدًا مني". هل تفهمين ولو قليلًا ما أحاول قوله؟".

قالت هيستر: "أجل وأظن أن هذا مثير للاهتمام جدًا". أغمضت عينيها قليلًا وقالت: "أحاول أن أفكر ..."

قال كالجري: "أجل، يا هيستر، فكري. فكري بأقصى حد ممكن لأنني إن كنت سأساعدك، فيجب أن أرى الأمور من وجهة نظرك".

قالت هيستر بتروٍّ: "كان ميكي يكره أمي. كان دومًا ... لا أعرف السبب. وأظن أن تينا كانت تحبها. ولم تكن جويندا تحبها. وكانت كريستين وفية لأمي برغم أنها لم تحسب أمي محقة دومًا في كل الأشياء التي تفعلها. أبي ...". سكتت لفترة طويلة.

تساءل كالجري مشجعًا إياها على الحديث: "ماذا؟".

قالت هيستر: "لقد ابتعد أبي كثيرًا. بعد أن توفيت أمي، صار مختلفًا كثيرًا. ليس - كيف أصف لك! - منعزلًا جدًا. ولكنه صار أكثر إنسانية، أكثر حيوية. ولكنه الآن عاد إلى ... انسحب مرة أخرى إلى مكان منعزل؛ حيث لا يمكنك الوصول إليه. لا أعرف

حقيقة شعوره تجاه أمي. أظن أنه كان يحبها حين تزوجها. لم يتشاجرا قط، ولكني لا أعرف حقيقة شعوره تجاهها. أوه..." أشاحت بيدها مرة أخرى وقالت: "المرء لا يعرف حقيقة شعور الآخرين، أليس كذلك؟ أقصد، ماذا يدور خلف أقنعتهم، وخلف كلماتهم اليومية اللطيفة؟ ربما يتملكهم الكره أو الحب أو اليأس، ولا يعرف المرء شيئًا عن هذا! هذا مخيف ... أوه، دكتور كالجري، هذا مخيف!".

أمسك بيديها وقال:

"لم تعودي طفلة، الأطفال هم فقط من يخافون. لقد كبرت، يا هيستر. أنت امرأة". ترك يديها وقال بنبرة واقعية: "هل هناك مكان يمكنك المكوث فيه بلندن؟".

بدا الارتباك قليلًا على هيستر.

قالت: "أظن ذلك. لا أعرف. كانت أمي عادة تنزل في فندق كيرتيس".

"حسنًا، إنه فندق جميل وهادئ جدًا. سأذهب إلى هناك وأحجز غرفة لو كنت مكانك".

قالت هيستر: "سأفعل أي شيء تطلبه مني".

قال كالجري: "يا لك من فتاة مطيعة! كم الساعة الآن؟". نظر إلى الساعة المعلقة على الحائط. وقال: "أوه، الساعة السابعة. لنقل إنك ستذهبين إلى هناك وتحجزين غرفة، وسأجيء إليك الساعة الثامنة إلا الثلث لأصطحبك إلى العشاء. هل سيناسبك ذلك؟".

قالت هيستر: "هذا يبدو رائعًا. هل تعني ما تقوله؟".

قال كالجري: "أجل، أعني ما قلته".

"وماذا بعد ذلك؟ ما الذي سيحدث بعد ذلك؟ لا يمكنني الاستمرار في المكوث بفندق كيرتيس إلى الأبد، أليس كذلك؟".

قال كالجري: "أفقك ينحصر دائمًا في فكرة الأبدية".

سألته في ارتياب: "أتسخر مني؟".

ابتسم قائلًا: "نوعًا ما".

ارتبكت ثم ابتسمت أيضًا.

قالت بثقة: "أظن أنني أبالغ في أحداث حياتي مرة أخرى".

قال كالجري: "أشك أنها عادة لديك".

قالت هيستر: "ولهذا السبب ظننت أنني سأجيد التمثيل على خشبة المسرح. ولكني

لم أفعل. لم أكن جيدة على الإطلاق. أوه، كنت ممثلة فاشلة".

قال كالجري: "أظن أنك ستستخلصين كل الدراما التي تريدينها من الحياة العادية. الآن، سوف أوقف لكِ سيارة أجرة، يا عزيزتي. وستذهبين إلى فندق كيرتيس. وتغسلين وجهك وتسرحين شَعرك". واستطرد قائلًا: "هل لديك أية حقائب؟".

"أوه، أجل. لدي حقيبة ملابس صغيرة".

ابتسم لها قائلًا: "جيد"، وقال لها مرة أخرى: "لا تقلقي، يا هيستر. سنفكر في حل".

الفصل التاسع عشر

1

قال فيليب: "أريد أن أتحدث معكِ، يا كريستي".

"بالطبع، تفضل، يا فيليب".

توقفت كريستين عن المهمة التي بيدها. كانت قد أحضرت بعض الغسيل الذي كانت تضعه في أدراج الخزانة.

قال فيليب: "أود أن أتحدث معك عن هذا الأمر. لا تمانعين، أليس كذلك؟".

قالت كريستي: "هناك الكثير من الأحاديث بالفعل. هذا رأيي".

قال فيليب: "ولكن من الأفضل أن نتوصل إلى بعض النتائج فيما بيننا أيضًا. أنت تعرفين ماذا يجري في الوقت الحالي، أليس كذلك؟".

قالت كريستين: "الأمور تسير في الاتجاه الخطأ بكل مكان".

"هل تظنين أن ليو وجويندا سيتزوجان بعد الآن؟".

"ولِمَ لا؟".

قال فيليب: "لعدة أسباب. أولًا ربما لأن ليو أرجيل رجل ذكي، يدرك أن زواجه من جويندا سيمنح الشرطة ما تريده؛ دافع جيد تمامًا لقتل زوجته. أو لأن ليو يشك في أن جويندا هي القاتلة. ونظرًا لأنه رجل حساس، فهو لا يرغب أن يتزوج ثانية من امرأة قتلت زوجته الأولى. ما تعليقك على هذا؟".

قالت كريستين: "لا شيء. ماذا عساي أن أقول؟".

"أنت تتعاملين بحذر، أليس كذلك يا كريستي؟".

"لا أفهمك".

"على من تتسترين، يا كريستين؟".

"لا "أتستر" على أحد، حسبما تظن. أعتقد أنه يجب أن نقلل الكلام في هذا

الموضوع، وأعتقد أنه يجب أن يغادر الناس هذا المنزل. ليس من المفيد البقاء هنا. أظن، يا فيليب، أنه يجب عليك أن تعود إلى بيتك مع زوجتك".

"أوه، حقًا تظنين ذلك؟ لماذا نحن على وجه الخصوص؟".

قالت كريستين: "أنت تطرح الأسئلة. وتحاول أن تكتشف الأشياء. وزوجتك لا تريدك أن تفعل هذا. إنها أكثر حكمة منك. لعلك تكتشف شيئًا لا تريد اكتشافه أو لا تريدك هي أن تكتشفه. يجب أن تذهب إلى بيتك، يا فيليب. يجب أن تذهب إلى بيتك في القريب العاجل".

قال فيليب: "لا أريد أن أذهب إلى بيتي". قالها كأنه طفل مشاكس.

قالت كريستي: "هذا ما يقوله الأطفال الصغار. إنهم يقولون لا أريد أن أفعل هذا ولا أريد أن أفعل ذاك، ولكن من لديهم دراية أكبر بالحياة ويعرفون ما الذي يحدث، يجب أن يقنعوهم بفعل ما لا يريدون فعله".

قال فيليب: "وهذه فكرتك عن الإقناع، أليس كذلك؟ إصدار الأوامر لي".

تنهدت قائلة: "نعم، أنا لا أصدر لك الأوامر. أنا أنصحك وحسب. وسأنصح الجميع بالشيء نفسه. يجب أن يعود ميكي إلى عمله، وكذلك يجب أن تعود تينا إلى مكتبتها. أنا سعيدة بأن هيستر رحلت. لابد أنها في مكان ما لا يتم فيه تذكيرها بكل هذا باستمرار".

قال فيليب: "أجل. أتفق معكِ في هذه النقطة. أنت محقة بالنسبة لـ هيستر. ولكن ماذا عنكِ، يا كريستين؟ ألا يجبَ عليكِ أن ترحلي أيضًا؟".

تنهدت كريستين قائلة: "بلى، يجب أن أرحل".

"لِمَ لَمْ تفعلي؟".

"لن تفهم. لقد فات أوان رحيلي".

نظر فيليب إليها متأملًا، ثم قال:

"هناك عدة تنويعات، أليس كذلك .... تنويعات على الفكرة نفسها. ليو يظن أن جويندا فعلتها، وجويندا تظن أن ليو فعلها. وتينا تعرف شيئًا يجعلها تتشكك في من فعلها. وميكي يعرف من فعلها ولكنه لا يهتم. وماري تظن أن هيستر فعلتها". توقف لبرهة ثم واصل قائلًا: "ولكن الحقيقة، يا كريستي، أن هذه مجرد تنويعات على الفكرة نفسها كما قلت. إننا نعرف جيدًا من فعلها، يا كريستي. أنا وأنتِ؟".

سددت له كريستي نظرة مروعة سريعة.

قال فيليب مبتهجًا: "هذا ما ظننته".

قالت كريستي: "ماذا تقصد؟ ما الذي تحاول قوله؟".

قال فيليب: "لا أعرف من فعلها حقًا. ولكن أنت تعرفين. وأنتِ لا تظنين بل تعرفين من فعلها، أنت تعرفين بالفعل. أنا محق، أليس كذلكِ؟".

توجهت كريستين إلى الباب. فتحته، ثم استدارت وقالت:

"ليس من الأدب أن أقول شيئًا كهذا، ولكن سأقوله. أنت غبي، يا فيليب. ما تحاول القيام به خطير. أنت تفهم نوعًا واحدًا من الخطر. كنت طيارًا. لقد واجهت الموت وأنت تحلق بالسماء. ألا تستطيع أن ترى أنك حين تقترب من الحقيقة، فأنت تقترب من خطر داهم كما كنت في الحرب؟".

"الآن ماذا عنكِ، يا كريستي؟ إن كنت تعرفين الحقيقة، ألست في خطر أيضًا؟".

قالت كريستي بحدة: "أستطيع الاعتناء بنفسي. يمكنني أن آخذ حذري. ولكن أنت، يا فيليب، عاجز وقعيد. فكر في ذلك! بالإضافة إلى ذلك، إنني لا أصرح بآرائي. إنني راضية بترك الأمور على ما هي عليه ... لأنني أعتقد بأمانة أن هذا هو الأفضل للجميع. لو أن الجميع ينصرف ويعتني بأموره الخاصة، فلن يكون هناك المزيد من المشكلات. إذا ما سُئلت فأنا لديّ وجهة نظري الرسمية. إنني سأتمسك بما قلته - جاكو هو الجاني".

حدق فيليب متسائلًا: "جاكو؟".

"لم لا؟ كان جاكو بارعًا. كان بإمكان جاكو أن يخطط لكل شيء، وكان واثقًا من أنه لن يعاني تداعيات تصرفاته. كثيرًا ما كان يفعل ذلك وهو طفل صغير؛ كان يفبرك الأعذار. ألا يحدث هذ كل يوم؟".

"لم يكن في استطاعته أن يفبرك هذا. الدكتور كالجري ..."

قالت كريستين في نفاد صبر: "الدكتور كالجري ... الدكتور كالجري. لأنه مشهور، لأن اسمه ذائع، تقول "الدكتور كالجري" كما لو أنه منزه عن الخطأ! ولكن دعني أخبرك بذلك. حين تصاب بارتجاج في المخ كما أصيب، قد تتغير الأمور لتصبح في يوم مختلف ... في تاريخ مختلف ... في مكان مختلف!".

نظر إليها فيليب ورأسه يميل جانبًا.

قال: "إذن، هذه هي روايتك. وستتمسكين بها. يا لها من محاولة مشرفة للغاية! ولكنك لا تصدقينها، أليس كذلك، يا كريستي؟".

قالت كريستين: "لقد حذرتك ولا أستطيع فعل ما هو أكثر من ذلك".

استدارت ودست رأسها بين فرجة الباب مرة أخرى، وقالت بنبرتها الواقعية المعتادة:

"أخبر ماري بأنني وضعت الغسيل النظيف في الدرج الثاني في هذه الخزانة".

ابتسم فيليب ابتسامة محبطة قليلًا، ثم تلاشت ابتسامته....

زاد شعوره بالإثارة. كان لديه إحساس بأنه يقترب من شيء حقًا. كان لقاؤه بـ كريستين مرضيًا للغاية، ولكنه كان يشك في أنه سيعرف المزيد منها. وقد ضايقه اهتمامها به. ولا يعني كونه عاجزًا أنه عرضة للأذى كما ألمحت. هو أيضًا يمكنه أن يأخذ حذره ... وبحق الله، أليس هو خاضع للمراقبة باستمرار؟ لا تكاد ماري تتركه مطلقًا.

سحب ورقة إليه وبدأ يكتب. ملاحظات مختصرة، أسماء، علامات استفهام ... نقاطًا ضعيفة للتحقيق فيها ...

وفجأة أومأ برأسه وكتب: تينا...

فكر في الأمر ...

ثم سحب ورقة أخرى إليه.

حين دخلت ماري عليه الغرفة، لم يلتفت إليها.

تساءلت: "ماذا تفعل، يا فيليب؟".

"أكتب خطابًا".

"إلى هيستر؟".

"هيستر؟ لا. أنا لا أعرف حتى أين تقيم الآن. لقد تلقت كريستي بطاقة بريدية منها مكتوبًا لندن في الجزء العلوي منها، هذا كل ما في الأمر".

ابتسم إليها ابتسامة واسعة.

"أعتقد أنك تغارين، يا بولي، أليس كذلك؟".

نظرت إليه بعينيها الزرقاوين الباردتين.

وقالت: "ربما".

شعر بعدم الارتياح قليلًا.

اقتربت منه خطوة وقالت: "إلى من تكتب هذا الخطاب؟".

قال فيليب بمرح رغم شعور الغضب بداخله: "إلى النائب العام. ألا يستطيع المرء أن يكتب خطابًا من دون أن يُسأل عنه؟".

ثم رأى وجهها وتراجع.

"مجرد مزحة يا بولي. أكتب لـ تينا".

"لـ تينا؟ لماذا؟".

"تينا هي صف الهجوم الثاني. إلى أين تذهبين، يا بولي؟".

قالت ماري وهي تخرج من الغرفة: "إلى الحمام".

ضحك فيليب. إلى الحمام، كما في ليلة وقوع جريمة القتل ... ضحك مرة أخرى حين تذكر حوارهما عن هذا الأمر.

2

قال رئيس المحققين هويش مشجعًا: "هيا، يا سوني. دعنا نسمع كل شيء عن هذا الأمر".

أخذ ماستر سيريل جرين نفسًا عميقًا، وقبل أن يتمكن من الحديث، قاطعته أمه.

"كما يمكنك القول، سيد هويش، لم ألاحظ وقتها كثيرًا. أنت تعرف كيف يتصرف هؤلاء الأطفال؛ يتحدثون دومًا عن سفن الفضاء وأشياء كهذه. وعاد إلى المنزل إليّ وقال لي: "أمي ، لقد رأيت القمر الصناعي سبوتنك، لقد هبط". حسنًا أقصد قبل الأطباق الطائرة. كان دومًا هناك شيء. إنهم الروس الذين يملأون أذهانهم بأشياء".

تنهد رئيس المحققين هويش وقال في نفسه كم من السهل لو أن هناك أمهات لا تصر على اصطحاب أبنائهن والتحدث بالنيابة عنهم.

قال: "هيا، يا سيريل، لقد عدت إلى المنزل وأخبرت أمك ـ هذا صحيح، أليس كذلك؟ - أنك رأيت القمر الصناعي الروسي ... أو أيًا ما كان".

قال سيريل: "لم أكن أعرف حينها. كنت طفلًا وقتها. كان هذا قبل عامين مضيا. بالطبع، أنا أعرف الآن أكثر".

تدخلت أمه قائلة: "كانت السيارات الصغيرة جدًا حديثة الطراز في ذلك الوقت. لم تكن منتشرة في المحيط المحلي، ومن الطبيعي حين يرى هذه السيارة ـ وكان لونها أحمر ساطعًا أيضًا ـ لم يدرك أنها سيارة عادية . وحين سمعنا في اليوم التالي أن السيدة أرجيل قُتلت، قال سيريل لي: "أمي، إنهم الروس. إنهم آتون بالقمر الصناعي سبوتنك الخاص بهم ولابد أنهم دخلوا المنزل وقتلوها". قلت له: "لا تقل كلامًا فارغًا"، وفيما بعد سمعنا أنه تم إلقاء القبض على ابنها بتهمة قتلها".

توجه رئيس المحققين هويش بالحديث إلى سريل مرة أخرى بأناة.

"فهمت أن هذا حدث في المساء، أليس كذلك؟ هل تذكر الوقت؟".

قال سيريل وهو يأخذ نفسه بصعوبة في محاولة ليتذكر: "لقد تناولت الشاي وأمي كانت بالخارج في الجمعية، ومن ثم خرجت مرة أخرى لألعب مع الصبية وكنا نمزح حول المكان على طول الطريق الجديد".

تدخلت أمه: "وماذا كنت تفعل هناك، أود أن أعرف".

تدخل رجل الشرطة جود الذي أحضر هذا الشاهد الواعد. كان يعرف جيداً ما الذي يفعله سيريل والصبية على طول الطريق الجديد. كانت عدة بيوت قد أبلغت في حنق عن اختفاء زهور الأقحوان، وكان يعرف جيداً أن شخصيات خبيثة في القرية شجعت الصبية خفية أن يمدوهم بالزهور ليبيعوها في السوق. لم يكن هذا هو الوقت المناسب التي يسترجع فيه الشرطي جود قضايا الجنح السابقة. قال بصوت متثاقل:

"الصبية هم الصبية، سيدة جرين، إنهم يمرحون حول المكان".

قال سيريل: "أجل كنا نلعب مباراة أو اثنتين. وهناك رأيتها. قلت: "أوه، ما هذا؟" بالتأكيد أنا أعرف الآن. لم أعد طفلًا سخيفًا. كانت واحدة من السيارات الصغيرة. كان لونها أحمر ساطعًا".

قال رئيس المحققين بتأنٍّ: "كم كان الوقت؟".

"حسنًا، كما قلت، كنت قد تناولت الشاي وخرجنا لنمرح. سمعت دقات الساعة قلت في نفسي: "أمي ستعود وإن لم تجدني في المنزل فستحدث جلبة". ومن ثم عدت إلى البيت. أخبرتها بأنني أعتقد أنني رأيت قمراً صناعيًا روسيًا يهبط على المنطقة. قالت أمي إن هذا كله مجرد أكاذيب، ولكنها لم تكن كذلك. الآن أنا أعرف أكثر. كنت طفلًا حينئذ".

قال رئيس المحققين إنه يرى ذلك بنفسه. وبعد طرح بضعة أسئلة أخرى صرف السيدة جرين وابنها. ظل الشرطي جود واقفًا خلفه وعلى وجهه تعبير السرور الذي يكسو وجه مبتدئ في جهاز الشرطة حين يظهر الذكاء ويأمل أن يحظى بترقية.

قال الشرطي جود: "لقد خطر على بالي ما قاله الصبي توًا عن مقتل السيدة أرجيل على يد الروس. قلت في نفسي: "حسنًا، ربما يعني هذا شيئًا ما"".

قال رئيس المحققين: "بالفعل، هذا يعني شيئًا. الآنسة تينا أرجيل لديها سيارة صغيرة حمراء، يبدو أنه يتعين عليّ أن أوجه لها المزيد من الأسئلة".

3

"كنت متواجدة في تلك الليلة، آنسة أرجيل؟".

نظرت تينا إلى رئيس المحققين. كانت يداها مسترخيتين على حجرها، ولم تشي عيناها الداكنتان الثابتتان بأي شيء.

قالت: "لقد مر وقت طويل للغاية على هذا، ولا أستطيع أن أتذكر حقًا".

قال هويش: "لقد شوهدت سيارتك هناك".

"حقًا؟".

"تكلمي، يا آنسة أرجيل. حين طلبنا منك أن تسردي تحركاتك في تلك الليلة، أخبرتنا بأنك عدت إلى البيت ولم تخرجي منه في تلك الليلة. أعددت لنفسك العشاء واستمعتِ إلى الفونغراف. وهذا غير صحيح. قبل الساعة السابعة شوهدت سيارتك في الطريق بجوار منزل صني بوينت. ما الذي كنت تفعلينه هناك؟".

لم ترد. انتظر هويش لبضع دقائق، ثم تحدث مرة أخرى.

"هل دخلتِ إلى المنزل، آنسة أرجيل؟".

قالت تينا: "لا".

"ولكنك كنت موجودة".

"أنت تقول إنني كنت موجودة".

"المسألة ليست مسألة قولي ذلك. لدينا أدلة تفيد بأنك كنت موجودة هناك".

تنهدت تينا.

وقالت: "أجل، لقد قدت سيارتي إلى هناك في تلك الليلة".

"ولكنك قلتِ إنك لم تدخلي المنزل؟".

"كلا، لم أدخل المنزل".

"ماذا كنت تفعلين؟".

"عدت إلى ريدمين مرة أخرى. وكما قلت لك أعددت لنفسي العشاء واستمعت إلى الفونغراف".

"لماذا قدت سيارتك إلى هناك لو أنك لم تدخلي إلى المنزل؟".

قالت تينا: "غيرت رأيي".

"ما الذي جعلك تغيرين رأيك، آنسة أرجيل".

"حين وصلت إلى هناك لم أكن راغبة في الدخول".

"لأنكِ رأيتِ أو سمعتِ شيئًا ما؟".

لم ترد عليه.

"اسمعي، يا آنسة أرجيل. هذه الليلة التي قُتلت فيها والدتك. قُتلت ما بين الساعة السابعة والسابعة والنصف من هذه الليلة. وكنت موجودة هناك، كانت سيارتك موجودة هناك، في وقت ما قبل الساعة السابعة. ولا نعرف الوقت الذي مكثته هناك. من المحتمل أن تكون سيارتك ظلت موجودة لبعض الوقت. ولعلك دخلت إلى المنزل ... لديك مفتاح على ما أظن ..."

قالت تينا: "أجل، لديّ مفتاح".

"لعلك دخلت إلى المنزل. وربما دخلت إلى غرفة المعيشة الخاصة بأمك ووجدتِها هناك؛ متوفاة. أو ربما ..".

رفعت تينا يدها.

وقالت: "وربما قتلتها. أهذا ما تريد أن تقوله، رئيس المحققين هويش؟".

قال هويش: "هذا أحد الاحتمالات، ولكن أعتقد أن الأكثر ترجيحاً أن شخصاً آخر قام بقتلها، آنسة أرجيل. إن كان الأمر كذلك، أظن أنك تعرفين ... أو لديك شكوك قوية للغاية ... بشأن من هو القاتل".

قالت تينا: "لم أدخل إلى المنزل".

"إذن، لقد رأيتِ شيئًا أو سمعتِ شيئًا. لقد رأيت شخصاً ما يدخل إلى المنزل أو يخرج منه، شخصاً غير متوقع وجودهَ هناك. هل كان أخوكِ مايكل، آنسة أرجيل؟".

قالت تينا: "لم أر أحداً".

قال هويش بمكر: "ولكنكِ سمعتِ شيئًا. ما الذي سمعته، يا آنسة أرجيل؟".

قالت تينا: "لقد أخبرتك بأنني غيرت رأيي بكل بساطة".

"سامحيني، آنسة أرجيل، ولكني لا أصدقك. ما الذي اضطرك إلى قيادة سيارتك من مدينة ريدمين لتزوري أسرتك، ثم تعودين مرة أخرى من دون مقابلتهم؟ شيء جعلك تغيرين رأيكِ بشأن ذلك. شيء سمعته أو رأيته". ومال إلى الأمام وقال: "أظن يا آنسة أرجيل أنكِ تعرفين من قتل أمكِ".

هزت رأسها ببطء شديد.

قال هويش: "أنت تعرفين شيئًا. شيئًا تصرين على عدم الإفصاح عنه. ولكن، فكري آنسة أرجيل فكري بحرص شديد. هل تدركين أنك تدينين أسرتك بأكملها؟ هل تريدين أن يظلوا في دائرة الشك ... لأن هذا ما سيحدث ما لم نصل إلى الحقيقة. أيًا كان من قتل والدتك لا يستحق التستر عليه، أليس كذلك؟ أنت تتسترين على أحد؟".

التقت عيناه بالعينين السوداوين.

قالت تينا: "لا أعرف شيئًا. لم أسمع شيئًا، ولم أر شيئًا. لقد ... لقد غيرت رأيي وحسب".

الفصل العشرون

1

تبادل كالجري وهويش النظرات. رأى كالجري ما بدا له أنه أكثر رجل يتملكه الحزن والكآبة قابله في حياته. وقد بدا محبطًا للغاية لدرجة جعلت كالجري يفترض أن المشوار المهني لرئيس المحققين هويش كان عبارة عن سلسلة طويلة من الإخفاقات. لقد اندهش حين اكتشف فيما بعد أن رئيس المحققين كان ناجحًا للغاية من الناحية المهنية. رأى هويش رجلًا هزيلًا غزا شعره الشيب قبل الأوان وكتفين منحنيتين قليلًا ووجه حساس وابتسامة جذابة على نحو استثنائي.

قال كالجري: "أخشى أنك لا تعرفني".

قال هويش: "أوه، إننا نعرف كل شيء عنك، دكتور كالجري. أنت الجوكر الذي أفسد قضية آل أرجيل". وظهرت ابتسامة غير متوقعة على الشفتين الحزينتين.

قال كالجري: "إذن، من الصعب أن تعتبرني بشيراً للنجاح لحل القضية".

قال رئيس المحققين هويش: "هذا أمر معتاد في عملنا. بدت كأنها قضية واضحة ولا يمكن لوم أحد على هذا التفكير"، ثم واصل الحديث قائلًا: "ولكن هذه الأمور تحدث. هذه الأمور تختبرنا، كما اعتادت أمي أن تقول. إننا لا نتحمل الخبث، دكتور كالجري. على أية حال، إننا نمثل العدالة، أليس كذلك؟".

قال كالجري: "لطالما آمنت بذلك وسأظل أؤمن به"، وتمتم برقة: "لن نحرم أحدًا من العدالة".

قال رئيس المحققين هويش: "وثيقة القوانين ماجنا كارتا".

قال كالجري: "أجل، لقد اقتبستها الآنسة تينا أرجيل".

رفع رئيس المحققين هويش حاجبه.

وقال: "حقًا! إنك فاجأتني. يمكنني قول إن تلك الشابة لم تكن فعالة، على وجه الخصوص، في دفع عجلة العدالة".

تساءل كالجري: "لماذا تقول هذا؟".

قال هويش: "بصراحة؛ لأنها تخفي المعلومات. ليس هناك شك في ذلك".

تساءل كالجري: "لماذا؟".

رد هويش: "حسنًا، إنها أمور عائلية. العائلات تتضامن مع بعضها. ولكن لماذا كنت تريد مقابلتي؟".

قال كالجري: "أريد معلومات".

"بخصوص قضية آل أرجيل".

"أجل. أدرك أنكم تعتبرونني أتدخل في أمور ليست من اختصاصي ...".

"حسنًا، بل الأمر من اختصاصك فعلًا، أليس كذلك؟".

"أوه، أنت تظن ذلك فعلاً. أجل، أشعر بأنني مسئول. مسئول عن إثارة المشكلة".

قال هويش: "لا يمكنك أن تصنع عجة من دون أن تكسر البيض، كما يقول المثل".

قال كالجري: "هناك أشياء أريد معرفتها".

"مثل؟".

"أود معرفة المزيد من المعلومات عن جاكو أرجيل".

"عن جاكو أرجيل. حسنًا، لم أتوقع أن تقول شيئًا كهذا".

قال كالجري: "أعرف أن لديه سجلًا سيئًا. ما أريده هو بضعة تفاصيل إضافية".

قال هويش: "حسنًا، هذا أمر بسيط. لقد خضع للمراقبة مرتين بعد إطلاق سراحه. وفي مرة أخرى، حُبس لاختلاسه أموالًا، وأطلق سراحه بعد أن استطاع تسديد الأموال في الوقت المناسب".

تساءل كالجري: "مشروع مجرم، أليس كذلك؟".

قال هويش: "صحيح تمامًا، يا سيدي. ليس بقاتل، كما أوضحت لنا، ولكن يجيد ارتكاب عدة جرائم أخرى. ضع في اعتبارك أنها ليست جرائم كبيرة. ليس لديه الذكاء أو الشجاعة ليقوم بعمليات نصب كبرى. فقط جرائم صغرى. سرقة أموال من درج النقود، الاحتيال على النساء".

قال كالجري: "وكان بارعًا في ذلك. أقصد الاحتيال على النساء".

قال رئيس المحققين هويش: "وهو أمر لطيف وآمن للغاية. النساء يقعن في حبه بسهولة. وكان عادةً ما يتصيد النساء كبيرات السن أو في منتصف العمر. لعلك تندهش من مدى سذاجة هذا النوع من السيدات. كان يقول لهن كلامًا معسولًا، ويسقطهن في حباله ليؤمن بأنه واقع في حبهن. وما من شيء لا تصدقه امرأة طالما أنها

أرادت تصديقه".

تساءل كالجري: "ثم؟".

هز هويش كتفيه في لا مبالاة.

"حسنًا، عاجلًا أو آجلًا يكتشفن الوهم، ولكنهن لا يرفعن قضايا عليه. إنهن لا يردن أن يخبرن العالم بأنه تم خداعهن. أجل، إنهن صيد آمن".

تساءل كالجري: "هل كان يبتزهن؟".

رد هويش: "لم نعرف عنه هذا. ولكن ما كنت لأستغرب قيامه بهذا. ولا أقصد عمليات الابتزاز الكبرى، ولكن تلميح أو تلميحان ربما. خطابات. خطابات سخيفة. أشياء لن يرغب أزواجهن في معرفتها. كان في مقدوره الحفاظ على امرأة بتلك الطريقة".

قال كالجري: "فهمت".

تساءل هويش: "هل هذا كل ما تريد معرفته؟".

قال كالجري: "هناك فرد واحد من أسرة أرجيل لم ألتقِ به بعد. الابنة الكبرى".

"آها، السيدة دورانت".

"لقد ذهبت إلى بيتها، ولكنه كان مغلقًا. أخبروني بأنها هي وزوجها غير موجودين".

"إنهما في منزل صني بوينت".

"ما زالا هناك؟".

قال هويش: "أجل. هو يريد المكوث هناك. فهمت أن السيد دورانت يقوم ببعض التحقيقات".

"هو قعيد، أليس كذلك؟".

"بلى، مصاب بالشلل. في حالة حزن شديدة. ليس لديه ما يقضي فيه وقته. رجل مسكين. ولهذا السبب هو منشغل بهذه الجريمة بحماس بالغ. يظن أنه توصل إلى شيء أيضًا".

تساءل كالجري: "وهل توصل إلى شيء بالفعل؟".

هز هويش كتفيه.

وقال: "ربما توصل إلى شيء. هو لديه فرصة أفضل منا، كما تعلم. إنه يعرف الأسرة وهو رجل ذو حدس وذكاء أيضًا".

"هل تظن أنه سيصل إلى شيء ما؟".

قال هويش: "احتمال قائم، ولكنه لن يخبرنا إن توصل لشيء. إنهم يحتفظون بالأسرار بداخل الأسرة".

"هل تعرف ـ يا رئيس المحققين ـ من المذنب؟".

"لا ينبغي أن تسألني سؤالًا كهذا، دكتور كالجري".

"أيعني هذا أنك تعرف؟".

قال هويش ببطء: "المرء يظن أنه يعرف شيئًا، ولكن إن لم تكن لديك أدلة فلا يمكنك القيام بأي شيء بشأن هذا الأمر، أليس كذلك؟".

"وليس من المرجح أن تحصل على الأدلة التي تريدها؟".

قال هويش: "أوه! إننا صبورون جدًا. سنظل نحاول".

قال كالجري وهو يميل إلى الأمام: "ماذا سيحدث لهم جميعًا إن لم تحقق النجاح؟ هل فكرت في ذلك؟".

نظر إليه هويش.

"هل هذا ما يؤرقك، يا سيدي؟".

قال كالجري: "يجب أن يعرفوا. مهما حدث، يجب أن يعرفوا".

"ألا تظن أنهم يعرفون؟".

هز كالجري رأسه.

وقال ببطء: "نعم، هذه هي المأساة".

2

قالت مورين كريج: "أوه، هذا أنت مرة أخرى!".

قال كالجري: "أنا آسف جدًا جدًا على إزعاجك".

"أوه، ولكنك لا تزعجني. تفضل. هذا يوم إجازتي".

كان كالجري يدرك هذه الحقيقة بالفعل، ولهذا السبب قد جاء في هذا اليوم.

قالت مورين: "أنا أتوقع رجوع جو في أية لحظة. لم أر أية أخبار عن جاكو في

الجرائد. أقصد منذ أن قيل إنه سيحصل على عفو عام وبخصوص طرح الأمر على مجلس النواب ثم قول إنه من الواضح تماماً أنه لم يرتكب الجريمة. ولكن ليس هناك شيء بخصوص ما تفعله الشرطة ومن الجاني الحقيقي. ألا يستطيعون اكتشاف الجاني؟".

"أليست لديكِ أدنى فكرة؟".

قالت مورين: "حقًا، ليست لديّ فكرة. لم أكن لأتفاجأ لو أن الجاني هو الأخ الآخر. غريب للغاية ومتقلب المزاج. أحيانًا يراه جو يسوق الناس من حوله.
إنه يعمل لدى مجموعة بينيس، كما تعلم. هو شاب وسيم ولكن مزاجه عصبي، على ما أعتقد. لقد سمع جو شائعة حول سفره إلى بلاد فارس أو مكان ما وهذا يبدو سيئًا على حد اعتقادي، ألا تعتقد ذلك؟".

"لا أرى السبب وراء اعتقاد السوء في هذا الأمر، سيدة كليج".

"حسنًا؛ لأن هذا من الأماكن التي لا يمكن للشرطة الوصول إليه، أليس كذلك؟".

"تظنين أنه سيهرب؟".

"لعله يشعر بأنه يجب أن يفعل".

قال آرثر كالجري: "أظن أن هذه هي الأشياء التي يقولها الناس".

قالت مورين: "الكثير من الشائعات تنتشر. يقولون إن الزوج والسكرتيرة كانا على علاقة ببعض أيضًا. ولكن لو أنني أفكر في الزوج، فمن المرجح أكثر أن يقتلها بالسم. هذا عادة ما يفعلونه، أليس كذلك؟".

"حسنًا، أنت تشاهدين أفلامًا أكثر مني، سيدة كليج".

قالت مورين: "أنا لا أنظر إلى الشاشة حقًا. إن كنت تعمل في السينما، فإنك ستمل من الأفلام كثيرًا. ها هو جو قد جاء".

تفاجأ جو كليج برؤية كالجري وربما لم تسعده رؤيته أيضًا. تحدثا معًا لبعض الوقت إلى أن وصل كالجري إلى الحديث عن هدف زيارته.

قال: "أتساءل ما إذا كنت تمانع أن تعطيني الاسم والعنوان؟".

دَوّنه بحرص في دفتره.

كانت في الخمسين من عمرها تقريبًا - على حد اعتقاده - امرأة ضخمة الجثة لا يمكن القول بأنها تحلت بالجمال يومًا ما أبدًا. كانت عيناه جميلتين؛ بنية اللون وحانيتين.

قالت متشككة وبقلق: "حسنًا، دكتور كالجري، حسنًا، أنا متأكدة أنني لا أعرف ..."

مال إلى الأمام، محاولًا بذل أقصى ما لديه ليبدد ترددها ويطمئنها ويجعلها تشعر تمامًا بتعاطفه.

قالت: "لقد مر وقت طويل جدًا. إنه ... إنني لا أرغب حقًا في تذكر ... أمور".

قال كالجري: "أنا متفهم ذلك، الأمر ليست له علاقة بنشر الموضوع. أؤكد لك ذلك".

"ومع ذلك، تقول إنك ترغب في تأليف كتاب عن الموضوع؟".

قال كالجري: "مجرد كتاب لتوضيح أنماط معينة من الشخصية. أمر مثير للاهتمام - كما تعلمين - من وجهة نظر الطب أو علم النفس. لن تنشر أسماء. مجرد السيد "س" والسيدة "ص". مثل هذه الأمور".

قالت فجأة: "لقد سافرت إلى القطب الجنوبي، أليس كذلك؟".

تفاجأ من تغييرها للموضوع على نحو مباغت.

قال: "أجل، أجل، شاركت في رحلة هايز بينتلي الاستكشافية".

توردت وجنتاها. وبدت أصغر من سنها الحقيقية. ولدقيقة استطاع كالجري أن يراها شابة كما كانت من قبل. "اعتدت أن أقرأ عن الأمر ... لطالما كنت مولعة بأي شيء له علاقة بالقطب الجنوبي. المستكشف النرويجي أموندسون هو أول من اكتشف هذا المكان، أليس كذلك؟ أظن أن القطب الجنوبي أكثر إثارة من جبل إيفريست أو أي من الأقمار الصناعية، أو الصعود لسطح القمر أو شيء من هذا القبيل".

أمسك بالنقطة التي بدأ من عندها الحديث عن الرحلة الاستكشافية. من الغريب أن يكون اهتمامها منصبًا على الرحلات الاستكشافية للقطبين. قالت في النهاية متنهدة:

"من الرائع أن أسمع بنفسي عن الأمر من شخص ذهب إلى هناك بالفعل"، وواصلت حديثها قائلة: "أنت تريد أن تعرف كل شيء عن ... عن جاكي؟".

"أجل".

"لن تستغل اسمي أو أي شيء من هذا القبيل؟".

"بالطبع لا. لقد وعدتك بذلك. أنت تعرفين كيف تتم هذه الأشياء. استخدام

كلمات مثل السيدة، السيد، الليدي فلانة. مثل هذه الأشياء وحسب".

"أجل، أجل، لقد قرأت مثل هذا النوع من الكتب .. وأظن أنها كما قلت .. باث .. باث ..."

قال: "باثولوجي".

قالت: "أجل، جاكي بالتأكيد حالة مرضية للدراسة. لم يكن لطيفًا قط، كما تعرف. كان رائعًا. كان يقول أشياء وقد تصدق كل كلمة يقولها".

قال كالجري: "لعله كان يعني ما يقوله".

"اعتدت أن أقول له: "أنا في سن أمك" وكان يقول لي إنه لم يكن يهتم بالبنات. كان يصفهن بأنهن خام. اعتاد أن يقول إن النساء الناضجات ذوات الخبرة يجذبنه أكثر".

قال كالجري: "هل كان يحبك كثيرًا؟".

ارتجفت شفتاها قائلة: "كان يقول إنه يحبني. بدا كأنه ... وأظن أن كل ما كان يسعى خلفه هو المال".

قال كالجري موضحًا الحقيقة بأقصى ما يمكنه: "ليس بالضرورة. لعله كان منجذبًا حقًا. ولكنه ... لم يتمالك نفسه عن طبعه المنحرف".

أشرق الوجه الحزين للسيدة متوسطة العمر قليلًا.

قالت: أجل، من اللطيف أن تعتقد ذلك. حسنًا، كان الأمر كذلك. كنا قد خططنا معًا كيف سنسافر إلى فرنسا أو إيطاليا، إذا ما نجحت خطته هذه. الأمر يستلزم بعض المال، كما قال".

قال كالجري في نفسه إنه النهج المعتاد وتساءل عن عدد السيدات البائسات اللاتي وقعن في حبه".

قالت: "لا أعرف ما الذي سيطر عليّ. كنت على استعداد للقيام بأي شيء من أجله ... أي شيء".

قال كالجري: "متأكد أنكِ كنت ستفعلين".

قالت بمرارة: "أستطيع أن أقول إنني لست الوحيدة".

قام كالجري من مقعده.

وقال: "لفتة جميلة منك أن تخبريني بكل هذا".

"لقد مات الآن ... ولكني لن أستطيع نسيانه أبدًا. هذا الوجه القبيح .. وجه القردة!

الحزن الشديد الذي كان يبدو عليه ثم ضحكته. أوه، كانت له طريقته. لم يكن سيئًا تمامًا، متأكدة أنه لم يكن سيئًا تمامًا".

نظرت إليه في حزن.

ولكن لم يبد كالجري أية استجابة لنظرتها.

الحادي والعشرون

لم يكن هناك شيء ليخبر فيليب دورانت بأن هذا اليوم مختلف عن أي يوم آخر.

لم تكن لديه أدنى فكرة أن اليوم سيحدد مستقبله إلى الأبد.

استيقظ وهو في صحة جيدة وحالة مزاجية رائعة. كانت شمس الخريف الباهتة تسطع خارج نافذة. لقد اتصلت به كريستين وأخبرته برسالة رفعت من روحه المعنوية.

أخبر ماري قائلًا حين جاءت بوجبة إفطاره: "تينا آتية لتناول الشاي".

"حقًا؟ أوه، أجل، بالطبع، لديها إجازة، أليس كذلك؟".

بدت ماري منشغلة البال.

"ما الخطب يا بولي؟".

"لا شيء".

أخذت تقطع البيضة التي سيتناولها. وعلى الفور، شعر بالضيق.

"مازال بإمكاني استخدام يدي، يا بولي".

"أوه، ظننت أن هذا سيوفر عليك المشقة".

"كم أبلغ من العمر في رأيك؟ ستة أعوام؟".

بدت متفاجئة بعض الشيء، ثم قالت فجأة:

"هيستر ستأتي اليوم".

"هل ستأتي فعلًا؟" قالها على نحو مبهم؛ لأن ذهنه كان منشغلًا بخططه للتعامل مع تينا، ثم لاحظ تعبير وجه زوجته.

"بحق الله، يا بولي، أتظنين أني أُكِنُّ عاطفة آثمة للفتاة؟".

أشاحت بوجهها.

"أنت تقول دومًا إنها جميلة للغاية".

"هي كذلك فعلًا. إن كان يعجبك الوجه الجميل بارز العظام واللمحة الملائكية"،

ثم أضاف بجفاء: "ولكني لم أعد جذابًا، أليس كذلك؟".

"لعلك كنت تتوق لتكون كذلك".

"لا تكوني سخيفة يا بولي. لم أكن أعرف أن لديك نزعة للغيرة".

"أنت لا تعرف شيئًا عني".

حدق إليها ليرد على ذلك، ولكنه صمت لبرهة. خطر على باله وهو يشعر بالصدمة بعض الشيء أنه ربما لم يعرف الكثير عن ماري.

واصلت حديثها قائلة:

"أريد لنفسي ... لي وحدي. لا أريد أحدًا بالعالم سوى أنا وأنت".

"لن نجد ما نتحدث فيه، يا بولي".

تحدث برفق، ولكنه شعر بعدم الارتياح. فجأة تبددت إشراقة النهار.

قالت: "هيا نعد إلى البيت، يا فيليب، من فضلك هيا نعد".

"قريبًا سنعود، ولكن ليس الآن. الأمور في سبيلها للحل. كما أخبرتك، ستأتي تينا بعد ظهر اليوم". وواصل حديثه على أمل أن يحول فكرها إلى موضوع جديد: "إنني أعلق آمالًا عظيمة على تينا".

"كيف؟".

"تينا تعرف شيئًا".

"تقصد بخصوص ... جريمة القتل؟".

"أجل".

"ولكن كيف يمكنها أن تعرف؟ لم تكن موجودة في تلك الليلة".

"أنا أتشكك الآن. أظن أنها كانت موجودة. من المثير أن تظهر أشياء صغيرة لتساعدنا. تلك الخادمة، السيدة ناركوت ... السيدة الطويلة، أخبرتني بشيء".

"بم أخبرتك؟".

"شائعات تنتشر في القرية. السيدة فلانة أو ابن السيدة إرني ... لا، سيريل. ذهب مع والدته إلى قسم الشرطة. قال شيئًا عن تلك الأمسية التي قُتلت فيها السيدة أرجيل".

"ما الذي رآه؟".

"حسنًا، كانت السيدة ناركوت غير واضحة. ولكنها لم تعرف التفاصيل بعد من السيدة فلانة. ولكن يمكن أن يخمن المرء، أليس كذلك يا بولي؟ سيريل لم يكن

موجوداً داخل المنزل، لابد أنه رأى شيئًا خارج المنزل. وهذا يعطينا احتمالين. إما أنه رأى ميكي أو تينا. تخميني أن تينا جاءت إلى هنا في تلك الليلة".

"لقالت ذلك لو أنها جاءت إلى هنا".

"ليس بالضرورة. من الواضح أن تينا تعرف شيئًا لا تخبرنا به. لنفترض أنها جاءت في تلك الليلة. لعلها دخلت المنزل ووجدت أمها مقتولة".

"وخرجت مرة أخرى من دون أن تقول شيئًا؟ هراء!".

"لعل هناك أسبابًا ... لعلها رأت شيئًا أو سمعت شيئًا جعلها تظن أنها تعرف الفاعل".

"لم تكن مغرمة بـ جاكو على الإطلاق. أنا متأكدة أنها لن ترغب في التستر عليه".

"إذن، لعلها لم تَشُكّ في جاكو ... ولكن فيما بعد، حين ألقي القبض على جاكو، اعتقدت أن ما تشك فيه كان خطأ تمامًا، ومادامت قالت إنها لم تأتِ فلابد أن تصر على أقوالها، ولكن الآن الأمر مختلف".

قالت ماري في نفاد صبر:

"هذه مجرد تخيلات، يا فيليب. أنت تتخيل الكثير من الأشياء التي من المستحيل أن تكون صحيحة".

"بلى من المحتمل أن تكون صحيحة تمامًا. سأحاول أن أجعل تينا تخبرني بما تعرف".

"لا أصدق أنها تعرف أي شيء. أتظن حقًا أنها تعرف الجاني؟".

"لا يمكنني الشطط في التفكير إلى هذا الحد، ولكن أظن أنها إما رأت ... أو سمعت ... شيئًا. أود أن أكتشف ما هذا الشيء".

"لن تخبرك تينا بشيء لو لم ترغب في ذلك".

"أجل، أوافقك الرأي. وهي تجيد الاحتفاظ بالأمور لنفسها. وجهها يخلو من التعبيرات. لا تبدي أي شيء مطلقًا. ولكنها لا تجيد الكذب ... لا تتقن الكذب مثلما تتقنينه أنت مثلًا ... سأتبع طريقة التخمين. ولكني سأصوغ تخمينات على هيئة أسئلة. لتجيب عنها بـ نعم أو لا. أتعلمين ما الذي سيحدث بعد ذلك؟ احتمال من ثلاثة احتمالات. إما ستقول نعم ... وهذه الإجابة ستكون الحقيقة. أو ستقول لا ... ونظرًا لأنها لا تجيد الكذب سأعرف ما إذا كانت صادقة أم لا. وإما أن ترفض أن تجيب عن السؤال ويخلو وجهها من التعبيرات ... وهذا الاحتمال يا بولي جيد تمامًا مثل احتمال الإجابة بـ نعم. يجب أن تعترفي بأن أسلوبي هذا سيجعلنا نتوصل لاحتمالات".

"أوه، دع الأمر وشأنه، يا فيل! دع الأمر وشأنه! سيخفت الاهتمام بهذا الأمر وسيُنسى".

"كلا. يجب أن يتضح هذا الأمر، وإلا فسنجد هيستر تلقي بنفسها من النافذة وستعاني كريستي انهياراً عصبياً. لقد انسحب ليو إلى حالة من العزلة. أما بالنسبة لـ جويندا المسكينة، فهي بصدد قبول منصب في روديسيا".

"ما أهمية ما يحدث لهم؟".

"لا أحد مهم سوانا ... هذا ما تعنيه؟".

كان وجهه صارماً وغاضباً. وهذا جعل ماري تتفاجأ. لم تَرَ زوجها على هذه الحالة من قبل.

واجهته في تحدٍّ.

وسألته: "لماذا ينبغي عليّ الاهتمام بالآخرين؟".

"لم تهتمي مطلقاً، أليس كذلك".

"لا أفهم ما تقصده".

تنهد فيليب بحدة في سخط. وأزاح صينية إفطاره جانباً.

"خذي هذه الصينية معكِ. لم أعد راغباً في شيء".

"ولكن فيليب..."

أشاح بيده في نفاد صبر. حملت ماري الصينية وخرجت من الغرفة. دفع فيليب نفسه على الكرسي المتحرك ناحية المكتب. أمسك بالقلم وحدق إلى خارج النافذة. شعر بضيق غريب في صدره. كان يملؤه الحماس قبل وقت قصير. والآن يشعر بضيق وضجر.

ولكنه استجمع شتات نفسه على الفور. وأخذ يكتب ورقتين بسرعة، ثم جلس يفكر.

كان الأمر معقولاً. كان ممكناً. ولكنه لم يشعر تماماً بالرضا. هل هو فعلاً على الطريق الصحيح؟ ليس باستطاعته التأكد من ذلك. الدافع. الأمر ينقصه الدافع. هناك بعض العوامل التي أغفل عنها.

تنهد في نفاد صبر. لا يكاد يطيق انتظار وصول تينا. لو أن الأمر اتضح ولو فيما بينهم وحسب. هذا هو أهم ما في الموضوع. بمجرد أن يعرفوا ... إذن سيتحررون؛ يتحررون من جو الشبهات والآمال الخانق. سيستطيعون أن يستكملوا حياتهم جميعاً باستثناء شخص واحد. وسيعود هو وماري إلى بيتهما و...

توقف عن التفكير. وخفت الحماس مرة أخرى. لقد واجه مشكلته الخاصة؛ إنه لا

يرغب في العودة إلى البيت ... أخذ يفكر في الترتيب المثالي والسجاجيد البراقة والنحاس اللامع. يا له من قفص نظيف ولامع ومُعتنى به جيداً! وهو في القفص، مقيد في كرسيه المتحرك، تحيطه رعاية زوجته المحبة.

زوجته ... حين يفكر في زوجته، بدا أنه يفكر في شخصين؛ الفتاة التي تزوجها الشقراء ذات العينين الزرقاوين اللطيفة المتحفظة. تلك الفتاة التي أحبها، الفتاة التي كان يمازحها بينما هي تحدق إليه مقطبة الجبين في ارتباك. كانت هذه بولي الخاصة به. ولكن الآن هو أمام ماري أخرى ... ماري الصلبة كالفولاذ، برغم أنها عاطفية فإنها غير قادرة على الحب ... ماري التي لا يهمها أحد سوى نفسها، وهو لا يهمها إلا لأنه ملكها.

وخطر على باله بيت شعر باللغة الفرنسية ... يقول:

وقعت فينوس في براثين ضحيتها.

وماري هذه لا يحبها. وراء تلك العينين الزرقاوين الباردتين كانت ماري الغريبة عنه ... إنسانة غريبة لا يعرفها.

ثم ضحك في نفسه. ازداد توتره وعصبيته مثل جميع من بالمنزل. تذكر حماته وهي تحدثه عن زوجته؛ عن تلك الفتاة اللطيفة الشقراء الآتية من مدينة نيويورك، عن الطفلة التي طوقت عنق السيدة أرجيل بذراعيها وصاحت: "أود أن أبقى معكِ. لا أريد أن أتركك أبداً".

كان هذا حبًا، أليس كذلك؟ وبرغم ذلك ... كم اختلفت ماري. هل يستطيع المرء أن يتغير كثيراً بين مرحلة الطفولة والشباب؟ كم من الصعب، بل ومن المستحيل أن تعبّر ماري عن حبها، أن تكون معبرة عن حبها؟

وبالتأكيد في تلك الحالة ... تجمدت أفكاره. أم أن الأمر بسيط للغاية حقًا؟ لم يكن عاطفة ... بل كانت حسابات العقل. غاية تبرر الوسيلة. كانت تتعمد إبراز العاطفة. هل كانت ماري تستطيع الحصول على ما تريده؟

كل شيء تقريباً قاله في نفسه ... اندهش في نفسه من التفكير في هذا الأمر.

ألقى بالقلم في غضب، ودفع كرسيه المتحرك وخرج من غرفة الجلوس إلى غرف النوم المجاورة. ودفع كرسيه ناحية التسريحة. وأمسك بالفرشاة وأخذ يصفف شعره؛ حيث كان يتطاير فوق جبهته. بدا وجهًا غريباً له.

تساءل في نفسه من أكون وإلى أين أنا ذاهب؟ أفكار لم تخطر على باله من قبل ... دفع كرسيه بالقرب من النافذة وتطلع خارجها. أسفلها وقفت واحدة من الخدم عند نافذة المطبخ تتحدث إلى أحد بالداخل. كانت أصواتهم تصعد إليه بلكنتها المحلية الرقيقة.

اتسعت عيناه وبقي كأنه فاقد الوعي.

انتبه من الأفكار التي تشغله على صوت آتٍ من الغرفة المجاورة. دفع نفسه بالكرسي المتحرك إلى الغرفة الملحقة.

كانت جويندا فوجان تقف بالقرب من المكتب. التفتت إليه وتفاجأ من رؤية الإجهاد على وجهها في صباح يوم مشرق.

"أهلًا، جويندا".

"أهلًا فيليب. ظن ليو أنك قد ترغب في قراءة جريدة إليستريدت لندن نيوز".

"أوه، شكرًا لك".

قالت جويندا وهي تنظر من حولها: "غرفة جميلة. لا أعتقد أنني دخلتها من قبل".

قال فيليب: "أشبه بالجناح الملكي، أليس كذلك؟ بعيدًا عن الجميع. مثالي للمرضى والمتزوجين حديثًا".

تمنى بعد فوات الأوان لو أنه لم ينطق الكلمتين الأخيرتين. ارتجف وجه جويندا.

قالت بغموض: "عليّ أن أنجز بعض المهام".

"السكرتيرة المثالية".

"لم أعد كذلك هذه الأيام. إنني أرتكب أخطاءً".

"ألا نرتكب جميعًا أخطاء؟"، ثم أضاف عن عمد: "متى ستتزوجين أنت وليو؟".

"ربما لن نتزوج أبدًا".

قال فيليب: "ستكون هذه غلطة حقيقية".

"يعتقد ليو أن هذا الأمر قد يسفر عنه تفسير سلبي ... من جانب الشرطة!".

كان بصوتها نبرة مريرة.

"جازفي بكل شيء يا جويندا، يضطر المرء إلى خوض بعض المخاطر".

قالت جويندا: "أنا على استعداد للمخاطرة. لم أعبأ قط بخوض المخاطر. أنا على استعداد للمقامرة بالسعادة، ولكن ليو..."

"أجل؟ ليو؟".

قالت: "سيموت ليو كما عاش؛ زوجًا لـ راشيل أرجيل".

تفاجأ بالغضب والمرارة التي رآهما في عينيها.

قالت جويندا: "ولعلها لا تزال على قيد الحياة .. إنها موجودة هنا ... في هذا المنزل ... طوال الوقت ..."

الثاني والعشرون

1

أوقفت تينا سيارتها على العشب بجوار حائط المدفن، ثم أزالت الغلاف الورقي بحرص من فوق الزهور التي جلبتها معها، وسارت عبر بوابة المقبرة وعلى طول الطريق الرئيسي. لم تعجبها المقبرة الجديدة. تمنت لو كان ممكنًا للسيدة أرجيل أن تدفن في المدافن القديمة التي تحيط بها دار العبادة. بدا أن هناك سلامًا آتيًا من عالم قديم يعم حيث شجر الصنوبر والأحجار المكسوة بالطحالب. في هذه المقبرة الجديدة جدًا والمرتبة جدًا ذات الممشى الرئيسي والممرات المتشعبة، بدا كل شيء مصقلًا ومصنوعًا بالجملة مثل محتويات المتاجر.

كان ضريح السيدة أرجيل في حالة جيدة؛ كان عبارة عن مربع رخامي يحيط به طبقات من الجرانيت، ومن وراء القبر بُني حجر الشاهد من الجرانيت أيضًا.

انحنت تينا، وهي تمسك بأزهار القرنفل، لتقرأ الكلمات المنقوشة على الضريح. "في ذكرى راشيل لويس أرجيل"، ومن أسفلها عبارة:

"سيكبر أبناؤها ويدعون لها بالرحمة".

سمعت وقع أقدام من خلفها والتفتت تينا متفاجئة.

"ميكي!".

"رأيت سيارتك فتبعتك. على أية حال ... كنت قادمًا إلى هنا".

"كنت آتيًا إلى هنا؟ لماذا؟".

"لا أعرف. ربما لأقول وداعًا".

"وداعًا ... لها".

أومأ برأسه.

"أجل. لقد قبلت وظيفة شركة البترول التي أخبرتك بها. سأسافر في غضون ثلاثة أسابيع تقريبًا".

"وجئت إلى هنا لتودع والدتنا أولًا؟".

"أجل. ربما لأشكرها وأعتذر لها".

"علام تعتذر، يا ميكي؟".

"لست آسفًا لأنني قتلتها إن كان هذا ما تحاولين التلميح إليه. هل تعتقدين أنني قتلتها، يا تينا؟".

"لست واثقة".

"ولا يمكنك أن تثقي الآن أيضًا، أليس كذلك؟ أقصد أنه لا فائدة من أن أخبرك بأنني لم أقتلها".

"لماذا تعتذر إذن؟".

قال ميكي بتروٍّ: "لقد فعلت الكثير من أجلي. ولم أُبْدِ ولو القليل من الامتنان. كنت أكره كل شيء تفعله. لم أقل لها كلمة طيبة مطلقاً أو أنظر لها بحب. أتمنى الآن لو أنني كنت قد فعلت، هذا كل ما في الأمر".

"متى توقفت عن كرهها؟ بعد وفاتها؟".

"أجل، أجل، أظن ذلك".

"لم تكن تكرهها، أليس كذلك؟".

"نعم .. نعم. كنت محقة بخصوص هذا. كنت أكره أمي الحقيقية؛ لأنني كنت أحبها؛ لأنني كنت أحبها، ولم تكن هي تهتم بأمري مطلقاً".

"والآن ألم تعد تشعر بالغضب حيال ذلك؟".

"نعم. لا أظن أنه كان بإمكانها تمالك نفسها. على أية حال، المرء يولد على ما هو عليه. كانت امرأة مرحة وسعيدة؛ مولعة بالرجال جداً؛ مولعة بالشراب جداً، وكانت لطيفة مع أبنائها حين يروقها التصرف بلطف. ما كانت لتسمح لأحد أن يؤذي أبناءها. ومع ذلك، لم تكن تهتم بأمري! كل هذه السنوات رفضت استيعاب هذه الفكرة. الآن تقبلتها". ثم مد لها يده وقال: "أعطني واحدة من أزهار القرنفل، يا تينا إذا سمحت؟" أخذها منها وانحنى ووضعها على القبر أسفل الشاهد. وقال: "إليكِ يا أمي. كنت ابنًا عاقًا لكِ، ولا أظن أنكِ كنت أماً حكيمة معي. ولكنكِ كنت تقصَدين الخير". نظر إلى تينا وقال: "هل هذا اعتذار جيد بصورة كافية؟".

قالت تينا: "أظن أنه سيؤدي الغرض".

انحنت ووضعت باقة زهور القرنفل على شاهد القبر.

"هل تترددين على المجيء إلى هنا وتضعين الزهور على قبرها؟".

قالت تينا: "آتي إلى هنا مرة في العام".

قال ميكي: "تينا الصغيرة".

استدارا معًا وسارا على طول ممر المقبرة.

قال ميكي: "لم أقتلها، يا تينا. أقسم بأنني لم أقتلها. أريد منكِ أن تصدقني".

قالت تينا: "كنت موجودة في تلك الليلة".

التفت إليها.

"هل كنت موجودة هنا؟ تقصدين في صني بوينت".

"أجل. كنت أفكر في تغيير وظيفتي. وكنت أرغب في استشارة أبي وأمي بخصوص هذا الأمر".

قال ميكي: "حسنًا، واصلي".

وعندما سكتت عن الحديث، أخذها من ذراعها وهزها. قال: "واصلي، يا تينا. يجب أن تخبريني".

قالت تينا: "لم أخبر أحداً بهذا الأمر حتى الآن".

قال ميكي مرة أخرى: "واصلي".

"قدت سيارتي إلى هناك. لم أقد السيارة مباشرة إلى بوابة المنزل. كما تعلم هناك موضع في منتصف الطريق يسهل الالتفاف من عنده؟".

هز ميكي رأسه.

"خرجت من السيارة وسرت نحو المنزل. شعرت بالتردد في نفسي. أنت تعرف كم من الصعب أن تتحدث مع أمي نوعًا ما. أقصد أنه كانت لها دومًا أفكارها الخاصة. أردت أن أصوغ القضية بوضوح بقدر ما يمكنني. ومن ثم سرت إلى المنزل ثم عدت مرة أخرى إلى السيارة، ثم عدت مرة أخرى. كنت أفكر في الأمور".

سألها ميكي: "كم كانت الساعة؟".

قالت تينا: "لا أعرف. لا أستطيع أن أتذكر الآن. أنا ... الوقت لا يعني الكثير بالنسبة لي".

قال ميكي: "أجل، يا عزيزتي. لديك دومًا تلك النزعة لعدم الاكتراث للوقت مطلقًا".

قالت تينا: "كنت أقف تحت الأشجار وأسير بخفة شديدة ...."

قال ميكي برقة: "أنت مثل القطة الصغيرة".

"...حينئذ سمعتهما".

"سمعت ماذا؟".

"شخصان يتهامسان".

شعر ميكي بتوتر: "ماذا؟ ماذا كانا يقولان؟".

"قالا ... أحدهما قال: "بين الساعة السابعة والسابعة والنصف. هذا هو الوقت المناسب. الآن، تذكر ذلك ولا تفسد الأمر. بين الساعة السابعة والسابعة والنصف". وهمس الشخص الآخر قائلًا: "يمكنك أن تثق بي"، ثم رد عليه الصوت الأول: "وبعد ذلك، يا عزيزتي، سيكون كل شيء رائعًا"".

ساد الصمت بينهما، ثم قال ميكي:

"حسنًا ... لماذا تكتمتِ على هذا الأمر؟".

ردت تينا قائلة: "لأنني لم أكن أعرف. لم أكن أعرف هوية الشخصين".

"ولكن بالتأكيد تعرفين ما إذا كان رجلًا أم امرأة؟".

قالت تينا: "لا أعرف. ألا تفهم حين يتهامس شخصان، فأنت لا تسمع صوتيهما. إنه مجرد ... حسنًا، مجرد همس. بالطبع، أظن ... أظن أنهما كانا رجلًا وامرأة بسبب ..."

"بسبب ما قالاه؟".

"أجل. ولكني لم أعرف هويتهما".

قال ميكي: "هل ظننت أنهما ربما يكونان أبي وجويندا؟" .

قالت تينا: "هذا محتمل، أليس كذلك؟ ربما كان هذا يعني أن جويندا كانت بصدد مغادرة المنزل وعادت مرة أخرى في هذه الفترة الزمنية، أو ربما كانت جويندا تخبر أبي بأن ينزل إلى الطابق السفلي بين الساعة السابعة والسابعة والنصف".

"إن كان الشخصان هما أبي وجويندا، ما كنت لترغبي في تسليمهما إلى الشرطة. أليس كذلك؟".

قالت تينا: "لو أنني متأكدة. ولكني لست متأكدة. من المحتمل أن يكونا شخصين آخرين. ربما كانا ... هيستر وشخصاً آخر؟ وربما كانت ماري، ولكن بالطبع ليس فيليب. كلا بالتأكيد ليس فيليب هو الشخص الآخر".

"حين قلتِ هيستر وشخص آخر، من تقصدين؟".

"لا أعرف".

"لم تريه ... أقصد الرجل؟".

قالت تينا: "كلا. لم أره".

"تينا، أظن أنك تكذبين. كان رجلًا، أليس كذلك؟".

قالت تينا: "عدت مرة أخرى إلى السيارة، ثم جاء شخص على الجانب الآخر من الطريق، بسرعة بالغة. كان مجرد ظل في الظلام. ثم ظننت ... ظننت أنني سمعت صوت محرك سيارة يدور عند نهاية الشارع".

قال ميكي: "ظننتِ إنني ذلك الرجل ..."

قالت تينا: "لا أعرف. ربما كنت أنت. كان ذلك الرجل في حجمك وطولك".

وصلا إلى سيارة تينا الصغيرة.

قال ميكي: "هيا، يا تينا، اركبي - سآتي معكِ. سنذهب إلى صني بوينت".

"ولكن، ميكي ...".

"لا فائدة من أن أقول لكِ إنني لم أكن ذلك الشخص، أليس كذلك؟ ماذا عساي أن أقول؟ هيا، قودي السيارة إلى صني بوينت".

"ما الذي ستفعله، يا ميكي؟".

"لماذا تعتقدين أنني سأفعل شيئًا؟ ألم تكوني بصدد الذهاب إلى صني بوينت على أية حال؟".

قالت تينا: "أجل، كنت ذاهبة. تلقيت رسالة من فيليب". أدارت محرك السيارة وجلس ميكي إلى جوارها متوترًا ومتجهمًا للغاية.

"تلقيت رسالة من فيليب؟ ما الذي يجب عليه أن يقوله؟".

"طلب مني أن أمر عليه؛ إنه يرغب في مقابلتي، هو يعرف أن اليوم نصف يوم عمل بالنسبة لي".

"حسنًا، ألم يخبرك بسبب رغبته في مقابلتك؟".

"قال إنه يريد أن يسألني سؤالًا ويتمنى أن أجيب عنه. قال إنني لا يتعين عليّ إخباره بشيء ... بل إنه سيخبرني هو بشيء. كل ما يجب عليّ القيام به هو الرد بنعم أو لا. قال لي أيًا كان ما تقولين فسيظل سرًا بيننا".

قال ميكي: "إذن، هو بصدد اكتشاف شيء، أليس كذلك؟ أمر مثير للاهتمام".

كان يفصلهما عن صني بوينت مسافة قصيرة جدًا، وحين وصلا إلى هناك، قال ميكي:

"ادخلي، يا تينا. أنا سأتجول في الحديقة قليلًا لأفكر في أمور. هيا اذهبي، قابلي فيليب".

قالت تينا:

"أنت لن ... سوف لا ..."

ضحك ميكي ضحكة قصيرة.

"تقصدين أنني سأنتحر بالقفز من ارتفاع شاهق؟ تينا أنت تعرفينني أفضل من ذلك".

قالت تينا: "أحيانًا أشعر بأن المرء لا يعرف الآخرين جيداً".

تركته وسارت ببطء نحو المنزل. تابعها ميكي بناظريه ومد رأسه إلى الأمام ووضع يديه بجيبه. كان متجهماً، ثم سار نحو زاوية المنزل متفقداً إياه وهو مستغرق في التفكير. خطر على باله كل ذكريات الصبا. هناك كانت شجرة المغنولية العجوز التي تسلقها عدة مرات ليدخل ويخرج من المنزل عبر النافذة. وهناك كانت القطعة الصغيرة التي كان يعتبرها حديقته الخاصة. لم يعن هذا أنه كان يحب الحدائق. كان دوماً يفضل الألعاب الآلية التي يتعين عليها تجميع القطع الخاصة بها وتفكيكها. قال في نفسه وقد بدا عليه التسلية: "شيطان صغير مدمر".

يا إلهي! المرء لا يتغير كثيراً.

2

داخل المنزل، التقت تينا بـ ماري في الرواق. بدت ماري متفاجئة من رؤيتها.

قالت: "تينا! هل جئتِ من ريدمين؟".

قالت تينا: "أجل، ألم تعرفي أنني آتية؟".

قالت ماري: "لقد نسيت. أعتقد أن فيليب ذكر هذا".

ثم استدارت.

وقالت: "أنا ذاهبة إلى المطبخ لأرى ما إذا كان شراب شعير اللبن قد جاء أم لا؛ يروق لـ فيليب أن يتناوله كآخر شيء في المساء. لقد أخذت كريستين القهوة له. إنه يحب القهوة أكثر من الشاي. يقول إن الشاي يسبب له عسر هضم".

قالت تينا: "لماذا تتعاملين معه كأنه عاجز، يا ماري؟ هو ليس عاجزاً تماماً".

بدت في عيني ماري الباردتين مسحة غضب.

قالت: "حين يكون لكِ زوج يا تينا، ستعرفين جيداً كيف يحب الأزواج أن يُعاملوا".

قالت تينا برفق:

"آسفة".

قالت ماري: "ليتنا نستطيع مغادرة هذا المنزل. وجود فيليب هنا أمر غاية في السوء"، ثم أضافت قائلة: "وستأتي هيستر الليلة".

قالت تينا متفاجئة: "هيستر؟ حقاً؟ لماذا؟".

"وكيف لي أن أعرف؟ لقد اتصلت الليلة الماضية وقالت هذا. لا أعرف موعد القطار الذي ستأتي به. أظن أنها ستأتي بالقطار السريع كالعادة. يجب أن يذهب أحد لمقابلتها في درايماوث".

اختفت ماري عبر الردهة المؤدية إلى المطبخ. ترددت تينا لدقيقة، ثم صعدت درج السلم. وما إن وصلت إلى أول باب على يدها اليمين حتى انفتح الباب وخرجت منه هيستر. تفاجأت برؤية تينا أمامها.

"هيستر! سمعت أنكِ قادمة ولكن ليست لدي أدنى فكرة أنكِ وصلتِ بالفعل".

قالت هيستر: "لقد أوصلني الدكتور كالجري. وصعدت إلى غرفتي مباشرة...لا أظن أن أحداً يعرف أنني وصلت".

"هل الدكتور كالجري موجود هنا الآن؟".

"كلا. لقد أوصلني وذهب إلى درايماوث. إنه يرغب في مقابلة أحدهم هناك".

"لم تعرف ماري أنكِ وصلتِ".

قالت هيستر: "ماري لا تعرف شيئاً على الإطلاق. هي وفيليب يعزلان نفسيهما عن كل شيء يدور حولهما. أظن أن أبي وجويندا في المكتبة. يبدو أن كل شيء يسير كما هو المعتاد".

"ولم لا؟".

قالت هيستر على نحو مبهم: "لا أدري حقاً. لقد ظننت أن الأمر سيتغير بعض الشيء".

مرت من جانب تينا ونزلت الدرج. مرت تينا أمام غرفة المكتبة وعلى طول الردهة متجهة إلى الجناح الموجود في نهايتها حيث يقيم الزوجان دورانت. كانت كريستين ليندستروم تقف خارج غرفة فيليب وبيديها صينية، أدارت رأسها بحدة.

قالت: "تينا! لقد أفزعتني. كنت بصدد إحضار القهوة والبسكويت إلى فيليب". رفعت يدها لتقرع الباب. انضمت إليها تينا.

وبعد أن طرقت الباب، فتحت كريستين الباب ودخلت الغرفة. كانت تسبق تينا قليلًا وقد حجبت قامتها الطويلة الرؤية عن تينا، ولكن تينا سمعت كريستي تشهق. رفعت ذراعيها وسقطت الصينية على الأرض وتهشم الفنجان والأطباق عند سياج المدفأة.

صاحت كريستين: "يا إلهي! يا إلهي!".

قالت تينا: "فيليب؟".

مرت بجوار السيدة وتقدمت إليّ حيث كان كرسي فيليب دورانت المتحرك قد دُفع نحو المكتب. ظنت أنه كان يكتب شيئًا. كان هناك قلم حبر ملقى إلى جوار يده اليمنى، ولكن رأسه كان ساقطًا إلى الأمام في وضع ملتوٍ وغريب. وعند مؤخرة جمجمته رأت شيئًا أشبه ببقعة حمراء زاهية تلطخ ياقته البيضاء.

قالت كريستين: "لقد قُتل. لقد قُتل ... طُعن. هنا من عند مؤخرة رأسه. طعنة صغيرة ومميتة".

وأضافت بنبرة صوت عالية قائلة:

"لقد حذرته، وفعلت كل ما بوسعي. ولكنه كان مثل الطفل ... مستمتعًا باللعب بأدوات خطيرة ... غير مدرك إلى أين هو ذاهب".

ظنت تينا أن الموقف أشبه بكابوس. وقفت بهدوء إلى جانب مرفق فيليب، تنظر إليه بينما رفعت كريستين يده المتراخية وجست معصمه لتفحص النبض الذي تلاشى. ماذا كان يريد أن يسألها؟ وأيًا ما كان يريده، فلن يسألها أبدًا بعد الآن. من دون تفكير موضوعي، كان ذهن تينا يستوعب تفاصيل كثيرة ويسجلها. أجل كان يكتب شيئًا. كان القلم موجودًا، ولكن لم يكن هناك ورق أمامه. ليس هناك شيء مكتوب. أيًا من قتله فلقد أخذ ما كان يكتبه. قالت بنبرة هادئة وبطريقة آلية:

"يجب أن تخبري الآخرين".

"أجل، أجل، يجب أن ننزل إليهم. يجب أن نخبر والدك".

وخرجت المرأتان من الباب جنبًا إلى جنب. كانت كريستين تحيط تينا بذراعها. وقعت عينا تينا على الصينية والأواني المكسورة.

قالت كريستين: "هذا لا يهم. كل هذا يمكن تنظيفه في وقت لاحق".

كادت تينا أن تتعثر ولكن كريستين سندتها بذراعها.

"خذي حذرك. ستقعين".

وسارا عبر الردهة. كان باب غرفة المكتبة مفتوحاً. خرج من المكتبة ليو وجويندا. قالت تينا بنبرة واضحة ومنخفضة:

"لقد قُتل فيليب. طُعن".

ظنت تينا أن الموقف أشبه بحلم. صاح أبوها في صدمة ومرت جويندا من أمامها متجهة إلى غرفة فيليب ... إلى فيليب الذي توفي. غادرت كريستين وهرعت لتنزل درج السلم.

قالت: "يجب أن أخبر ماري. يجب أن نخبرها برفق. ماري المسكينة. ستكون صدمة رهيبة بالنسبة لها".

تبعتها تينا ببطء. كانت تشعر بدوار شديد لم تشعر به من قبل كأنها في حلم، وشعرت بألم يعتصر قلبها. إلى أين كانت ذاهبة؟ لم تكن تعرف. لم يكن هناك شيء حقيقي. وصلت إلى الباب الأمامي المفتوح وعبرته، حينئذ رأت ميكي يأتي من عند زاوية المنزل. وسارت تلقائياً كأن أقدامها تقودها مباشرة إليه.

قالت: "ميكي. أوه، ميكي!".

فتح لها ذراعيه. وألقت بنفسها بينهما.

قال ميكي: "لا عليكِ، أنا معكِ".

انهارت تينا برفق بين ذراعيه. وسقطت على الأرض في كومة صغيرة، بينما جاءت هيستر تركض آتية من المنزل.

قال ميكي يائساً: "لقد فقدت الوعي. لم أكن أعرف مطلقاً أن تينا تفقد وعيها".

قالت هيستر: "يا لها من صدمة بالنسبة لها!".

"ماذا تقصدين ... بصدمة؟".

قالت هيستر: "لقد قُتل فيليب. ألم تعرف؟".

"كيف لي أن أعرف؟ متى؟ كيف؟".

"حالاً".

حدق إليها، ثم التقط تينا بين ذراعيه. وبمصاحبة هيستر، حمل ميكي تينا إلى غرفة الجلوس الخاصة بالسيدة أرجيل ووضعها على الأريكة.

ثم قال: "اتصلي بدكتور كريج".

قالت هيستر وهي تنظر إلى خارج النافذة: "ها هي سيارته. لقد اتصل به أبي بخصوص فيليب. أنا ..."، ونظرت من حولها وقالت: "أنا لا أريد مقابلته".

خرجت مسرعة من الغرفة وصعدت درج السلم.

خرج دونالد كريج من سيارته ودخل من الباب الأمامي المفتوح. خرجت كريستين من المطبخ لمقابلته.

"مساء الخير، آنسة ليندستروم. ما الذي سمعته؟ السيد أرجيل أخبرني بأن فيليب دورانت قُتل. قُتل؟".

ردت كريستين: "صحيح تمامًا".

"هل اتصل السيد أرجيل بالشرطة؟".

"لا أعرف".

قال دون: "أليس من المحتمل أنه جُرح وحسب؟"، استدار ليخرج حقيبة الأدوات الطبية من السيارة.

قالت كريستين: "نعم". كان صوته مجهدًا وخاليًا من الانفعالات. واستطردت قائلة: "لقد مات. أنا واثقة تمامًا من ذلك. لقد طُعن ... هنا".

وضعت يدها عند مؤخرة رأسها.

خرج ميكي إلى الرواق.

قال: "أهلًا، دونالد، من الأفضل أن تلقي نظرة على تينا. لقد فقدت وعيها".

"تينا؟ أوه، هذه ... تلك الفتاة من ريدمين، أليس كذلك؟ أين هي؟".

"إنها في الداخل هنا".

"سألقي نظرة عليها قبل أن أصعد إلى الطابق العلوي". وبينما كان في طريقه إلى الغرفة التفت ليتحدث إلى كريستين قائلًا: "يجب أن تظل دافئة، أحضري لها شايًا أو قهوة بمجرد أن تستفيق. أنت تعرفين الإسعافات الأولية ...".

أومأت كريستين.

"كريستي!" خرجت ماري دورانت ببطء من المطبخ على طول الرواق ... ذهبت إليها كريستين ... ونظر إليها ميكي بائسًا.

تحدثت ماري بصوت عالٍ أجش: "هذا ليس صحيحًا. ليس صحيحًا! هذه كذبة من صنعك. كان بخير حين تركته. كان بخير تمامًا. كان يكتب شيئًا ما. لقد أخبرته ألا يفعل. ما الذي جعله يفعل؟ لماذا كان عنيدًا؟ لماذا لم يترك المنزل حين أردت أنا ذلك".

قامت كريستين بكل ما بوسعها لتهدئتها وطمأنتها.

خرج دونالد كريج من غرفة الجلوس.

تساءل قائلًا: "من الذي قال إن الفتاة فقدت وعيها؟".

حدق إليه ميكي.

ثم قال: "ولكنها فقدت الوعي".

"أين كانت حين فقدت وعيها؟".

"كانت معي... خرجت من المنزل وسارت إليّ. ثم ... انهارت وحسب".

قال دونالد بصرامة: "انهارت، أليس كذلك؟ أجل، هي انهارت بالفعل". واتجه بسرعة ناحية التليفون وقال: "يجب أن أطلب سيارة إسعاف على الفور".

"سيارة إسعاف؟"، حدق إليه كل من كريستين وميكي. ويبدو أن ماري لم تسمع ما قاله.

طلب دونالد الرقم: "أجل، تلك الفتاة لم تفقد وعيها. لقد طُعنت. هل تسمعني؟ طُعنت من ظهرها. يجب أن ننقلها إلى المستشفى على الفور".

الثالث والعشرون

1

في غرفة الفندق، راجع آرثر كالجري الملاحظات مراراً وتكراراً.

ومن وقت لآخر، كان يومئ برأسه.

أجل ... الآن هو على الطريق الصحيح. لقد أخطأ من البداية حين ركز على السيدة أرجيل. كان هذا الإجراء الصحيح في تسع حالات من العشر. ولكن كانت هذه الحالة العاشرة الاستثنائية.

وعلى طول الطريق، أحس بوجود عامل مجهول. إن كان بإمكانه عزل هذا العامل وتحديده، سيتم حل هذه القضية. وفي أثناء السعي لاكتشاف هذا العامل، كان منشغلاً بالسيدة المقتولة. ولكنه اكتشف الآن أن السيدة المقتولة لم تكن مهمةً. أية ضحية كانت ستؤدي الغرض بطريقة أو أخرى.

لقد حول تفكيره ... حوله للعودة إلى اللحظة التي بدأ عندها كل هذا. لقد حوله ليعود إلى التفكير في جاكو.

ليس في جاكو شاب حوكم ظلماً على جريمة لم يرتكبها ... ولكن ليفكر في جاكو، طبيعة النفس البشرية. هل كان جاكو - باستخدام كلمات الموروثات الثقافية القديمة - "أداة مقدرة للتدمير". لقد مُنح كل فرصة في الحياة، أليس كذلك؟ كانت وجهة نظر الدكتور ماكماستر أنه واحد من الأشخاص المقدر لهم الانحراف منذ ولادتهم؛ ومن ثم لن تتمكن الظروف أن تساعده أو تنقذه. هل هذا صحيح فعلاً؟ لقد تحدث عنه ليو أرجيل في شفقة وتدليل. كيف وصفه؟ "واحدة من فلتات الطبيعة". لقد تقبل هذا التعليل النفساني الحديث؛ بوصفه مريضاً، لا مجرماً. ما الذي قالته هيستر؟ قالت بصراحة إن جاكو كان بشعاً دائماً!

عبارة طفولية بسيطة. ما الذي قالته كريستين ليندستروم؟ قالت إن جاكو كان خبيثاً! أجل لقد قالت عبارتها بوضوح بالغ واصفة إياها... خبيثاً! ولقد قالت تينا عنه: "لم أحبه أو لم أثق به قط". هكذا، كان الجميع متفقين بشكل عام على الرأي نفسه، أليس كذلك؟ والحالة الوحيدة التي انتقلوا فيها من المنظور العام إلى المنظور الخاص هو عند مناقشة أمر أرملته. لقد فكرت مورين كليج في جاكو من وجهة

نظرها تمامًا. لقد ضيعت نفسها بسبب جاكو. لقد انساقت وراء جاذبيته، وكانت تكره تلك الحقيقة. والآن، بعد أن حظيت بزيجة مستقرة، أخذت تردد وجهة نظر زوجها. لقد حكت لـ كالجري بعض ممارسات جاكو المريبة، والطرق التي كان ينتهجها للحصول على الأموال. الأموال...

وفي مخيلة آرثر كالجري المنهكة بدت الحروف العملاقة للكلمة تتراقص على الجدار. أموال! أموال! أموال! رأى الكلمة أشبه بالنغمة الرئيسية في لحن الأوبرا. أموال السيدة أرجيل! أموال في صندوق الائتمان! أموال مخصصة كدخل سنوي! عقارات تتركها لزوجها! أموال تسحب من البنك! أموال في أدراج المكتب! هيستر تسرع إلى سيارتها ولا تجد مالًا في حقيبتها، تأخذ جنيهين من كريستين ليندستروم. أموال تضبط مع جاكو، ويقسم أن والدته أعطته المال.

الأمور كلها لها نمط ... نمط متشابك من التفاصيل غير ذات الصلة بموضوع المال.

ومن المؤكد أن في هذا النمط عاملًا مجهولًا قد صار واضحًا.

نظر إلى ساعته. لقد وعد هيستر بأن يتصل بها في وقت محدد. أمسك بسماعة الهاتف وطلب الرقم.

وفي الحال جاءه صوتها بنبرة واضحة طفولية نوعًا ما.

"هيستر. هل أنت بخير؟".

"أوه، أجل، أنا بخير".

استغرق دقيقة أو دقيقتين ليفهم المغزى وراء النبرة التأكيدية لكلماتها، ثم قال بحدة:

"ماذا حدث؟".

"لقد قُتل فيليب".

"فيليب! فيليب دورانت؟".

بدا على كالجري الشك.

قالت هيستر: "أجل، وتينا أيضًا ... على الأقل لم تمت بعد. هي في المستشفى".

"أخبريني"، قالها بلهجة آمرة.

أخبرته. سألها واستجوبها استجوابًا دقيقًا حتى حصل على جميع الحقائق.

ثم قال متجهمًا:

"انتظريني، يا هيستر، أنا قادم إليك. سأكون معكِ"، ثم نظر إلى ساعته وقال: "في غضون ساعة. سأقابل رئيس المحققينَ هويش أولًا".

2

تساءل رئيس المحققين هويش قائلًا: "ما الذي تريد معرفته بالضبط، دكتور كالجري؟" ولكن قبل أن يستطيع كالجري من الرد على السؤال رن جرس الهاتف الموجود على مكتب هويس والتقط السماعة قائلًا: "أجل، أجل، يتحدث. دقيقة من فضلك". وسحب ورقة وأمسك بقلم واستعد لتدوين شيء. "أجل، تفضل. أجل"، ثم كتب شيئًا واستطرد قائلًا: "ماذا؟ كيف تتهجى الكلمة الأخيرة؟ حسنًا، فهمت. أجل، لا يبدو أن الأمر منطقي، أليس كذلك؟ حسنًا، لا شيء آخر؟ حسنًا. شكرًا". وضع سماعة الهاتف وقال: "هذا اتصال من المستشفى".

تساءل كالجري: "تينا؟".

أومأ رئيس المحققين برأسه.

"لقد استعادت وعيها لبضع دقائق".

تساءل كالجري: "هل قالت شيئًا؟".

"لا أعرف لماذا ينبغي أن أخبرك، يا دكتور كالجري".

قال كالجري: "لقد طلبت منك أن تخبرني لأنني أعتقد أن بإمكاني أن أساعدك في هذه المسألة".

نظر إليه هويش متأملًا.

ثم قال: "أنت تفكر في الأمر بجدية، يا دكتور كالجري، أليس كذلك؟".

"أجل، أفكر فيه. كما تلاحظ أنني أتحمل مسئولية إعادة فتح القضية، بل إنني أشعر بالمسئولية تجاه تلك المأساتين أيضًا. هل ستعيش الفتاة؟".

قال هويش: "يعتقدون ذلك. لقد أخطأ نصل السكين موضع القلب، ولكن الوضع خطير". هز رأسه وقال: "هذه هي المشكلة دومًا. لن يصدق الناس أن القاتل خطير. يبدو من الغريب أن أقول شيئًا كهذا، ولكنها الحقيقة. إنهم جميعًا يعرفون أن القاتل موجود بينهم. يجب أن يخبرونا بما يعرفونه. الشيء الوحيد الآمن حين يكون القاتل على مقربة منك هو أن تخبر الشرطة بأي شيء تعرفه على الفور. حسنًا، ولكنهم لم يخبرونا بشيء. إنهم يخفون شيئًا عني. كان فيليب دورانت رجلًا لطيفًا ... رجلًا ذكيًا،

ولكنه اعتبر الأمر أشبه بلعبة. لقد ظل يبحث بفضول وينصب الشراك للآخرين. ولقد توصل لشيء، أو ظن أنه توصل لشيء. وظن شخص آخر أنه توصل لشيء ما. والنتيجة: تلقيت مكالمة هاتفية تخبرني بمقتله، مطعونًا في مؤخرة رقبته. وهذه هي نتيجة العبث مع القاتل وعدم إدراك مخاطر هذا الأمر". صمت وتنحنح.

تساءل: "وتلك الفتاة؟".

قال هويش: "الفتاة تعرف شيئًا ما. شيئًا لم ترغب في التصريح به. في رأيي، إنها تحب الفتى".

"أنت تتحدث عن ... ميكي؟".

أومأ هويش برأسه. "أجل، يمكنني القول بأن ميكي مغرم بها، بطريقة أو أخرى. ولكن كونك مغرمًا بشخص ليس كافيًا إن كنت تفقد صوابك بسبب الخوف. أيًا ما كانت تعرفه فهو على الأرجح أخطر كثيرًا مما تدرك، ولهذا السبب بعد أن اكتشفت وفاة دورانت هرعت مباشرة إلى ذراعيه، واستغل الفرصة وطعنها في ظهرها".

"هذا مجرد تخمين من جانبك، أليس كذلك يا رئيس المحققين هويش؟".

"ليس تخمينًا تمامًا، يا دكتور كالجري. السكين كانت في جيبه".

"السكين الحقيقية؟".

"أجل. عليه دماء. سوف نحلل هذه الدماء، ستكون دماءها. دماءها ودماء فيليب دورانت!".

"ولكن ... من الممكن أن يكون".

"مَن الذي قال ليس مِن الممكن؟".

"هيستر. اتصلت بها وأخبرتني بكل شيء".

"حقًا فعلت؟! حسنًا، الحقائق بسيطة للغاية. لقد نزلت ماري دورانت إلى المطبخ، وتركت زوجها على قيد الحياة، الساعة الرابعة إلا عشر دقائق ... وفي تلك الفترة تواجد بالمنزل ليو أرجيل وجويندا فوجان بالمكتبة، وهيستر أرجيل في غرفة نومها بالطابق الأول، وكريستين ليندستروم بالمطبخ. وبعد الساعة الرابعة، وصل ميكي وتينا. ذهب ميكي إلى الحديقة وصعدت تينا الطابق العلوي تتبع كريستين التي أحضرت القهوة والبسكويت لـ فيليب. توقفت تينا لتتحدث إلى هيستر، ثم واصلت طريقها لتنضم إلى الآنسة ليندستروم ومعًا اكتشفا وفاة فيليب".

"وكل هذه الفترة، كان ميكي موجودًا في الحديقة. التأكيد هذا إثبات جيد لعدم تواجده داخل المنزل؟" "ما لا تعرفه، دكتور كالجري، هو وجود شجرة مغنولية ضخمة بجوار المنزل. اعتاد الأطفال تسلقها؛ وبخاصة ميكي. كانت هذه إحدى طرقه

للدخول إلى المنزل والخروج منه. كان بإمكانه أن يتسلق تلك الشجرة والدخول إلى غرفة دورانت وطعنه ثم يعود ويخرج مرة أخرى. أوه، هذا يحتاج إلى فترة قصيرة، ولكن من المذهل أن الجرأة تنجز أموراً مستحيلة أحياناً. وهو كان يائساً. كان عليه أن يمنع مقابلة تينا ودورانت بأي ثمن. وليكون في أمان اضطر إلى قتلهما".

فكر كالجري لمدة دقيقة أو دقيقتين.

"لقد قلت تواً، يا رئيس المحققين، إن تينا قد استعادت وعيها. ألا يمكنها أن تقول بالتحديد من طعنها؟".

قال هويش ببطء: "لم تكن منطقية. في الواقع، أشك أنها واعية بكل ما تعنيه الكلمة من معانٍ".

ابتسم ابتسامة واهنة.

"حسناً، دكتور كالجري، سأخبرك بما قالته بالضبط. بدايةً قالت اسماً. ميكي...".

قال كالجري: " إذن هي تتهمه".

قال هويش وهو يومئ برأسه: "هذا ما يبدو. باقي ما قالته ليس منطقياً. إنه غريب بعض الشيء".

"ماذا قالت؟".

ألقى هويش نظرة على النوتة الموجودة أمامه.

"ميكي"، ثم صمت لبرهة، وقال: "الفنجان كان فارغاً..."، صمت لبرهة مرة أخرى، ثم قال: "الحمامة على الصاري". نظر إلى كالجري وسأله: "هل يمكنك فهم أي شيء من هذا؟".

قال كالجري: "لا". هز رأسه وقال متعجباً: "الحمامة على الصاري... هذا يبدو شيئاً غريباً أن تقوله".

قال هويش: "ليس هناك صوارٍ وحمائم على حد علمنا. ولكن هذا يعني شيئاً ما بالنسبة لها، شيئاً في مخيلتها. ولكن ربما هذا ليست له علاقة بالقاتل. لا أحد يعلم بأي عالم من الخيال تحلق فيه".

صمت كالجري لدقيقة. جلس يفكر في الأمور مراراً، وقال: "هل ألقيت القبض على ميكي؟".

"لقد قمنا باحتجازه. سيتم توجيه التهمة إليه في غضون أربع وعشرين ساعة".

نظر هويش إلى كالجري في فضول.

"أظن أن ذلك الفتى، ميكي، ليس حلاً لقضيتك؟".

رد كالجري: "لا، لا، ميكي ليس الحل. حتى الآن ... لا أعرف"، ثم نهض وقال: "ما زلت أعتقد أن رأيي صحيح. ولكنني أعتقد أنه ليس لدي ما يكفي لتقديمه إليك لتصدقني. يجب أن أذهب إلى هناك مرة أخرى. يجب أن أقابلهم جميعاً مرة أخرى".

قال هويش: "حسنًا، توخّ الحذر، يا دكتور كالجري. بالمناسبة، ما وجهة نظرك؟".

قتل كالجري: "هل سيعني لك شيئًا إذا أخبرتك بأنني أعتقد أن هذه الجريمة جريمة عاطفية؟".

رفع هويش حاجبيه.

ثم قال: "هناك الكثير من العواطف، دكتور كالجري. الحب، الطمع، الجشع، الخوف، كلها عواطف".

قال كالجري: "حين أقول جريمة عاطفية أقصد ما يعنيه المرء عادةً حين يستخدم الكلمة".

قال هويش: "إذا كنت تقصد جويندا فوجان وليو أرجيل، فإن هذا ما كنا نظنه من البداية، ولكن لا يبدو أنه الاعتقاد الصحيح".

قال آرثر كالجري: "الأمر أكثر تعقيداً من ذلك".

الرابع والعشرون

حل الغسق مرة أخرى حين وصل آرثر كالجري إلى منزل صني بوينت في أمسية تشبه كثيراً تلك الأمسية التي جاء فيها لأول مرة إلى هناك. خطر على باله اسم فايبر بوينت بينما كان يقرع الجرس.

بدت الأحداث تعيد نفسها مرة أخرى. فتحت له هيستر الباب. كان هناك تعبير التحدي نفسه على وجهها، وكذلك بدت على ملامحها المسحة نفسها لمأساة بائسة. ومن خلفها في الرواق رأى هيئة كريستين ليندستروم المتشككة والمترقبة؛ كما رآها من قبل. كان التاريخ يعيد نفسه مرة أخرى.

ثم تغير نمط الأحداث. اختفى التشكك واليأس من وجه هيستر، وظهر فجأة على وجهها ابتسامة جميلة مرحبة.

قالت: "أنت! أنا سعيدة أنك أتيت!".

أخذ يديها بين يديه.

"أريد مقابلة والدك، يا هيستر. هل هو موجود بالمكتبة في الطابق العلوي؟".

"أجل، أجل هو هناك مع جويندا".

تقدمت كريستين ليندستروم نحوه.

قالت بنبرة اتهام: "لماذا جئت إلى هنا مرة أخرى؟ انظر إلى المشكلة التي أحضرتها معك آخر مرة! انظر ماذا حدث لنا جميعاً. لقد أفسدت حياة هيستر، وأفسدت حياة السيد أرجيل ... وحالتي وفاة! فيليب دورانت وتينا الصغيرة. وكل هذا صنيعة يدك ... صنيعة يدك أنت!".

قال كالجري: "تينا لم تمت بعد كما أن لدي شيئاً هنا لا أستطيع تركه دون أن أتمه".

وقفت كريستين تعوق طريقه أمام درج السلم متسائلة: "ما الذي يتعين عليك فعله؟".

قال كالجري: "يجب أن أنهي ما بدأته".

وبرفق بالغ وضع يده على كتفها وأزاحها قليلاً من طريقه. صعد درج السلم وتبعته

هيستر، ثم التفت وراءه ليقول لـ كريستين: "تعالي، يا آنسة ليندستروم، أود أن يكون جميعكم متواجدين هنا".

في المكتبة، كان ليو أرجيل يجلس على كرسي المكتب. وكانت جويندا فوجان جاثية على ركبتيها أمام المدفأة تحدق إلى الجمرات. رفعا بصريهما في دهشة.

قال كالجري: "آسف لأنني جئت إليكم من دون موعد سابق، ولكن كما قلت لهذين الاثنين، لقد جئت لأنهي ما بدأته"، ونظر من حوله وقال: "هل السيدة دورانت ما زالت متواجدة بالمنزل؟ أود أن تكون موجودة هنا أيضًا".

قال ليو: "أظن أنها ترتاح في غرفتها. إنها ... إنها لا تستطيع استيعاب الأمر".

"أرغب في تواجدها هنا على أية حال"، ثم نظر إلى كريستين وقال: "لعلك تذهبين وتحضرينها".

قالت كريستين متجهمة: "لعلها لا ترغب في المجيء".

قال كالجري: "أخبريها بأن هناك أمورًا قد ترغب في سماعها بخصوص وفاة زوجها".

قالت هيستر: "أوه، هيا، يا كريستي. لا تكوني مبالغة في الشكوك والإفراط في حمايتك لنا جميعًا. لا أعرف ما الذي سيقوله الدكتور كالجري، ولكن يجب أن نكون جميعًا متواجدين هنا".

قالت كريستين: "كما تريدين".

ثم خرجت من الغرفة.

قال ليو: "تفضل بالجلوس". وأشار إلى الكرسي الموجود إلى جانب المدفأة، جلس كالجري هناك.

قال ليو: "يجب أن تعذرني إن قلت الآن إنني تمنيت لو أنك لم تأتِ إلى هنا في المقام الأول، يا دكتور كالجري".

قالت هيستر بعنف: "هذا كلام مجحف. هذا كلام مجحف جدًا أن تقوله".

قال كالجري: "أعرف ما تشعر به حتمًا. لو وضعت نفسي مكانك سينتابني الشعور نفسه حتمًا. ولعلني أشاركك وجهة نظرك لفترة قصيرة، ولكن عند التعمق في التفكير لا أستطيع تصور أن بإمكاني القيام بشيء آخر".

دخلت كريستين الغرفة مرة أخرى وقالت: "ماري آتية".

جلسوا في صمت ينتظرون قدوم ماري، وعلى الفور دخلت ماري الغرفة. نظر كالجري إليها باهتمام؛ حيث إنها أول مرة يلتقي فيها بـ ماري. بدت هادئة ومتماسكة،

مهندمة في ملبسها، وشعرها مصفف بعناية. كان وجهها أشبه بقناع يخلو من التعبيرات، كان فيها شيء أشبه بامرأة تمشي في أثناء النوم.

قدمهما ليو لبعضهما. أومأت ماري برأسها قليلًا.

قال كالجري: "لفتة لطيفة منك أن تأتي، سيدة دورانت. أعتقد أنه يجب عليك سماع ما يتعين عليّ قوله".

قالت ماري: "كما تشاء. ولكن لا شيء ستقوله أو يقوله غيرك سيعيد فيليب إلى الحياة مرة أخرى".

وابتعدت قليلًا عنهم وجلست على كرسي بالقرب من النافذة. نظر كالجري من حوله.

"أولًا دعوني أَقُلْ هذا: حين جئت لأول مرة هنا، حين قلت لكم إنني أستطيع تبرئة اسم جاكو، أربكني استقبالكم للخبر الذي جئتكم به. ولكني الآن أفهم. ما أحدث تأثيرًا بالغًا لديّ هو ما قالته لي تلك الفتاة الجالسة هنا"، ونظر إلى هيستر واستطرد قائلًا: "في أثناء مغادرتي. قالت لي ليست العدالة هي ما تهم، ما يهم هو ما يحدث للبريء. وهناك عبارة في أحد الكتب القديمة تقول إن المحنة للبريء. وهذا ما عانيتموه كنتيجة للخبر الذي جئتكم به. ينبغي ألا يعاني البريء، ومن أجل إنهاء معاناة البريء جئت إلى هنا الآن لأقول ما يتعين عليّ قوله".

صمت لدقيقة أو دقيقتين؛ ولكن لم يتحدث أحد. وبنبرة صوته الهادئ والصارم واصل حديثه قائلًا:

"حين جئت إلى هنا أول مرة لم أجلب لكم ما ظننت أنه قد يوصف ببشرى خير. لقد قبلتم جميعًا بأن جاكو مذنب. كنتم جميعًا - إن جاز لي التعبير - راضين بهذا الأمر. كان أفضل حل ممكن لجريمة قتل السيدة أرجيل".

تساءل ليو: "أليس هذا الحديث قاسيًا نوعًا ما؟".

رد كالجري قائلًا: "كلا، إنها الحقيقة. كنتم جميعًا راضين باعتبار جاكو مجرمًا بما أنه ليس هناك احتمال حقيقي يفيد بأن غريبًا ارتكب جريمة القتل لأن في حالة جاكو يمكنك إيجاد الأعذار الضرورية. كان سيئ الحظ، مختلًا نفسيًا، غير مسئول عن تصرفاته، صعب المراس أو فتى منحرفًا بطبيعته! كل هذه الأوصاف يمكننا استخدامها اليوم برضا بالغ لتبرير تصرفات المذنب. لقد قلت سيد أرجيل إنك لا تلومه. قلت إن أمه - المجني عليها - ما كانت لتلومه. شخص واحد فقط هو من لامه". نظر إلى كريستين ليندستروم وقال: "أنت لمته. لقد قلت بكل صراحة وبساطة إنه كان خبيثًا. هذا هو الوصف الذي استخدمته، قلت: "كان جاكو خبيثًا"".

قالت كريستين ليندستروم: "ربما. ربما ... أجل، ربما قلت هذا. كان هذا

صحيحاً".

قال كالجري: "أجل، كان هذا صحيحاً. كان خبيثًا. لو لم يكن خبيثًا، لما حدث أي شيء من هذا. ومع ذلك أنت تعرفين جيداً أن الدليل الذي جئت به يبرئه من ارتكاب الجريمة الحقيقية".

قالت كريستين: "المرء لا يستطيع دومًا تصديق الأدلة. لقد أصبتَ بارتجاج في المخ. وأعرف جيداً ما تفعله الإصابة بالارتجاج في المخ في الآخرين. إنهم لا يتذكرون الأشياء بوضوح، بل بقدر من التشويش".

قال كالجري: "إذن هذا هو حلك للقضية؟ تظنين أن جاكو ارتكب تلك الجريمة بالفعل وأنه استطاع بطريق أو آخر تلفيق دليل تواجده في مكان آخر وقت وقوع الجريمة؟ هل هذا صحيح؟".

"أنا لا أعرف التفاصيل. أجل، شيء من هذا القبيل. ما زلت مصرة على أنه فعلها. كل المعاناة المستمرة هنا وحوادث القتل ... أجل، حوادث القتل البشعة ... كل هذا صنيعة يده. صنيعة يد جاكو!".

صاحت هيستر قائلة:

"ولكن كريستين، أنت كنت دومًا محبة لـ جاكو".

قالت كريستين: "ربما. أجل، ربما. ولكني مازلت أصر أنه كان خبيثًا".

قال كالجري: "أظن أنك محقة، ولكن مخطئة من ناحية أخرى. سواء أصبت بارتجاج في المخ أم لا، ما زالتَ ذاكرتي جيدة تماماً. في تلك الليلة التي قتلت فيه السيدة أرجيل، اصطحبت جاكو في سيارتي في الوقت المحدد. ليست هناك احتمالات أخرى ... وأكرر هذه الكلمات مؤكداً بشدة ... ليس هناك احتمال بأن جاكو أرجيل قتل والدته بالتبني في تلك الليلة؛ لأن دليل تواجده في مكان آخر وقت وقع الجريمة قوي لا طعن فيه".

تململ ليو في جلسته، واستطرد كالجري قائلًا:

"تظن أنني أكرر الشيء نفسه مراراً وتكراراً؟ ليس صحيحاً. هناك نقاط أخرى يجب أن تؤخذ في الاعتبار. إحدى هذه النقاط هي أقوال رئيس المحققين هويش بأن جاكو كان واثقاً جداً من تواجده بمكان آخر وقت وقوع الجريمة. كان الدليل حاضراً وجاهزاً؛ الأوقات، المكان كما لو أنه كان على علم بأنه قد يحتاج إلى هذا الدليل. وهذا له صلة قوية بالحوار الذي أجريته مع الدكتور ماكماستر، الذي له خبرة واسعة في حالات الجانحين. قال إنه لم يكن متفاجئًا من أن جاكو يحمل بذور القتل في قرارة نفسه، ولكنه كان متفاجئًا من أنه ارتكب جريمة القتل بالفعل. قال إن نوعية جرائم القتل التي قد يتوقع أن يرتكبها جاكو هي تلك الجرائم التي يشترك فيها مع شخص

آخر. ومن ثم، توصلت إلى نقطة سألت فيها نفسي: هل كان جاكو يعرف أنه سترتكب جريمة في تلك الليلة؟ هل كان يعرف أنه سيحتاج إلى دليل لإثبات تواجده في مكان آخر وقت وقوع الجريمة ولذا دبر لنفسه عن عمد هذا الدليل؟ وإن كان الأمر كذلك، فإن شخصاً آخر قتل السيدة أرجيل، ولكن ... كان جاكو يعرف أنها ستقتل ويستطيع المرء أن يقول إن جاكو كان محرضاً على جريمة القتل".

ثم وجه حديثه إلى كريستين ليندستروم:

"شعرت بذلك، أليس كذلك؟ ومازلت تشعرين بذلك أو ترغبين في الشعور بذلك؟ تشعرين بأن جاكو هو من قتلها، لا أنت ... تشعرين بأنك فعلت ذلك بناءً على أوامره وتحت تأثيره. ولذا، ترغبين أن تلقي باللوم كله عليه!".

قالت كريستين ليندستروم: "أنا؟ أنا؟ ما الذي تقوله؟".

قال كالجري: "أقول إن هناك شخصاً واحداً فقط في هذا المنزل بإمكانه أن يكون شريكاً مناسباً لـ جاكو أرجيل في ارتكاب الجريمة. وهذا الشخص هو أنت، آنسة ليندستروم. لـ جاكو سجل حافل، سجل لقدرته على إثارة العاطفة لدى السيدات في منتصف العمر. وكان يستغل هذه القدرة عن عمد. كانت لديه موهبة إقناع الآخرين". ومال إلى الأمام وقال برفق: "لقد أقنعك بحبه، أليس كذلك؟ لقد أقنعك بأنه يهمه أمرك، وأنه يرغب في الزواج بك، وبعد أن ينتهي من كل هذا، سيستطيع التحكم في أموال والدته، وأنك ستتزوجينه وستفرين معه إلى مكان آخر. هذا صحيح، أليس كذلك؟".

حدقت إليه كريستين، ولم تتحدث. بدا كأنها أصيبت بالشلل.

قال آرثر كالجري: "تم هذا بقسوة وجبن وعن عمد. جاء إلى هنا تلك الليلة وهو في حالة ماسة إلى مبلغ من المال، يلاحقه شبح الاعتقال والحبس بالسجن. لقد رفضت السيدة أرجيل أن تعطيه المال، وحين رفضت هي، ذهب إليك".

قالت كريستين ليندستروم: "هل تظن ... هل تظن أنني سآخذ أموال السيدة أرجيل لأعطيها له بدلاً من أن آخذ أموالي الخاصة؟".

قال كالجري: "لا، ستعطيه من مالك الخاص لو كان معك مال. ولكني لا أظن أنه كان لديك مال ... أنت لديك دخل جيد من الراتب السنوي الذي خصصته لك السيدة أرجيل، ولكني أظن أنه أتى على كل ما تملكين بالفعل، ومن ثم كان يائساً في تلك الليلة، وحين صعدت السيدة أرجيل إلى زوجها في المكتبة، خرجت من المنزل؛ حيث كان ينتظرك بالخارج وأخبرك بما يتعين عليك القيام به. أولاً، يجب أن تعطيه المال، ثم قبل أن يتمكن أحدهم من اكتشاف السرقة، يجب أن تُقتل السيدة أرجيل؛ لأنها ما كانت لتخفي جريمة السرقة. قال إن هذا سيكون سهلاً. كل ما عليك القيام به هو أن تفتحي أدراج المكتب لتجعل الأمر يبدو كأن لصاً دخل المنزل وضربها على مؤخرة

رأسها. ستكون الضربة غير مؤلمة، هكذا قال لكِ. لن تشعر بأي شيء. وهو بنفسه سيدبر دليلًا لإثبات تواجده في مكان آخر وقت وقوع الجريمة، ومن ثم يجب أن تكوني حريصة على القيام بهذا الأمر في حدود الوقت المناسب، بين الساعة السابعة والسابعة والنصف".

قالت كريستين: "هذا غير صحيح"، وبدأت ترتجف وهي تقول: "أنت مجنون لتقول أشياء كهذه".

ومع ذلك، لم يبد في صوتها أية نبرة استياء. من الغريب أن صوتها كان آليًا ومرهقًا.

قالت: "حتى إن كان ما تقوله صحيحًا، هل تظن أنني سأتركه ليدان بجريمة القتل؟".

رد كالجري: "أوه، أجل؛ فعلى أية حال، لقد أخبرك بأنه سيدبر دليلًا لتواجده في مكان آخر وقت وقوع الجريمة. ولعلكِ توقعتِ إلقاء القبض عليه ثم إثبات براءته. كان هذا كله جزءًا من الخطة".

قالت كريستين: "ولكن حين لا يستطيع إثبات براءته، ألا يتعين عليّ التدخل لإنقاذه؟".

قال كالجري: "ربما، ربما ... لولا أنكِ عرفت الحقيقة. حقيقة أن في صباح اليوم التالي لوقوع الجريمة ظهرت زوجة جاكو. لم تعرفي أنه كان متزوجًا. كان على الفتاة أن تكرر الجملة مرتين أو ثلاث مرات قبل أن تتمكني من تصديقها. في تلكِ اللحظة انهار عالمكِ من حولكِ. لقد رأيت جاكو على حقيقته ... عديم القلب، ماكرًا، لا يُكِنٌ لكِ ذرة حب. أدركتِ ما الذي جعلكِ تفعلينه من أجله".

فجأة تحدثت كريستين ليندستروم. اندفعت منها الكلمات على نحو غير متسق.

وقالت: "أحببته .... أحببته من كل قلبي. كنت غبية، امرأة غبية ساذجة في منتصف العمر خرقاء. جعلني أظن ... جعلني أصدق. قال إنه لم يكن مهتمًا قط بالفتيات. قال ... لا أستطيع أن أخبرك بكل شيء قاله. أحببته. أقول لكِ إنني أحببته، ثم جاءت تلكِ الفتاة السخيفة المصطنعة إلى هنا، ذلكِ الشيء التافه المبتذل. أدركت أن كل هذا كان أكاذيب، كل هذ الخبث، الخبث والشرور ... كان شروره، لا شروري أنا".

قال كالجري: "حين جئت في تلكِ الليلة، كنت خائفة، أليس كذلكِ؟ كنت خائفة مما سيحدث. كنت خائفة على الآخرين. هيستر التي تحبينها، وليو الذي كنت تعشقينه. لعلكِ أدركتِ القليل مما قد يئول إليه الأمر بالنسبة لهم. ولكنكِ كنتِ خائفة على نفسكِ بالأساس. وأدركتِ إلى أين تقودك مخاوفك...لقد ارتكبتِ جَريمتَيْ قتل الآن".

"أتقول إنني قتلت تينا وفيليب؟".

قال كالجري: "بالتأكيد، قتلتِهما. لقد استعادت تينا وعيها".

أرخت كريستين كتفيها في يأس وضعف.

"إذن، لقد أخبرتك بأنني طعنتها. لم أظن أنها أدركت هذا الأمر. بالتأكيد، كنت مجنونة. كنت مجنونة وقتها، مجنونة من الخوف. لقد صارت الدائرة ضيقة ... ضيقة جداً".

قال كالجري: "هلا أخبرتك بما قالتها تينا حين استعادت وعيها! قالت: "كان الفنجان فارغًا". عرفت ماذا يعنيه هذا. لقد تظاهرتِ بأنك تحضرين فنجانًا من القهوة إلى فيليب دورانت، ولكنك كنت بالفعل قد طعنتَه وخرجتِ من الغرفة حين سمعتِ تينا قادمة. ومن ثم استدرتِ وتظاهرت بأنك بصددَ الدخول إلى الغرفة بالصينية. وبعد ذلك، برغم أنها كانت مصدومة لدرجة أنها كادت أن تفقد الوعي من صدمة موته، لاحظت تلقائيًا أن الفنجان الذي وقع على الأرض كان فنجانًا فارغًا ولم يتبق فيه تفل القهوة".

صاحت هيستر قائلة:

"ولكن ما كانت كريستين لتطعنها! لقد نزلت تينا السلم وخرجت إلى ميكي. كانت بخير تمامًا".

قال كالجري: "فتاتي العزيزة، الأشخاص الذين يُطعنون يسيرون مسافة شارع بأكمله من دون حتى أن يدركوا ما الذي حدث لهم! وفي حالة الصدمة التي بقيت تينا فيها، لم تستطع تينا الشعور بشيء. ربما ألم خفيف، نخز". ونظر مرة أخرى إلى كريستين وقال: "وفيما بعد، وضعت السكين خلسة في جيب ميكي. وهذا هو أحقر شيء في الأمر كله".

بسطت كريستين يديها في توسل.

"لم أتمالك نفسي... لم أتمالك نفسي ... كانت دائرة الاتهام تضيق سريعًا ... كانا قد اقتربا من اكتشاف الأمر. لقد اكتشف فيليب الأمر وتينا ... أظن أن تينا استمعت مصادفة حديث جاكو إليّ خارج المطبخ في تلك الليلة. كان الجميع بدأ يعرف ... أردت الأمان لنفسي. أردت ... لا يستطيع المرء أن يكون في أمان أبداً!". أسقطت يديها، وقالت: "لم أرغب في قتل تينا. أما بالنسبة لـ فيليب ...".

قامت ماري دورانت من مقعدها. وعبرت الغرفة ببطء ولكن بتصميم متزايد.

قالت: "قتلتِ فيليب؟ أنتِ قتلتِ فيليب".

وفجأة انقضت على المرأة الأخرى كالنمر الشرس. هبت جويندا - بسرعة بديهة -

واقفة على قدميها وأمسكت بها. انضم إليها كالجري ومعًا حاولا الإمساك بها.

صاحت ماري دورانت: "أنتِ ... أنتِ".

نظرت إليها كريستين ليندستروم.

ثم تساءلت: "ما دخله بكل هذا؟ لماذا كان يتدخل ويسأل؟ لم يخش التهديدات قط. لم يكن الأمر بالنسبة له مسألة حياة أو موت. كان مجرد ... تسلية". استدارت وسارت ببطء نحو الباب، وخرجت من دون أن تلتفت إليهم.

صاحت هيستر: "أوقفوها. أوه، يجب أن نوقفها".

قال ليو أرجيل:

"دعيها تذهب، يا هيستر".

"ولكن ... ستقتل نفسها".

قال كالجري: "أشك في هذا".

قال ليو: "لطالما كانت صديقة مخلصة لنا لفترة طويلة. مخلصة، ووفية ... والآن نكتشف هذا!".

قالت جويندا: "هل تظن أنها سوف ... تسلم نفسها؟".

قال كالجري: "من المرجح أكثر أنها ستتوجه إلى أقرب محطة قطار وتستقل قطاراً متجهًا إلى لندن، ولكنها لن تستطيع بالطبع أن تفلت من العقاب. سيتم تعقبها والقبض عليها".

قال ليو مرة أخرى: "عزيزتنا كريستين"، ثم أردف بصوت مرتعش: "المخلصة جدًا، الطيبة جدًا معنا جميعًا".

طوقته جويندا بذراعيها وهزته وهي تقول:

"كيف تقول هذا، يا ليو، كيف تقول هذا؟ فكر فيما فعلته بنا جميعًا ... ما جعلتنا نعانيه!".

قال ليو: "أعرف، ولكنها جعلت نفسها تعاني أيضًا. أظن أننا كنا نشعر بمعاناتها في هذا المنزل".

قالت جويندا: "ربما واصلنا معاناتنا إلى الأبد لو تركنا الأمور لها! لولا مجيء الدكتور كالجري إلى هنا". والتفتت إليه بامتنان.

قال كالجري: "أخيراً فعلت شيئًا لمساعدتكم، برغم أنني تأخرت كثيراً".

قالت ماري بمرارة: "بعد فوات الأوان! بعد فوات الأوان! أوه، لماذا لم نعرف... لماذا

لم نخمن؟"، والتفتت إلى هيستر وقالت بنبرة اتهام: "ظننت أن الجاني هو أنتِ. لطالما ظننت أن الجاني هو أنتِ".

قالت هيستر: "لكنه لم يظن هذا"، ونظرت إلى كالجري.

قالت ماري دورانت بهدوء:

"أتمنى لو أنني مت قبل هذا".

قال ليو: "طفلتي العزيزة، ليتني أستطيع أن أساعدك".

قالت ماري: "لا أحد يستطيع مساعدتي. كان الأمر كله غلطة فيليب، برغبته في المكوث هنا، ورغبته في التدخل في هذا الأمر. وها قد قُتل في النهاية"، والتفتت من حولها لتنظر إليهم وقالت: "لا أحد منكم يفهم"، ثم خرجت من الغرفة.

تبعها كالجري وهيستر. وبينما كانا يخرجان من الغرفة، نظر كالجري وراءه ليرى ذراع ليو تحيط بكتفي جويندا.

قالت هيستر وعيناها تتسعان في خوف: "لقد حذرتني، كما تعلم. لقد قالت في البداية ألا أثق بها، وأن أخافها مثلما أخاف أي شخص آخر ..."

قال كالجري: "انسي الأمر، يا عزيزتي. يجب أن تنسي هذا الأمر الآن. انسي. أنتم جميعاً طلقاء الآن. لم يعد شبح المذنب يخيم على الأبرياء".

"وتينا؟ هل ستتعافى؟ لن تموت؟".

قال كالجري: "لا أعتقد أنها ستموت. إنها تحب ميكي، أليس كذلك؟".

قالت هيستر بنبرة متفاجئة: "أظن أنها ربما تحبه. لم أفكر قط في الأمر. لطالما كانا أخوين؛ ولكنهما ليسا أشقاء حقيقيين".

"بالمناسبة، يا هيستر، هل عندك فكرة عما قصدته تينا بقولها: "الحمامة على الصاري"؟".

قطبت تينا جبينها قائلة: "الحمامة على الصاري؟ انتظر لحظة. تبدو الجملة مألوفة جداً بالنسبة لي. الحمامة على الصاري ونحن نبحر بسرعة. ونبكي ونبكي ونبكي. هل تقصد هذا؟".

قال كالجري: "ربما".

قالت هيستر: "كانت أغنية. أغنية أطفال اعتادت كريستين أن تغنيها لنا. لا أستطيع تذكر شيء سوى بعض كلمات منها. "حبيبي يقف على يدي اليمنى"، وشيء آخر ..."أوه، الخادمة العزيزة، ليست هنا، ليس لديّ مكان، ليس هناك بحر أو شاطئ ولكن في قلبك أنت"".

قال كالجري: "فهمت. أجل، أجل، فهمت ..."

قالت هيستر: "لعلهما سيتزوجان. حين تتحسن حالة تينا، يمكنها إذن أن تسافر معه إلى الكويت. لطالما رغبت تينا في السفر إلى مكان آخر حيث الدفء. الجو دافئ للغاية في الخليج العربي، أليس كذلك؟".

قال كالجري: "دافئ كثيراً جداً".

قالت له هيستر مؤكدة: "لن تتضايق تينا من هذا".

قال كالجري ممسكًا بيد تينا بين يديه: "وستكونين سعيدة الآن، يا عزيزتي". جاهد نفسه ليبتسم وقال: "سوف تتزوجين الطبيب الشاب وستستقر حياتك ولن تزورك تلك الخيالات المفزعة والأفكار البائسة مرة أخرى".

قالت هيستر بنبرة متفاجئة: "أتزوج من دونالد؟ بالطبع، لن أتزوج منه".

"ولكنكِ تحبينه".

"كلا، لا أظن أنني أحبه حقًا ... ظننت أنني كنت أحبه، ولكنه لم يصدقني. لم يكن يعرف أنني بريئة. كان يجب أن يعرف"، ثم نظرت إلى كالجري وقالت: "أنت كنت تعرف! أظن أنني أود أن أتزوجك".

"ولكن، يا هيستر، أنا أكبر منكِ بسنوات كثيرة. لا يمكنكِ حقًا ..."

قالت هيستر بنبرة شك: "هذا ... إن كنت تريدني".

قال آرثر كالجري: "أوه، أريدك!".

أجاثا كريستي

تُعد أجاثا كريستي أكثر الروائيات نشراً، حيث نُشرت أعمالها على نطاق واسع على مر العصور وبكل اللغات، ولم يتفوق عليها في المبيعات سوى مؤلفات شكسبير؛ فلقد بيعت أكثر من مليار نسخة من رواياتها باللغة الإنجليزية ومليار نسخة أخرى بمائة لغة أجنبية. كتبت أجاثا كريستي ثمانين رواية من أدب الجريمة ومجموعات قصصية قصيرة وتسع عشرة مسرحية وكتابيْ سيرة ذاتية وست روايات أخرى كتبتها تحت اسم مستعار، هو "ماري ويستماكوت".

حاولت في البداية تأليف القصص البوليسية في أثناء عملها في مستوصف طبي في أثناء الحرب العالمية الأولى، مبتكرة الشخصية الأسطورية "المحقق هيركيول بوارو" في روايتها الأولى القضية الغامضة في مدينة ستايلز. وفي رواية جريمة قتل في المعبد التي تم نشرها في عام 1930، قدمت محققة محبوبة هي الآنسة جين ماربل. ومن بين شخصيات سلسلة الروايات فريق مكافحة الجريمة المكون من الزوج والزوجة تومي وتيوبنس بيريسفورد، والمحقق الخاص باركر باين، ومحققي سكوتلاند يارد: المراقب باتل والمفتش جاب.

والكثير من روايات كريستي وقصصها القصيرة تم تحويلها إلى مسرحيات وأفلام ومسلسلات تليفزيونية. ومن أشهر مسرحياتها على الإطلاق مسرحية The Mouse التي تم افتتاحها في عام 1952، وقد استمر عرضها على خشبة المسرح لأطول فترة عرض في تاريخ المسرح. ومن بين أشهر الأفلام المأخوذة عن رواياتها جريمة في قطار الشرق السريع(1974) وجريمة قتل على ضفاف النيل(1978)؛ حيث لعب دور المحقق هيركيول بوارو الممثلان ألبرت فيني و"بيتر أوستينوف" في الفيلمين على التوالي. وعلى شاشة التليفزيون، لعب الممثل "ديفيد سوشيه" دور المحقق بوارو على نحو لا يمكن نسيانه أبداً، ولعبت الممثلة "جوان هيكسون" دور الآنسة ماربل، ثم تبعتها في تأدية هذا الدور كل من الممثلة "جيرالدين ماكإيوان" و"جوليا ماكنزي".

تزوجت كريستي لأول مرة من أرشيبالد كريستي، ثم تزوجت من عالم الآثار السير ماكس مالوان، الذي رافقته في رحلاته الاستكشافية إلى البلدان التي استعانت بها في أحداث العديد من رواياتها. وفي عام 1971، تسلمت كريستي واحداً من أرفع الأوسمة البريطانية حين حصلت على لقب سيدة الإمبراطورية البريطانية. توفيت كريستي في عام 1976 عن عمر يناهز الخامسة والثمانين. وتم الاحتفال بعيد ميلادها المائة والعشرين في مختلف أنحاء العالم في عام 2010.

جدول المحتويات

إهداء
قول مأثور
الأول
الثاني
الثالث
الرابع
الخامس
السادس
السابع
الثامن
التاسع
العاشر
الحادي عشر
الثاني عشر
الثالث عشر
الرابع عشر
الخامس عشر
السادس عشر
السابع عشر
الفصل الثامن عشر
الفصل التاسع عشر
الفصل العشرون
الحادي والعشرون
الثاني والعشرون
الثالث والعشرون
الرابع والعشرون
أجاثا كريستي